سلسلة

مدرسة الدعاة

فصول هادفة في فقه الدعوة والداعية

عبد الله ناصح علوان

أستاذ الدراسات الإسلامية
بجامعة الملك عبد العزيز بجدة

المجلد الثاني

11

ويشتمل على :

11 - عقبات في طريق الدعاة ، وطرق معالجتها في ضوء الإسلام (قسمان) .

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الطبعة الثانية

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

ش.م.م

تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة أعوام متتالية ١٩٩٩م ، ٢٠٠٠م ، ٢٠٠١م هي عشر الجائزة تتويجًا لعقد ثالث مضى في صناعة النشر

القاهرة - جمهورية مصر العربية

الإدارة : ١٩ شارع عمر لطفي موازٍ لشارع عباس العقاد خلف مكتب مصر للطيران عند الحديقة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشربيني - مدينة نصر

هاتف : ٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +) فاكس : ٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)

بريديًا : ص.ب ١٦١ الغورية الرمز البريدي ١١٦٣٩

البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com

موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

سلسلة
مدرسة الدعاة
فصول هادفة في فقه الدعوة والداعية
(11)

عقبات في طريق الدعاة

وطرق معالجتها في ضوء الإسلام

« القسم الأول »

عبد الله ناصح علوان

أستاذ الدراسات الإسلامية
بجامعة الملك عبد العزيز بجدة

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة



الحمد للّه ربّ العالمين ، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى دعاة الحق ، وقادة الخير بإحسان إلى يوم الدّين .

وبعد : فقد وفّق اللّه أن نخرج للمكتبة الإسلاميّة فصل : « عقبات في طريق الدعاة » ، وقد أتى ترتيبه من سلسلة « مدرسة الدعاة » : « **الفصل الحادي عشر** » كما هو مشاهد .

وكان بودّي أن أُخرج هذا الفصل فى كتاب واحد ، ولكن رأيت أن البحث قد طال كثيرًا ، وأصبح من المتعذّر أن يتم إخراج الفصل عند الطبع فى كتاب واحد من الحجم الصغير ، ليستكمل حجم السلسلة المطبوعة إخراجًا ومقاسًا .

لذا اجتهدتُ أن أُخرج بحوث هذا الفصل على الحجم الصغير في قسمين :

القسم الأول : – يشمل : الأمراض الباطنية ، والمؤثّرات النّفسيّة ، والعوامل الاجتماعيّة .

القسم الثاني : – يضمّ : المعوّقات السّياسيّة ، والظّروف الاقتصاديّة ، والأسباب التربويّة ، والاخطاء التنظيميّة .

وها نحن أولاء – بعون اللّه – نخرج القسم الأول ببحوثه الثلاثة ، وسوف يعقبه – بإذن اللّه – **القسم الثاني** ببحوثه الأربعة ، وبانتهاء بحوث القسم الثاني نكون قد انتهينا من فصل العقبات .

اللّه أسأل أن يجعل أعمالنا خاصة لوجهه الكريم ، وأن يتقّبل ما قدّمناه يوم العرض عليه ؛ كما أسأله سبحانه أن يمدّنا بالقوّة والصحّة ، لنتابع مسيرة الدعوة إلى أن يأذن بالنّصر ، أو نموت وقد بذلنا كلّ ما في وسعنا فى التعريف بدين اللّه ، وفي توعية الجيل المسلم في فقه الدعوة والدّاعية .. إنه جلّ جلاله خير مسئول ، وبالإجابة جدير .

وصلّى اللّه على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

د . عبد اللّه ناصح علوان

الفصل الحادي عشر
عقبات في طريق الدعاة
وطرق معالجتها في ضوء الإسلام
القسم الأول
مخطّط البحث لفصل العقبات

– بعد أن عرفتَ – أخي الداعية – طبيعة الدعوة الإسلامية ، وخصائصها المتميّزة ..

– وبعد أن اطّلعتَ على عالميّة الدعوة ، ودور الدعاة في إصلاح المجتمعات البشرية ..

– وبعد أن علمت مسئولية الأمة ، ودعاتها ، وعلمائها .. في فريضة الدعوة ، ووجوب التبليغ ..

– وبعد أن استشعرتَ في قرارة وجدانك فضل الداعية ومنزلته في القرآن الكريم ، والسنّة المطهّرة ..

– وبعد أن تراءتْ لك مواصفات الداعية في الإعداد المعنوي ، والتربية النفسيّة ..

– وبعد أن اقتنعتَ معي أن الداعية لا يعطي ولا يؤثّر .. إلا بالتحقق بالروحانية المشرقة ، والتحلّي بالأخلاق الفاضلة ، والتزوّد بالثقافة المتنوّعة الشاملة ..

– وبعد أن اعتقدتَ جازمًا بأن الداعية لا ينتج ولا يغيّر .. إلا بعد أن ينتهج المراحل الدعويَّة في تبليغه ، ويعرف كيف يملك القلوب عند القيام بأداء رسالته ودعوته ؟

– وبعد أن استرشدتَ بالمواقف التعبيريّة التي تجعل من الداعية متحدّثًا ومحاضرًا ، وتهيب به أن يكون خطيبًا ومحاورًا ، وتدفع به إلى الأمام ليكون أديبًا وكاتبًا ..

– إذا أدركت معي – أخي الداعية – أن هذا كلّه لابدّ منه في تكوينه وإعداده ، ولا غنى عنه في بناء شخصيّته وتقويمه ..

فعليك أن تدرك أيضًا أن من اللازم والضروري أن تتعرّف على العقبات التي تعترض طريق الدعاة حتى تتجنّب مزالقها ومخاطرها ، وتنجو من غوائلها ومهالكها .. ذلك لأن أيّ عقبة تعترض طريق الداعية ، قد تعوقه عن مسيرته ، وتثبّط من هّمته ، وتصدّه عن غايته ، وتوهن من عزيمته ، وتبدّد من جهده ، وتقلّل من

إنتاجه .. بل ربما أقعدته عن السير في طريق الدعوة والجهاد .. فيقعد مع القاعدين ، ويصبح في المجتمع من اليائسين المعوّقين !! ..

ولو استعرضنا العقبات التي تعترض طريق الدعاة لوجدناها كثيرة ومتنوّعة :

منها : ما هي أمراض باطنيّة .

ومنها : ما هي مؤثّرات نفسيّة .

ومنها : ما هي عوامل اجتماعيّة .

ومنها : ما هي معوّقات سياسيّة .

ومنها : ما هي ظروف اقتصاديّة .

ومنها : ما هي أسباب تربويّة .

ومنها : ما هي أخطاء تنظيميّة .

وفي هذا الفصل - إن شاء اللّه - سوف نستعرض هذه العقبات واحدة بعد واحدة ، وسوف نضع الحلول العمليّة لتسويتها وتذليلها .. مسترشدين بتعاليم الإسلام السمحة ، وواقع الحركات الإسلامية المعاصرة ، وآراء الدعاة الناضجين المجرّبين .. عسى أن تكون لك - أخي الداعية - هدىً ونبراسًا في طريق الدعوة الشاق الطويل .

وما أراك - يا أخي - بعد معرفتها ، والعمل على مقتضاها ، والسير على هديها .. إلا تَجنّبْتَ في طريقك المزالق ، وأمنت الغوائل .. وتابعت مسيرة الدعوة إلى أن تصل إلى غايتك دون تعثّر ، أو انزلاق ، أو فتور ..

وإليك - أخي الداعية - هذه العقبات مفصّلة ، والحلول مبيّنة ، وعلى اللّه قصد السبيل ، ومنه وحده نستمدّ العون والتوفيق :

* * *

1 - الأمراض الباطنيّة

سبق أن تكلمنا في فصول مضت من « سلسلة مدرسة الدعاة » عن أهمّ بنود المنهج في تكوين الدعاة ، وفي إصلاح ذواتهم ، وفي إعداد نفوسهم :

● ففي فصل « **صفات الداعية النفسيّة** » كنا ذكرنا أهمّ هذه الصفات التي ينبغي أن يتحقّق بها الدعاة ألا وهي : الإيمان ، الإخلاص ، الجرأة ، الصبر ، التفاؤل .

● وفي فصل « **روحانيّة الداعية** » حين تحدثنا عن السبيل إلى التقوى ذكرنا أن السبيل إليها هي : المراقبة ، المعاهدة ، المحاسبة ، المعاقبة ، المجاهدة .

● وفي فصل « **أخلاقيّة الداعية** » كنّا بيّنا أن الدعاة لا يستطيعون أن يأسروا النفوس ، ويملكوا زمام القلوب .. حتى يتحلّوا : بالصدق ، والأمانة ، والحلم ، والتواضع ، والكرم .

وإن هذه الصفات التي سبق ذكرها والحديث عنها لهي - واللّه - صفات الأنبياء والمرسلين ، وخصال الدعاة والمصلحين ، وشعار المتّقين والصالحين .. فمن أخذ بها أخذ بحظّ وافر .

ومن المؤكد يقينًا أن الداعية إلى اللّه حين يتحلّى بهذه المكارم ، ويتكوّن على هاتيك الفضائل .. فإنه يكون - بتوفيق اللّه - في مأمن من كلّ مرض باطني ، ومزلق شيطاني ، وآفة نفسيّة .. بل يتدرّج دائمًا نحو الكمال ، ويرتقي بتقدّم مطّرد سُلّم المعالي .

وقد يصاب الداعية - وهو على طريق البناء والإصلاح - بشيء من الضّعف البشري ، فيتعرّض لمرض من أمراض القلب ، أو آفة من آفات النفس ، أو نزغة من نزغات الشيطان .. فيزلّ بعد نهوض ، أو يضلّ بعد هدى ، أو يرائي بعد إخلاص ، أو يغضب بعد حلم ، أو يفتر بعد عزيمة ، أو يبخل بعد كرم ، أو يتشاءم بعد تفاؤل ، أو يسكت بعد جرأة ، أو يجبن بعد شجاعة ، أو يعجز بعد صبر ، أو يتعاظم بعد تواضع ..

فإذا أصيب الداعية - لا سمح اللّه - بهذه الآفات أو ببعضها ، ولم يسارع إلى التخلّص منها ومعالجتها .. فإنه أشدّ ما يُخشى عليه أن تزلّ قدمه بعد ثبوتها ، أو أن يتساقط على طريق

الدعوة ، أو أن ينحرف عن جادّة الإسلام .. وهو يحسب أنه يحسن صنعًا !! .

لذا رأيتُ أن أتعرّض في هذا الفصل لأهمّ هذه الأمراض والآفات .. التي قد يتعرّض لمخاطرها وغوائلها الدّعاة ، وينزلق في مزالقها وأخطارها المصلحون .. عسى أن تكون لهم تبصرة وذكرى ، وعسى أن يتابعوا مسيرة الدعوة لبناء عزة الإسلام بإيمان وعزم واستقامة ومضاء .. دون أن يصيبهم وهن ، أو يعتريهم يأس ، أو ينتابهم في العمل الإسلامي تكاسل أو فتور ..

وأهمّ أمراض الدعاة في نظري هي :

أ – الرّياء .

ب – النّفاق .

ج – العُجْب .

د – الغرور .

هـ – الْكِبر .

و – الحقد والحسد .

ز – البذخ والبخل .

ح – حبّ المال والجاه .

وسوف نتكلم بعون اللّه تعالى عن كلّ مرض من هذه الأمراض القلبيّة والنفسيّة بشيء من التفصيل ، وعلى اللّه قصد السبيل ، ومنه وحده نستلهم التوفيق .

* * *

أ - الرّياء :

الرياء هو طلب المنزلة والتعظيم عند الناس بعمل الآخرة ، كالذي يصلّي ، ويصوم ، ويتصدّق ، ويحجّ ، ويجاهد ، ويقرأ القرآن ، ويعلّم .. ليعّظمه الناس لذلك ، ويُثنوا عليه ، ويعتقدوا به ، ويقوموا على إكرامه والإغداق عليه .. فذلك هو المرائي .

وقد سمّى الرسول ﷺ الرّياء **بالشرك الأصغر** ، أو **بالشرك الخفيّ** ، واعتبره من المهلكات التي تُحْبِطُ العمل .

والداعية الذي اعتنق التوحيد ، وآمن بالربوبيّة يربأ بنفسه أن يصيبه مرض الرياء ؛ ذلك لأن المرائي حين يفعل الطاعات ويتعبّد كأنه يتعبّد للناس .. لا للّه ، وكأنه يريد بطاعته العباد .. لا ربّ العباد !! .

من أجل هذا جاءت النصوص الشرعّية تحذّر من الرياء ، وتبيّن مآل المرائين الذين لا يقصدون بأعمالهم وجه اللّه تعالى .

وإليكم طاقة من هذه النصوص :

قال تعالى في سورة الكهف : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ .

وقال جلّ جلاله في سورة الماعون : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ .

– روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة – رضي اللّه عنه – قال : سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول : « **إنّ أول النّاس يُقْضَى يوم القيامة عليه رجل استُشهد** ، فأتي به فعرّفه نعمه فعرفها قال : فما عملتَ فيها ؟ قال : قاتلتُ فيك حتى استُشهدتُ ، قال : كذبتَ ، ولكنك قاتلت لأن يقال : **جريء** ! فقد قيل ، ثم أُمر به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلقي في النار . **ورجل تعلّم العلْم وعلّمه ، وقرأ القرآن** .. فأُتي به فعرّفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملتَ فيها ؟ قال : تعلّمتُ العلم وعَلّمتُه ، وقرأتُ فيك القرآن ، قال : كذبتَ ، ولكنّك تعلّمتَ ليُقال : **عالم** ، وقرأت القرآن ليقال : **هو قارئ** ! فقد قيل ، ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلقي في النار . **ورجل وسّع اللّه عليه ، وأعطاه من أصناف المال كله** ، فأُتي به ، فعرّفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملتَ فيها ؟

قال : ما تركتُ من سبيل تحبّ أن ينفق فيها إلا أنفقتُ لك فيها ، قال : كذبتَ ، ولكنّك فعلتَ ليُقال : **هو جوادٌ !** فقد قيل ، ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه ثم أُلقي في النار » [1] .

– وروى أبو داود بإسناد صحيح عن أبي هريرة – رضي اللهّ عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ : « مَنْ تعلّم علمًا مما يُبتغى به وجه اللّه ، لا يتعلّمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عَرْفَ الجنّة يوم القيامة » (يعني ريحها) [2] .

– وروى مسلم عن أبي هريرة – رضي اللّه عنه – قال : سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول : قال اللّه تبارك وتعالى : « أنا أغنى الشّركاء عن الشّرك ، مَنْ عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركتُه وشركه » [3] .

إلى غير ذلك من هذه النصوص التي تحذّر من الرياء ، وتبيّن مصير المرائين المشؤوم .

فالرياء إذن – كما دلّت عليه النصوص – هو من الشرك الأصغر ، أو الشرك الخفيّ ؛ بل هو من الأعمال القبيحة التي تحبط العمل ، وتخيّب السعي ، وتُخرج المرائي من دائرة الإسلام ، وتطرده من رحمة اللّه .. فقد روى الإمام أحمد ، والطبراني ، والبيهقى .. عنه صلوات اللّه وسلامه عليه أنه قال : « إن أخوف ما أخاف عليكم : الشرك الأصغر » ، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول اللّه ؟ قال : الرياء ، يقول اللّه عز وجلّ يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتُم تُراؤون في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء ؟ » [4] .

نماذج وصور من المراءاة :

للرياء أفعال يحسّ بها ويستشعرها مَنْ كان على مستوى رفيع من الإيمان والإخلاص ، وحساسيّة التقوى ..

وها نحن أولاء سوف نعرّج على أهم أفعال المراءاة التي قد تتلبّس بعض الدعاة وهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعًا ، لتكون لهم تبصرة وذكرى :

● **من أفعال المراءاة :** أن يصلّي المسلم أمام الناس صلاة الخاشعين المُخْبِتِين ، بل يتصنّع في إتقانها ، ويتكلّف باطمئنانها وحسن أدائها .. في حضرتهم ، فإذا ما خلا إلى نفسه ، وصلاها في بيته ، نقرها نقر الديك بلا خشوع ولا اطمئنان ولا إخبات للّه ربّ العالمين .

(1) صحيح مسلم كتاب الإمارة (152) .
(2) سنن أبي داود (3664) .
(3) صحيح مسلم كتاب الزهد (46) .
(4) انظر الترغيب والترهيب (1 / 68) .

● **ومن أفعال المراءاة** : أن لا يقول كلمة الحق ، ولا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .. إلا حين يكون في محضر من الأصدقاء والمعارف ليروه ، ويُثنوا عليه ، وينتظر تعظيمهم له ، وحديثهم عنه .. في غيبته وحضوره .. دون أن يقصد من عمله وجه اللّه ، ولا أمر الشرع .

● **ومن أفعال المراءاة** : أن يظهر أمام أهل التقوى والصلاح بمظهر التمسكن ، والتواضع ، وخفض الصوت ، والتحزّن في الكلام ، والزّهد في الدنيا .. ليريهم بذلك شدة الورع والتقوى ، والاجتهاد في العبادة ، والإقبال على الآخرة .. دون أن يبتغي في عمله وجه اللّه الكريم ، والدار الآخرة .

● **ومن أفعال المراءاة** : أن يتكلف في استزارة كبار الشخصيات السياسية والعلمية والدينية .. ويدعوهم إلى بيته وضيافته .. ليقال عنه : زار فلانًا واستضافه ، وتعرف على علان ودعاه .. ويبغي من وراء ذلك ثناء الناس عليه ، واحترامهم له ، وأنه أصبح اليوم ذا شخصية فذّة ، وصاحب مقام معلوم .. دون أن يقصد مرضاة اللّه ، ومصلحة الدعوة ، والتعرّف على الناس ، والتعاون معهم ، وإسداء النصح لهم ..

● **ومن أفعال المراءاة** : أن يجعل من بيته قرّة عين الزائرين ، وإثارة دهشة المستضافين .. وذلك في زينة البيت وزخرفته ، وفرش الأثاث ، وتفنّن الطعام وألوانه .. ليقال : إن العالم الفلاني ، أو الداعية العلاني .. لا يضاهيه أحد في هندسة داره ، وتأثيث قصره ، ولذة طعامه .. دون أن يدور في خَلَده أن هذا منافٍ لزهد النبوّة ، وعيشة السلف .. ودون أن يمرّ في خاطره أنّه في عمله هذا يقصد اعتبار الناس ، لا ربّ الناس !! .

تلكم أهم الصوّر والنمّاذج في أفعال المراءاة التي تتسلّل إلى بعض العلماء والدعاة من حيث يدرون أو لا يدرون .. فيقعون في حبائل الشرك الأصغر ، ويتخبّطون في أوحال المصانعة والمراءاة .

ولاشك أن الداعية حين يخلو بينه وبين اللّه ليحاسب نفسه ، وينظر إلى عمله .. فإن أحسّ أنّه قصد عند البدء بالعمل ، وفي أثنائه .. غير اللّه ، وأراد مرضاة العباد .. فليتُب إلى اللّه ، ويقلع فورًا عن المراءاة ، ويجتهد أن يبعد عن نفسه دبيب الشرك الخفيّ ، وعن بيته مظاهر الحضارة الزائلة ، ويصحّح قبل البدء بالعمل النيّة والقصد .. ليكون – إن شاء اللّه – من عباد اللّه المخلصين ، وأصفيائه المتقين .

ما هو علاج الرياء ؟ :

علاج الرّياء في نظر الإسلام يكون في وسيلتين هامّتين أساسيتين :

الأولى – في اقتلاع جذوره من النفوس .

الثانية – في دفع ما يخطر له في الحال .

● **أما في اقتلاع جذوره من النفوس**

فاعلم – أخي الداعية – أن أصل الرياء – كما ألمحنا – هو حبّ لذّة الحمد ، والفرار من الذّمّ ، ومراضاة الناس .. ويشهد لذلك ما في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري أنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول اللّه ، أرأيت الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حميّة ، ويقاتل رياءً .. فأيّ ذلك في سبيل اللّه ؟ فقال : « مَنْ قاتل لتكون كلمة اللّه هي العليا فهو في سبيل اللّه » [1] .

فمعنى قول الرجل : « **يقاتل شجاعة** » أي ليذكر ويُحمد ؛ ومعنى قوله : « **يقاتل حميّة** » أي يأنف أن يقهر ويذمّ ، ومعنى قوله « **يقاتل رياءً** » أي ليُرى مكانه ..

وهذا معناه حبّ الجاه والمنزلة ، ولذّة الحمد ، والفرار من الذمّ ، ومراضاة الناس .. وقد لا يشتهي الإنسان الحمد ، ولكنّه يحذر من الذمّ ، **كالجبان** بين الشجعان فإنّه يثبت ولا يفرّ لئلا يذمَّ ، أو **المتعالم** الذي يُفتي الناس بغير علم خوفًا من الذمّ والاتّهام بالجهل .. فهذه الأمور هي التي تحرّك إلى المراءاة ، وتدفع إلى المصانعة .

ومعالجة الرياء تكون في اتباع الخطوات التالية :

1 - **تعميق مراقبة اللّه عز وجل في نفسيّة الداعية** : وذلك أن يضع الدّاعية في تصوّره قوله تبارك وتعالى : ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [2] ، وقوله عليه الصلاة والسلام حين سئل عن الإحسان : « أن تعبد اللّه كأنّك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك » [3] .

وكيفيّة المراقبة – كما سبق ذكرها في فصل « روحانيّة الداعية » – أن يراقب الداعية نفسه قبل البدء بالعمل ، وفي أثنائه .. هل كان تحرّكه لتبليغ دعوة اللّه من أجل حظوظ النفس ، وابتغاء الثناء والذكر ، أم كان المحرّك .. هو مرضاة اللّه ، وابتغاء ثوابه .. ؟

(1) اللؤلؤ والمرجان (2 / 260) برقم (1243) .   (2) الشعراء : 218 - 219 .
(3) جزء من حديث رواه مسلم (1) كتاب الإيمان .

فإن كان للّه عز وجل مشى في العمل وأمضاه ، وإن كان بقصد المراءاة أحجم عنه ، وحرّر نيّته .. وعقد العزم على أنه يستأنف عمله فيما بعد على أفضل ما يكون من التجردّ والإخلاص ، وابتغاء رضوان اللّه ، وإسلام الوجه لربّ العالمين .

2 - **أن يتصوّر دائما مآل المرائين ومصيرهم** : حين يتصوّر الداعية أن الرّياء مضرٌّ له في الحال ، وفي المآل .. وأنه خطر عليه في دينه ودنياه ، وأنه محبط لعمله في كدّه ومسعاه .. سَهُلَ عليه اجتنابه والتحرّر منه ، وَقَطَعَ عنه الميل إليه والرغبة فيه .. كمن يتصوّر أن العسل الذي وُضِعَ أمامه فيه سمّ زعاف كيف يفعل ؟ لاشكّ أنه يُعرض عنه ، وينفر منه .. تحسّبًا من الخطر ، وتوقّيًا من الهلاك !!

وهل يغيب عن ذهن الدّاعية ما يفعله الرّياء ؟ وما يتعرض له المرائي في الآخرة من العذاب والمقت والخزي والفضيحة ؟ وما يفوّته على نفسه من صلاح النفس ، وإرضاء الربّ ، وإشراقة الروح ، والفوز بالجنّة ، والنجاة من النار ؟ ..

هذا مع ما يتعرّض له في الدنيا من زيادة في الهمّ ، واستشراف للنفس ، ونَصَبٍ في المراءاة ، وحرص على الدنيا ، وتطلّع إلى الذّكر والجاه ..

فإذا وقر في نفس الدّاعية كل هذا .. فترت رغبته عن الرياء ، وأقبل على اللّه بقلبه ، وحرّر النّيّة في كل أعماله ، وسعى جاهدًا ليحظى برضوان اللّه عز وجل ، حتى إذا أتى ربّه .. كان في مجمع من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا .

3 - **أن يطبّع نفسه على إخفاء الأعمال** : وذلك في الأعمال التي يمكن أن يسرّ بها ، ويفعلها بعيدًا عن أعين الناس .. كصلاة النافلة ، والتصدّق ، وتلاوة القرآن ، وذكر اللّه ، وغير ذلك .. وإخفاء هذه الأعمال أو ما يشابهها أسلم لنفسه ، وأحوط لدينه ، وأبعد له عن المراءاة .. اللهم إلا إذا كان العمل ما لا يتمكّن صاحبه أن يفعله إلا ظاهرًا وأمام أعين الناس كتعلّم العلم وتعليمه ، والصلاة مع الجماعة في المسجد ، والخروج لأداء فريضة الحجّ أو للجهاد لإعلاء كلمة اللّه ، ونحو ذلك .. فمن خاف من الرياء في حال فعل شيء من هذا فلا يجوز له شرعًا أن يتركه بحجّة المراءاة ، بل واجب عليه أن يفعله ، ثم يجتهد مخلصًا في دفع الرياء عن نفسه ، وذلك بتحرير النّيّة ، والتوجّه إلى اللّه ، والاستعانة به في أن يسير في طريق الإخلاص والاستقامة .. ومعاهدته على ذلك .. واللّه سبحانه لا يخيّب داعيًا ، ولا يردّ سائلا ، ولا يتخلّى

عن عبد منيب مقبل إليه ، معتمد عليه ..

تلكم - إخوتي الدعاة - أهمّ الخطوات في اقتلاع الرياء من القلوب ، واجتثاثه من النّفوس .. فاجتهدوا على أن تأخذوا بأحسنها .. لتكونوا - بتوفيق اللّه - من الذين إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون .

* **أما دفع ما يخطر له في الحال :**

فاعلم - أخي الداعية - أنك إذا جاهدت نفسك في اقتلاع مغارس الرياء من قلبك ، ووضعت مصير المرائين ومآلهم في تصوّرك ، وظللت تراقب اللّه عز وجلّ في جهرك وسرّك ، وعوّدت نفسك على إخفاء الطّاعة فيما يمكن إخفاؤه من أعمالك ..

فلا شكّ أن الرياء ينفصم منك ، وتتقطع خواطره عنك .. وتصبح عند اللّه من المتّقين الأبرار ، والمخلصين الأخيار ..

ولكن عليك - أخي الداعية - أن تعلم أن الشيطان - أخزاه اللّه - متربّص لك بالمرصاد ، وأن نزغات النفس الأمّارة قد تعاودك فترة بعد فترة ، وأنّ شهوة حَمْد الناس وثنائهم قد تعتريك حينًا بعد حين .. **فما العمل إذا عرض لك عارض الرياء وخطراته ؟**

العمل أن تدفع ما يخطر لك في الحال ، وذلك بتساؤلك بهذا التساؤل : (اللّه وحده عالم بحالي ، ومطّلع على أعمالي .. مالي وللخلق علموا بعملي أم لم يعلموا ؟ مالي وللعباد اطّلعوا على طاعاتي أم لم يطّلعوا ؟ مادمتُ أعمل للّه ، وأبتغِي مرضاته ، وأطمع في جنّته وثوابه ..) .

فإن هاجت الرغبة فيك إلى آفة الحمد ، واستشرفْت في نفسك ثناء الناس .. ذكّرها آفات الرياء ، ومصير المرائين ، وأحوالهم في جهنم ، وانفضاحهم يوم العرض على اللّه .. إن كنت مؤمنًا متحسّسًا متيقّظًا .. فسرعان ما تنقلب الرغبة إلى كراهية ، والاستشراف إلى نفور .. وسرعان ما تندفع عنك خطرات الرّياء ، ونزغات النفس الأمّارة .. واللّه المستعان ، وهو الموفّق للإخلاص ، والمثبّت على الإيمان .

تساؤلات يريد الداعية الإجابة عليها :

أ - يتساءل الداعية أحيانًا أنه إذا عمل عملاً ، وقصد به وجه اللّه ، وأصبح الناس يتحدّثون به ، ويثنون عليه ، فوّجد في ذلك سرورًا في نفسه : **هل يُعَدّ هذا السرور**

الذي عرض له من المراءاة ؟

أقول : لما كان قصده في العمل الإخلاص للّه ، وابتغاء مرضاته ، ثم اطّلع النّاس على بعض أعماله وطاعاته ، وذهبوا يمتدحونه ، ويثنون عليه ، وينقلون إلى الآخرين أخباره الصالحة .. وحصل له سرور من جرّاء ما أُخبر وما سمع .. **فهذا الذي حصل ليس من الرياء في شيء** ، بل هو عاجل بشرى المؤمن في الدّنيا كما ثبت في الحديث الصحيح .. فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي ذرّ – رضي اللّه عنه – قال : قيل لرسول اللّه ﷺ : أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ، ويحمده الناس عليه ؟ قال : « **تلك عاجل بشرى المؤمن** » [1] .

وهذا معنى قوله تعالى كما جاء في سورة يونس : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ .

فأما إذا استشرف هذا السرور ، وهذه البشرى قبل العمل ، وكان كل همّه إطّلاع الناس عليه حتى يمدحه الناس ويعظّموه ويقضوا حوائجه .. فهذا – ولاشكّ – من الرّياء أعاذنا اللّه منه .

ب – ويتساءل بعضهم : هل للداعية أن يترك تبليغ الدعوة ، ويستنكف عن العمل الإسلامي إذا لم يأنس من نفسه الإخلاص ؟

سبق أن ذكرنا قبل قليل أن هناك من الأعمال ما لا يمكن الإسرار بها : كتعلّم العلم وتعليمه ، وصلاة الجماعة ، وتبليغ الدعوة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل اللّه .. فهذه الأعمال ونحوها يؤدّيها المسلم – كما هو معلوم – جهرًا لا سرًّا ، ويمارسها علنًا لا خفية .

وأحيانًا يأتي الشيطان ، ويتلبّس الداعية ، ليصرفه بوسوسته عن القيام بمسئوليته في تبليغ الدعوة ، وأداء رسالة الإسلام ... بحجّة أنه مُعَرّض فيما يدعو إلى خطرات الرياء ، واستشراف شهوة الحمد والثناء .. في جميع لقاءاته واجتماعاته ، وخطبه ومحاضراته ، وحلّه وترحاله !!

أقول : إذا قعد الدعاة عن مسئوليّة الدعوة ، وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفريضة العمل لعزّ الإسلام .. بحجّة أنهم معرّضون لآفات الرّياء ،

(1) صحيح مسلم كتاب البر (166) .

واستشراف الحمد والثّناء .. مَنْ يبقى ليجمع الناس على الخير ؟ ومَنْ يتصدّى لتحدّيات الأعداء ؟ ومَنْ يجاهد بلسانه ونفسه لإعزاز دين الله ؟

حتما ، لا يبقى أحد .. لأن كلّ داعية معرّض - بحكم أنه بشر - لخطرات النفس الأمّارة ، ووساوس الشيطان الآثمة .. وحتمًا ، أن كل مَنْ يتصدّى للعمل الإسلامى قد يقوى حينًا ، ويضعف أحيانًا .. وهذه الظاهرة من الخطرات هي من طبيعة البشر ، فما دام الدّاعية من البشر فهو ليس مَلكًا مبرّءًا ، ولا نبيًّا معصومًا .. بل هو معرّض للخطأ ، ومحتمل منه الوقوع في المعصية ، ولكن حين يقع في الخطأ ، ويتعرّض للمعصية ينبغي عليه أن يبادر إلى التوّبة الصادقة النصوح ، ليخرج من ذنوبه كما ولدته أمّه .. وصدق رسول اللّه ﷺ القائل - فيما رواه ابن ماجه والترمذي - : « كل بني آدم خطّاء ، وخير الخطّائين التوّابُون » [1] .

نعم نقول للداعية : امض على بركة اللّه في تبليغ الدعوة ، والعمل للإسلام ، ولا يقعدنّك عن أداء مسئوليتك خطرات النفس ، وشهوة الحمد ، ووساوس الشيطان .. ولكن عليك أن تحرّر النيّة قبل البدء بالعمل ، وتراقب المولى سبحانه في أثنائه .. ثم بعد أن تفرغ من عملك تكون لك خلوات بينك وبين اللّه ، ففي هذه الخلوات تتأمّل في كلّ ما قمت به من عمل وتُسائل نفسك : هل كان عملي للّه ؟ هل أسلمتُ وجهي لربّ العالمين ؟ هل كنتُ مخلصًا فيما دعوتُ الناس إليه ؟

فإن وجَدتَ خيرًا فاحمد اللّه ، واطلب منه المزيد .. وإن رأيتَ خلاف ذلك فتُب إلى اللّه ، وجاهد نفسك - وأنت مستمرّ في الدعوة إلى اللّه - حتى تصل في نهاية المطاف إلى منازل الدعاة المخلصين ، والعلماء العاملين المتّقين .

وسبق أن ذكرنا - أخي الداعية - في فصل « **روحانيّة الداعية** » في بحث « **المحاسبة** » : (أن المؤمن ينبغي أن يكون له وقت في أوّل النهار يشارط فيه نفسه ، ويعاهدها على إصلاح النية ، والإخلاص ، وأداء الحقوق ... وكذلك ينبغي أن يكون له ساعة يخلو فيها إلى نفسه في آخر النهار ، يحاسبها على جميع ما كان منها : فإن رأى خيرًا فليحمد اللّه على ما سدّد ووفّق ، ويسأله دائمًا التّثبيت والمزيد ، وإن رأى غير ذلك فليبادر إلى التوبة الصّادقة ، والندم والاستغفار .. ويعاهد اللّه على أن لا يعود ، ويسأل مولاه الحفظ والرعاية والاستقامة وحسن الخاتمة ..) .

---

(1) سنن ابن ماجه (4251) ، وسنن الترمذي (2499) .

وهذا ما توجّه إليه الآية الكريمة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (1) .

وهذا ما دعا إليه الخليفة الراشد عمر الفاروق – رضي اللّه – عنه حين قال : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا ، وزنوها قبل أن توزنوا ، وتهيّؤوا للعرض الأكبر ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ » (2) .

فحذار – أخي الداعية – أن تقعد عن أداء مسئوليّتك في تبليغ الدعوة ، والعمل لعزّ الإسلام .. بحجّة تزكية النّفس . والتّربية على التحرّر من الرّياء .. لأن ذلك مزلق شيطاني يصدّك عن الواجب الأكبر في إعزاز دين اللّه في عصر التحدّيات والتّآمر على الإسلام .

فراقب المولى – أخي الداعية – ، وحاسب دائمًا نفسك ، وسر بعزم ومضاء في تبليغ الدعوة ، والجهاد الإسلامي – على بركة اللّه – فاللّه وحده هو الذي يتولاك ، ويسدّد خطاك ، ويثبّتك في متقلّبك ومثواك ..

ج – ويتساءل آخرون : هل يكون الداعية مرائيًا إذا تنشّط للعبادة – على خلاف عادته – حين يكون مع أقوام صالحين يتهجّدون ويصومون ، ويذكرون اللّه ويستغفرون ؟

الحقيقة أن تنشّطه للعبادة على خلاف عادته مع قوم صالحين .. لا يعدُّ رياءً على الإطلاق ، ذلك لأن كلّ مؤمن يرغب بالاستزادة من النوافل ، وبالإكثار من الطاعات ، ولكن قد تعوقه العوائق ، وتشغله المشاغل .. فحين يجتمع مع قوم مؤمنين ربّانيّين ينشطون للطاعة، ويُقْبِلون بكلّيتهم على العبادة .. فإنه يتأسّى بهم ، وينشط مثلهم ، ويعمل كعملهم . ففي مثل هذه الأحوال قد يوسوس له الشيطان ، ويزيّن له المراءاة .. كأن ينفث في نفسه : « **إذا عملت غير عملك المعتاد وأكثرت من النوافل والطاعات أمام الناس كنتَ مرائيًا** » .

فلا ينبغي للداعية أن يتلفت إلى وساوس الشيطان ، ومزالقه المُغْوِية .. وإنما ينبغي أن ينظر إلى نيّته الصالحة ، وقصده الطيّب .. إذا أراد من الاستكثار في العبادة ، والإقبال عليها .. النشاط والاستزادة تأسّيًا بأولئك الصالحين الذين لا يشقى بهم جليسهم ، ورحم اللّه من قال :

---

(1) سورة الحشر الآية : 18 .

(2) سورة الحاقة الآية : 18 .

تشبّهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبّه بالكرام فَلاح

ومما يشهد لما ذكرناه حديث رواه الشيخان عن أبي هريرة – رضي اللّه عنه – عن النبي ﷺ واللفظ لمسلم : « إنّ للّه تبارك وتعالى ملائكة سيّارة فُضْلاً يتّبعون مجالس الذكر ، فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذِكْرٌ قعدوا معهم ، وحفّ بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتى يملؤوا ما بينهم وبين السماء ، فإذا تفرّقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء ؛ قال : فيسألهم اللّه عز وجلّ وهو أعلم بهم : من أين جئتم ؟ فيقولون : جئنا من عند عبادك في الأرض يسبّحونك ، ويكبّرونك ، ويهلّلونك ، ويحمدونك ، ويسألونك . قال : فما يسألوني ؟ قالوا : يسألونك جنّتك ، قال : وهل رأوا جنّتي ؟ قالوا : لا أيْ ربِّ ؛ قال : فكيف لو رأوا جنتي ؟ قالوا : ويستجيرونك ، قال ومِمّ يستجيروني ؟ قالوا : من نارك يا رب ، قال : وهل رأوا ناري ؟ قالوا : لا ، قال : فكيف لو رأوا ناري ؟ قالوا : ويستغفرونك .. قال : فيقول : قد غفرتُ لهم وأعطيتُهم ما سألوا ، وأجرتُهم ممّا استجاروا .. قال : فيقولون : **ربّ فيهم فلانٌ عبدٌ خطّاء إنما مرّ فجلس معهم؟ قال : فيقول : وله غفرتُ هم القوم لا يشقى بهم جليسهم** » [1] .

فإذا كان الخطّاء المذنب – كما يوجه إليه الحديث – قد شملته مغفرة اللّه ورحمته بفضل صحبة الذّاكرين والسّائلين أصحاب القدوة .. فكيف بمن هو صالح في ذاته ، ومستقيم في سلوكه .. ويريد أن يستكثر من الخير والطاعة بفضل مجالستهم ، والتأسّي بهم ، فلا شك أن الأجر له أكثر ، والرحمة الربّانية الغامرة لشخصه أعظم ..

مما ذكرنا يتبينّ أن النّشاط في العبادة ، والاستزادة منها بصحبة الصالحين .. ليس من المراءاة في شيء ، ومدار هذا كلّه يعود إلى النيّة الصالحة ، والقصد الطيّب .

جنّب اللّه الدعاة ، وسائر العاملين في الحقل الإسلامي الرّياء ، ومزالقه الخطيرة ، وخطراته الآثمة .. لتكون أعمالهم خالصة لوجهه الكريم .. إنّه بالإجابة جدير .

* * *

(1) اللؤلؤ والمرجان (3 / 223) برقم (1722) .

ب - النفاق :

النفاق – في نظر الإسلام – آفة خطيرة من أعظم الآفات الاعتقاديّة والسلوكيّة التي تحلِق الدين ، وتستأصل المروءة والخُلُق ، بل تجعل من المنافق إنسانًا تافهًا حقيرًا منبوذًا .. لا وزن له ولا اعتبار ولا كرامة عند اللّه ، وعند أهل التقوى والمغفرة .. وقد قسّمه علماء الإسلام إلى قسمين :

أ – النفاق الاعتقادي .

ب – النفاق العملي .

*** فالنفاق الاعتقادي :**

هو أن يتظاهر المنافق بالإسلام ، ويبطن الكفر ، ليقوم بدوره في محاربة العقيدة الإسلاميّة ، والتآمر على المسلمين كلما سنحت له الظروف ، وواتته الفرص دون أن يرعى في مؤمن إلاً ولا ذمة ، ودون أن تأخذه به شفقة ولا رحمة !! .

ومن أوصافهم وطبائعهم كما حكاها القرآن الكريم :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ۝١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝١٣ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ [1] .

على ضوء هذه الآيات البيّنات التي تنطق بالحق يتبيّن أن الذي ينافق نفاقًا اعتقاديًا غير مؤمن ؛ لأن قلبه مريض وعفِن ، وادّعاءه للإسلام زور وكذب ، وسعيه إلى الفتنة والإضرار بالمسلمين متلاحق ودائم ، وإتيانه المؤمنين بوجه والمنافقين بوجه أمر متحقّق ومتأصّل ..

من أجل هذا كان هذا النمط من المنافقين أشدّ النّاس عذابًا يوم القيامة ، بل

(1) سورة البقرة الآيات : 8 : 12 .

مقامهم في جهنّم في الدّرك الأسفل منها ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (1) .

نماذج من فرق النفاق الاعتقادي :

أ – **فرق باطنيّة كافرة** : منها مَنْ تقول : بألوهيّة علي – كرّم الله وجهه – وهم النصيريّون ، ومنها مَنْ تقول : بألوهية آغاخان وهم الإسماعيليّون ، ومنها من تقول : بألوهية الحاكم بأمر الله وهم الدّروز ، ومنها من تقول : بألوهيّة بهاء وهم البهائيّون ، ومنها من تنكر الخالق ، وتنبذ الأديان ، وتستبيح المحرمات .. وهم الملحدون الدهريّون .. ومنها .. ومنها .. وهذه الفرق كلّها ليس منها من عمل أو مهمّة سوى أن تكيد للإسلام والمسلمين جهرًا أو خفية .. على حسب الظروف ، وعلى حسب ما يرون الفرصة سانحة ، ولقد ذاق المسلمون عبر التاريخ الكثير من كيد مؤامراتهم ، ومكر فتنهم ودسائسهم !!

ب – **فرق أصحاب المطامع الخسيسة** : كفرق التنظيمات الماسونيّة السرّية التي تديرها في الخفاء اليهوديّة العالمية بالتعاون مع الاستعمار ، هذه الفرق السرّية تتظاهر بالإسلام تقيّة ، وتضمر الكفر كيدًا ، لتقوم بمهمّة « **الطابور الخامس** » في أداء خدمتها لليهود ، وللمستعمرين ، وغيرهما من أعداء الإسلام .. مقابل جاه رخيص ، ومنفعة دنيويّة .. ومهمة هذه التنظيمات الماسونيّة الأساسيّة : إقامة دولة إسرائيل في قلب البلاد العربيّة الإسلاميّة ، والسيطرة على الموادّ الخام ، والمواقع الاستراتيجيّة في العالم الإسلامي ، وهدم العقيدة الإسلاميّة من نفوس الجيل المسلم ، وصرف الشباب الإسلامي عن الجبهات المرسومة للكفاح والجهاد ، وربط سياسة البلاد الإسلاميّة بعجلة الاستعمار !! . ورجالات هؤلاء الفرق هم – على الأغلب – ممن يدينون بديننا ، ويتكلّمون بألسنتنا .. فالدافع إذن لهذا النفاق الآثم المتآمر خسيس دنيء من أجل جاه رخيص ، وعَرَض زائل .

ج – **فرق أصحاب العقائد الضالّة** : كفرق الشيوعيّة ، والقوميّة ، والاشتراكيّة .. هذه الفرق تعطي ولاءها الخالص ، وانقيادها التام .. لأئمة الكفر والضلال في العالم الغربي ، أو العالم الشرقي .. تعطي ولاءها وانقيادها لأولئك من أجل تنفيذ مخطّطات أسيادهم من الشيوعيّين أو المستعمرين ، أو الاشتراكيّين ، في محاربة الإسلام وأهله ، والكيد للمسلمين وجماعاتهم ..

(1) سورة النساء الآية : 145 .

ولهذه الفرق العقائديّة الضالّة أساليبها المتنوعة الملتوية في إفساد عقيدة شباب الإسلام وشاباته ، وتضليل الجيل المسلم بفكره وتصوّره وأخلاقه .. هذه الفرق لها امتدادها الكبير في العالم الإسلامي عامة ، والعالم العربي خاصة ، وما أكثر ما تتقمّص ثوب الغَيْرة على الإسلام للتضليل حينًا ، وبثّ الفوضى أحيانًا وإشعال نيران الفتنة تارة ، وضرب الجماعات الإسلامية ببعضها تارة أخرى .. وفي كثير من الأحيان يكون التحدّي للإسلام صريحًا ، والمعاداة للمسلمين سافرة .. وذلك حين تكون صاحبة السيطرة والنفوذ ، وبيديها زمام القوة والسياسة .. كما يفعل رجالها في المسلمين في كثير من بلاد الإسلام من قتل وتعذيب ، وتشريد وتنكيل !! .

وهكذا يتلوّن النفاق الاعتقادي بجميع فرقه وعقائده .. ومع كلّ بيئة ، ويلبس ثوب كلّ جماعة وملّة .. ليصل في نهاية المطاف إلى هدفه الأكبر في تقويض دعائم الإسلام ، والتشكيك بعقيدة المسلمين .. ولن يصلوا إلى هدفهم الخبيث إن شاء اللّه .

*** وأما النّفاق العلمي :**

فهو لا ينفي الإيمان الاعتقادي باللّه وبالإسلام .. ولكن لضعف مَنْ يتلبّس به إيمانيًا ، وهبوط من يصطنعه روحيًا .. عَمِل عمل المنافقين ، وتخلّق ببعض أخلاقهم وطبائعهم ..

وهؤلاء المنافقون فئات :

فئة تستحيي من الناس في حال ارتكاب المخالفة الشرعية ، ولا يستحيون من اللّه – وهو معهم – في حال غيابهم عن أعين الرقباء ، وشهادة الشّهود ..

عن هذه الفئة يقول اللّه عز وجل : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ [1] وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [2] .

وفئة تأتي طائفة بوجه ، وتأتي طائفة أخرى بوجه ..

والمعنى أنها تتزلّف إلى الطائفتين المتخاصمتين ، لتُوهم كُلاً منهما أنها من محبّيها وأنصارها .. وتخبر كلّ واحدة منهما أخبارًا كاذبة ، لتزيد بينهما النفور والبغضاء .. فمن نتيجة فعل هذه الفئة أنها تُشعل نار العداوة بين الطائفتين ، وتؤجّج سعير الضغائن والأحقاد

(1) مالا يرضى من القول : أي يبيّتون أقوالاً لا يرضى اللّه عنها كشهادة الزور ، ورمي البريء ..
(2) سورة النساء الآية : 108 .

بين الفريقين ؛ وهذا العمل من النفاق هو النّميمة [1] التي نهى عنها الإسلام ، وجعلها من الكبائر .

عن هذه الفئة يقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الشيخان ومالك : « تجدون الناس معادن ، خيارهم في الجاهليّة خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ، وتجدون خيار الناس في هذا الشأن (أي في ابتغاء الإمارة) أشدهم له كراهة ، وتجدون شرّ الناس الذي يأتي هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه » [2] .

وروى الطّبراني في الأوسط عنه ﷺ : « ذو الوجهين في الدنيا يأتي يوم القيامة وله وجهان من نار » [3] .

وفئة تدخل على السّلاطين ، وتقول في حضرتهم كلامًا فيه إطْرَاء ومدح ، وإذا خرجت من عندهم قالت في حقّهم كلامًا فيه قَدْح ومذمّة ..

عن هذه الفئة يقول عبد اللّه بن عمر – رضي اللّه عنهما – في الحديث الذي رواه البخاري عن محمّد بن زيد : أن ناسًا قالوا لجدّه عبد اللّه بن عمر : إنّا ندخل على سلطاننا ، فنقول لهم خلاف ما نتكلّم إذا خرجنا من عندهم ، قال : « كنا نعدّها نفاقًا » [4] .

وفئة تجتمع فيها خصائل النفاق ، أو خصلة واحدة من خصائله .. كأن تخون إذا اؤتمنت ، وأن تكذب إذا حدّثت ، وأن تغدر إذا عاهدت ، وأن تفجر [5] إذا خاصمت ..

عن هذه الفئة يقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الشيخان : « أربعٌ مَنْ كنّ فيه كان منافقًا خالصًا ، ومَنْ كانت فيه خصلة منهنّ كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدَعَها : إذا اؤتمن خان ، وإذا حدّث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فَجَر » [6] .

تلكم أهمّ الفئات التي تدخل في زمرة النفاق العملي ، وهنا يرد هذا السؤال :

ماصفة الذين يعطون ولاءهم لأهل الكفر والإلحاد ؟

يوجد بعض مَن ينتمون إلى الإسلام ، وينتحلون صفة العلماء والدعاة .. مَنْ يعطون ولاءهم وانقيادهم لحزب ملحد ، أو هيئة باطنيّة مارقة كافرة .. من أجل جاه رخيص ، أو عَرَضٍ من الدنيا قليل ، أو مصلحة شخصيّة يسعون لها ..

---

(1) النميمة : هي نقل الكلام على وجه الإفساد .

(2) اللؤلؤ والمرجان (3 / 177 ، 178) برقم (1642) ، والموطأ كتاب الكلام (21) .

(3) انظر مجمع الزوائد (8 / 95) . (4) سبق تخريجه 1 / 420 .

(5) الفجور : أن يؤكد الفاجر على دعاويه الباطلة بالأيمان الكاذبة ، أو يوجه إلى خصمه كلامًا قبيحًا فاحشًا .

(6) اللؤلؤ والمرجان (1 / 12) برقم (37) .

وإذا سألهم أهل الإيمان والتقوى عن سبب انخراطهم في حزبهم ، وانتمائهم إليهم ، وإعطائهم ولاءهم .

أجابوا : إنّنا في الحقيقة غير مؤمنين بمعتقداتهم ، وغير راضين عن كفرهم وضلالهم .. وأكثر ما هنالك أننا نسعى جهدنا في دفع الشرّ عن المسلمين ما أمكن ، وندفع تيّار الفساد عن بلاد الإسلام ما استطعنا إلى ذلك سبيلا !!

وإذا قيل لهم : ماذا دفعتم وماذا حقّقتم والفساد على يد هؤلاء الملحدين أو الباطنيّين ينتشر ، ومخططاتهم اللادينيّة تدمّر الأخضر واليابس ، وتعمّ البلاد والعباد ؟!!

فحينما يُحرجون بمثل هذه الأسئلة التي تُخرسهم وتُلقمهم الحجر .. فلا يجدون بدًّا سوى أن يقولوا : إننا في الحقيقة انتمينا إليهم ، وأعطيناهم ولاءنا .. من أجل تحقيق مصالح شخصيّة ، ودفع أذىً يصيبنا منهم .. ليس إلا .. !!

وقد صوّر القرآن الكريم حال أولئك الموالين أصحاب المصالح والغايات .. بأنّهم مرضى في قلوبهم ،وجبناء في واقعهم ، ومضلّلين غيرهم في انتمائهم .. قال تعالى : ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [1] .

بل نجد القرآن الكريم وصمهم بالنفاق ، وتوعّدهم بالعذاب الأليم ، لكونهم ابتغوا عند هؤلاء المارقين الضالّين العزّة ، وأنذرهم إن لم يكفّوا عن ولائهم لهم ، ويبتعدوا عن مجالستهم إنهم إذن مثلهم .. وسيكون مصيرهم جميعًا جهنّم وساءت مصيرًا .. قال جلّ جلاله : ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [2] .

فإذا اعتبرنا هؤلاء من المنافقين عمليًا فإنّهم – ولاشكّ – من أشدّ الفئات خطرًا على الإسلام ، ومن أعظمها ضررًا على المسلمين .. ذلك لأنّهم كثّروا في المجتمعات الإسلامية سواد الضالّين والملحدين بانتمائهم إليهم ، وإعطاء الولاء لهم .. وفي الوقت نفسه حين يصلون – عن طريق الولاء للكفر – إلى مناصب قياديّة وإداريّة ..

---

(1) سورة المائدة الآية : 52 .

(2) سورة النساء الآيات : 138 - 140 .

فإنّهم سيقومون حتمًا بتنفيذ مخططات أسيادهم من أحزاب الكفر ، وهيئات الضّلال .. رضوا أو كرهوا .. وإلا .. فإنهم سيتعرّضون للأذى ، أو السّجن ، أو القتل أحيانًا !!

هؤلاء النّمط من الموالين والمنتمين .. إن بقوا على ولائهم وانتمائهم والانقياد لهم .. فإنّهم يوصَمون بالردّة ، ويدخلون في دائرة النفاق الاعتقادي الذي يخرج صاحبه من ملّة الإسلام .. مهما صاموا وصلّوا وزعموا أنهم مؤمنون !!

ذلك لأنّه سبحانه نهى بشكل قاطع لا يقبل الالتباس والجدل أن يتّخذ المؤمنون الكافرين أولياء يُلقون إليهم بالمودّة ، ويعطونهم الطاعة والولاء سواء كانوا أهل كتاب ، أو مشركين ، أو ملحدين ، أو باطنيّين ..

● يقول تعالى في النهي عن اتخاذ أهل الكتاب أولياء وأنصارًا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [1] .

● ويقول سبحانه في النهي عن اتخاذ أهل النسب والعشيرة المحادين للّه ورسوله أهْلَ ودّ ومحبّة : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ .. ﴾ [2] .

● ويقول جلّ جلاله في النهي عن اتّخاذ الكفّار بشكل عام أولياءَ وأهلَ طاعة ومحبّة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [3] .

ولا يفهم من قوله تعالى : ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [4] .

لا يفهم من قوله سبحانه : ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ ﴾ جواز الولاء لهم ، والانتماء إليهم لاتّقاء شرّهم وأذاهم ، وإنما معنى الآية – كما فسّرها المفسّرون – : (أن المسلمين إذا كانوا مع قوم كفار وليس لهم شوكة ولا قوّة .. أو كان الكفار غالبين وظاهرين عليهم .. فعندئذ يرخّص للمسلمين مداراتهم باللسان مخافة وقوع

(1) سورة المائدة الآية : 51 .
(2) سورة المجادلة الآية : 22 .
(3) سورة المائدة الآية : 57 .
(4) سورة آل عمران الآية : 28 .

الضرر عليهم في عرض أو نفس أو مال .. على أن لا تنطوي قلوبهم على شيء من مودّتهم ومحبّتهم ، بل يدارونهم وهم لهم كارهون .. وأن لا يعملوا أيضًا ما هو محرّم كشرب الخمر ، أو استخدامهم في الاطّلاع على عورات المسلمين ، أو الانحياز إلى الكفار في مجافاة بعض المؤمنين ..) .

فلا رخصة إذن - كما يدل عليه سياق الآية - إلا في مداراة أولئك .. باللسان فقط دون أن يكون للمحبّة القلبيّة في النفس المؤمنة أيّ نصيب ؟!

أما أن يواليهم المسلم طائعًا ، ويلقي إليهم بالمودّة مختارًا ، ويكون عينًا لهم على ملاحقة المؤمنين ، ويكثّر سوادهم بدافع المنفعة والمصلحة ، ويباسطهم ويؤاكلهم ويشاربهم .. دونما مبرّر ولا ضرورة .. فهذا كلّه ليس من التقيّة في شيء ، بل يبرهن بفعله هذا بشكل لا يقبل الجدل على أنه إنسان منهم يقوّي في المجتمع الإسلامي كفرهم وضلالهم ، ويرسّخ فيه بغيهم وإلحادهم ، ويساهم معهم في تنفيذ مؤامراتهم ومخطّطاتهم .. ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ ، ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ .

وهل من خيانة للإسلام أعظم من أن يلهث المسلم وراء أقوامٍ ضالّين ملحدين .. لا يرجون للّه وقارًا ، ولا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمّة ، وليس لهم من هدف ولا غاية سوى أن يعيثوا في الأرض فسادًا ، ويقطعوا ما أمر اللّه به أن يوصل ، ويحاربوا الإسلام وأهله ويُنكّلوا بالمؤمنين الصادقين ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ؟

في تقديري لا خيانة أعظم من ذلك !!

ألا فليستمع أولئك الوصوليّون النفعيّون إلى ما يقوله ربّ العزّة في محكم تنزيله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [1] .

اين الداعية من هذين النفاقين ؟

لا أعتقد داعية يدعو إلى اللّه على هدىً بصيرة ، ويؤمن باللّه واليوم الآخر .. ينحدر بمعتقده ودعوته .. إلى **مستوى النّفاق الاعتقادي** .. ذلك لأن هذا النّفاق - كما سبق ذكره - يُخرج صاحبه من الإسلام ، ويوقعه في الردّة .. بل يُقْذَفُ به - إن مات على ذلك - في الدّرك الأسفل من النار خالدًا فيها أبدًا !!

---

(1) سورة الأنفال الآية : 27 .

نعم قد ينزلق الداعية في بعض مواقفه وتصرّفاته - من حيث يعلم أو لا يعلم - في أن ينحدر إلى **النفاق العملي** كأن ينافق الحكام الظالمين ، أو يجالس الفسّاق المترفين ، أو تظهر منه خصلة من خصال النفاق المعروفة مثل : أن يكذب إذا حدّث ، أو يُخلف إذا وعد ، أو يفجر إذا خاصم ..

والأقبح من ذلك كلّه أن يعطي الانقياد والطاعة لحزب ضالّ ، أو رئيس ملحد ، أو هيئة لا دينيّة خارجة عن الإسلام .. فهذا الانقياد والطاعة إذا وصل بالداعية إلى حدّ الولاء والإخلاص ، وتنفيذ الكفر ومخططاته ، والإلقاء إلى أولئك بالموّدة والمحبّة .. فيكون قد انحدر - لاسمح اللّه - إلى مستوى النفاق الاعتقادي الذي يُحبط العمل ، ويُخرج من الملّة .. ولقد قال اللّه عز وجلّ عن هذه الزمرة المنافقة الضالّة .. ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۞ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۞ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا .. ﴾ [1] .

ألا فيحذر الدعاة مزالق النفاق ، وفتنة المصالح والجاه .. وليراقبوا المولى سبحانه في حركاتهم وسكناتهم ، وليحاسبوا أنفسهم في سرّهم وجهرهم ، وليحرّروا النيّة في كلّ مواقفهم الدعويّة والتبليغيّة ، وليعلموا أن اللّه سبحانه مسائلهم عن نيّاتهم وأعمالهم في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى اللّه بقلب سليم ؟!!

ما الفرق بين المنافقة والمدارة ؟

قد يقول قائل : هل مدارة السفهاء والمتنفّذين ورجال السلطة من المنافقة ، أم ماذا ؟

في الحقيقة أن المنافقة شيء ، والمدارة شيء آخر ، وإليك - أخي الداعية - وجه المفارقة بينهما :

فالمنافقة : هي - كما سبق ذكر فئاتها في النفاق العملي - أن يقول الداعية أمام الكبراء والرؤساء كلامًا فيه ثناء ومدح وإطراء .. ليس موجودًا فيهم ، وإذا خرج من عندهم قال في حقهم كلامًا قبيحًا فيه طعن وقَدْح ومذمّة .. وسبق أن تكلّمنا أن ابن عمر رضي اللّه عنهما لما سئل عن هذا قال : « كنا نعدّ هذا نفاقًا في عهد رسول اللّه ﷺ » .

وللمنافقة صور ونماذج أتينا على ذكرها ، والتفصيل فيها فيما سبق ، فارجع - أخي الداعية - إلى قسمي النفاق الاعتقادي والعملي تجد فيهما ما فيه الكفاية إن شاء اللّه ..

(1) سورة الكهف الآيات : 103 - 105 .

أما المدارة : فهي أن يداري الداعية الحصيف اللّبق فئتين من الناس :

الأولى – فئة من الكفار لها شوكة وسلطة وقوّة وغلبة .. والدّاعية قد ألجأته التقادير أن يعيش مع أهل بلده بينها ، ويدعو إلى اللّه سرًّا مع علمائها ودعاتها .. فيرخّص له شرعًا أن يداريهم باللسان مخافة وقوع الضرر عليه في عرضٍ أو نفسٍ أو مال .. على أن لا ينطوي قلبه على شيء من محبّتهم ومودّتهم وإعطاء الولاء لهم ، وأن لا يعمل ما هو محرّم كأن يُسْتَخْدَم ليكون عينًا على المسلمين ، ويبثّ الفتنة والعداوة بين جماعات المؤمنين .. وإلى هذه المداراة – كما مرّ – ألمح القرآن الكريم : ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ .. ﴾ [1] .

الثانية – فئة من السّفهاء والأشرار والمتنفّذين .. قد يُبتلى الداعية بأن يلتقي بهم ، فيجوز له شرعًا أن يداريهم باللسان أو بالابتسامة .. اتّقاء شرّهم وفحشهم ..

وهذا ما جاء به الهدي النبوي في الحديث الذي رواه الإمام البخاري عن السّيدة عائشة أمّ المؤمنين رضي اللّه عنها : أنّ رجلاً استأذن على النّبي ﷺ فقال : « ائذنوا له فبئس ابن العشيرة » (أو بئس أخو الشعيرة) فلما دخل ألان له الكلام .

فقلتُ له : يا رسول اللّه قلت ما قلت ، ثم ألنتَ له في القول ؟

فقال : « أيْ عائشة : إن من شرّ الناس منزلةً عند اللّه مَنْ تركه الناس اتّقاء فحشه » [2] .

وروى البخاري عن أبي الدّرداء – رضي اللّه عنه – قوله : « إنّا لنكشّر (أي نبتسم) في وجوه أقوامٍ ، وإنّ قلوبنا لتلعنُهم » [3] .

فالداعية الذكيّ الموفق حين يرى نماذج من الناس ليسوا على مزاجه ، أو رأى منهم شدّة وغلظة .. لابدّ أن يتذرّع بالصبر والمصابرة على ما يلقى من هؤلاء من أذى ، ولا يعدم وسيلة – إن كان لبقًا ليّنًا – في مداراتهم ، وحسن سياستهم ، واستمالتهم إلى الحق .. عسى اللّه سبحانه أن يُلقي في نفوسهم الهداية ، ويشرح صدورهم للإسلام . وقد تنقلب عداوتهم إلى محبّة ، واستهزاؤهم إلى جدّ ، وغلظتهم إلى لين ، وضلالهم إلى هدى .. ولأن يهدي اللّه بك رجلاً واحدًا خير لك مما طلعت عليهم الشمس وغربت ..

---

(1) سورة آل عمران الآية : 28 .

(2 ، 3) سبق تخريجه (1 / 395) .

ما علاج آفة النفاق ؟

بعد أن عرّفنا – أخي الداعية – حقيقة النفاق ، وذكرنا أنواعه وتقسيماته ، وبيّنا فِرَقَه وفئاته .. وبعد أن وضحنا لك الفرق بين المنافقة والمدارة ..

بعد هذا كلّه نعرّج بعون اللّه تعالى إلى علاج النفاق من السلوك ، واستئصال شأفته من النفوس .. واللّه المستعان ، وعليه التّكلان .

* * *

سبق أن ذكرنا أن علماء السّلف قسّموا النفاق إلى قسمين :

الأول – النفاق الاعتقادي الذي هو التظاهر بالإسلام وإبطان الكفر لمحاربة الإسلام وأهله ..

الثاني – النفاق العملي الذي هو التخلّق بأخلاق المنافقين ، والاتصاف ببعض صفاتهم ..

أما علاج النفاق الاعتقادي :

فليس له ثمّة من علاج إلا أن يتبرّأ صاحبه من الكفر وأهله ، ويقبل على الإيمان والإسلام بصدق واعتقاد وإخلاص ، ويعلن لمن عرفوه أنه كان على زيغ وكفر وضلال ، وأنه أصبح الآن من المؤمنين الصادقين المخلصين يعمل للإسلام معهم ، ويجاهد في سبيل اللّه جهادهم .. فإن فعل ذلك فاللّه سبحانه بمنّه وكرمه يقبل منه توبته الصادقة ، وإيمانه الخالص .

بل يصبح من عباده المؤمنين التّائبين المستغفرين المتّقين الآمرين بالمعروف والنّاهين عن المنكر .

وعليه بعد أن آمن وتاب ، ودخل حظيرة الإيمان والإسلام .. أن تُزال من نفسه الشُّبه ، ويُصحّح له التصوّر الفاسد عن الإسلام ، وأن يبيّن له أيضًا مآل المنافقين ومصيرهم ، وأنهم في الدّرك الأسفل من النار .. كما على أهل الإيمان والتقوى أن يُحيطوه برعايتهم ، ويؤاخوه بأخوّتهم ، ويكرموه بإكرامهم ..

فإن سلك هذا المسلك بعد توبته وهدايته .. ازداد إيمانًا على إيمانه ، وفاضت نفسه بالإخلاص واليقين .. وأصبح لديه – بتوفيق اللّه – من المناعة الإيمانيّة ، والحصانة الاعتقاديّة بالإسلام .. ما يجعله يهزأ بالنفاق وأهله ، ويندم على ما فرّط في جنب اللّه ، وأن يقبل على اللّه بنفس راضية مطمئنّة ، يعمل جادًّا عازمًا لهذا اليوم الذي يُظلّ فيه المتّقين الأبرار ، والمؤمنين الصادقين الأخيار .. بظلّ رحمته ورضوانه .

وأمّا علاج النفاق العملي :

فهو تنمية جانب التقوى ، وتعميقها ، وترسيخها في نفسيّة الداعية ..

هذه التقوى إن نمّيت ، وعمّقت ، ورسّخت .. في نفسيته ، وأعماق قلبه وضميره .. فإنها تجعل من الداعية إنسانًا قويّ الإيمان ، ثابت العقيدة ، راسخ اليقين .. لا يراه اللّه حيث نهاه ، ولا يفتقده حيث أمره .. بل يتّقي عذاب اللّه بصالح أعماله ، وخالص طاعاته .. بل يقول قولة الحق برباطة جأش ، وشجاعة قلب .. لا ينافق أمام حاكم ، ولا يتزلّف لطاغية ، ولا يخاف في اللّه لومة لائم .. بل يضع نصب عينيه إرضاء اللّه قبل إرضاء الناس ، وخشيته قبل خشية العباد .. بل يكون واضحًا صريحًا أمام اللّه ، وأمام الناس لا يكذب إذا حدّثهم ، ولا يخلف إذا وعدهم ، ولا يفجر إذا خاصمهم .. ولا يفعل أيّة خصلة من خصائل النفاق .. بل لا يأتي طائفة بوجه ، وطائفة بوجه آخر ، لأن ذا الوجهين - كما ألمحنا - لا يكون عند اللّه وجيهًا ..

ولكن هذه التقوى ما السبيل إلى تنميتها وتعميقها وترسيخها في أعماق نفسيّة الداعية ، وفي ذرّات كيانه وأحاسيسه ؟

السبيل إليها :

- **بالمعاهدة** : التي تجعل الداعية أن يبقى على العهد ، ويستقيم على شريعة اللّه .
- **وبالمراقبة** : التي تجعل منه إنسانًا يستحضر دائمًا خشية اللّه في السرّ والعلن .
- **وبالمحاسبة** : التي تجعل منه رجلاً يحاسب نفسه على الصغيرة والكبيرة قبل البدء بالعمل ، وفي أثنائه ؛ ليكتمل إيمانيًا ، ويرتقي سلوكيًا وأخلاقيًا .
- **وبالمعاقبة** : التي تجعل منه مسلمًا يحاسب نفسه بعد مضيّ العمل .. ويعاقبها إن قصّرت بعقوبة شرعيّة جائزة ، ليفطم نفسه عن المخالفة ، وتعود إلى أصالتها بعد المعاقبة ..
- **وبالمجاهدة** : التي تجعل منه مؤمنًا يجدّد لنفسه نشاطها إن تثاقلت ، ويميت فيها خمولها إن استرخت ..

بهذه السّبل الإيجابيّة ، والمراحل العمليّة .. تصبح التقوى عادة كريمة من عادات الدعاة ، وخُلقًا أصيلاً من أخلاقهم ، بل يتدرّجون بشكل مطرد نحو الروحانية المتحقّقة ، والكمال الإنساني المنشود ، وإن نسينا فعلينا أن لا ننسى الروافد التي

تغذّي هذه الروحانية والتقوى .. فالروافد نصنّفها إلى صنفين أساسيّين :

الأول – روافد تتصل بالاستشعار النّفسي .

الثاني – روافد تتصل بالجانب العلمي .

أمّا مَا يتصل بالاستشعار النفسي فيكون :

* بتعميق المراقبة للّه ودوامها ..
* وباستحضار الموت وما بعده ..
* وباستعراض الآخرة وأحوالها ..

وأما ما يرتبط بالجانب السلوكي والعملي فيكون :

* بالإكثار من تلاوة القرآن الكريم مع التدبّر الخاشع .
* وبالتأسّي بالنبيّ ﷺ في سيرته العطرة وشمائله الفريدة .
* وبمصاحبة الأخيار الربّانيّين من أصحاب القلوب وأهل المعرفة باللّه .
* وبمداومته على ذكر اللّه عزّ وجلّ في كل الأوقات والأحوال .
* وببكائه في خلواته من خشية اللّه .
* وبحرصه الشّديد على التزوّد من عبادة النافلة على الدوام .

تلكم – إخوتي الدعاة – **الخطوط العريضة** في الرّوافد التي تغذّي الروحانية ، وتعمق التقوى وترسّخها في نفسيّة الداعية ، وهي إن نفّذها الداعية وقام على تطبيقها شعوريًّا وسلوكيًّا وعمليًّا .. فإنه يتحرّر من النفاق العملي ، والأخلاق السافلة الهابطة .. بل يكون كالملك في الطهر ، والمرشد الرّبّاني بالإخلاص ، والصدّيقين بالقدوة .. أقول عن هذه الروافد : **إنها خطوط عريضة** .. لأن هذه السُّبُل التي تؤدّي إلى التقوى ، وهذه الروافد التي تغذّي الروحانية في نفوس الدعاة قد أتينا على ذكرها ، وفصّلنا كلّ التفصيل فيها في فصل « **روحانيّة الداعية** » ، فارجع – أخي الداعية – إلى الفصل المذكور تجد إن شاء اللّه ما فيه الكفاية ، وما يروي الغليل .

جنّب اللّه الدعاة ، وسائر العاملين في الحقل الإسلامي النفاق ، ومزالقه الخطيرة وسلوكيّاته الآثمة .. ليثق النّاس بهم ، ويستجيبوا لدعوتهم ، ويقتدوا بمواقفهم واستقامتهم ، وينهجوا على طريق الدعوة والعمل للإسلام نهجهم ، ويسيروا على

درب البناء والإصلاح سيرهم .. والله يتولّى الدعاة العاملين المخلصين .

* * *

ج - العُجبُ :

قال الإمام الغزالي في كتابه « إحياء العلوم الدين » في تعريف العجب : (العُجْبُ هو استعظام النّعمة والرّكون إليها مع نسيان إضافتها إلى المُنعِم) .

فبناءً على هذا التعريف نقول : إنّ المعجَب بنفسه هو من أعطاه الله علمًا ، أو جاهًا ، أو قوّة ، أو جمال هيئة ، أو نسبًا ، أو مالاً ، أو كثرة أولاد ، أو عقلاً وفطانة .. أعطاه هذا أو بعضًا من هذا .. ثم لا يخاف ما أعطاه الله من نعمة زوالها ، ولا ينسب هذه النّعمة إلى مُوهبها وهو الله عز وجل ، بل ينظر إلى كونها كمالاً له يفرح به ويطمئنّ إليه ، كأنه يرى أنه شيء يستحقّه ولا فضل للّه عليه ، بل هو كمال لا يزول عنه ؛ وهذا هو المُعْجَب .

وقد جاء ذمّ المُعجب في القرآن الكريم ، والسنّة المطهرّة ، وأقوال السّلف :

● **أما القرآن** فيقول الله تعالى في أكثر من آية :

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا .. ﴾ [1] ، قال الله ذلك في معرض الإنكارعلى إعجابهم بالكثرة .

﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ﴾ [2]، فعاقب الله اليهود لإعجابهم بحصونهم وشوكتهم ..

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [3] ، وهذا أيضًا مردّه إلى العجب بالعمل .

● **وأما السنّة النبويّة** فالنبي عليه الصلاة والسلام ذمّ العجب في أكثر من حديث :

روى الشيخان عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « بينما رجل يتبختر في بُرْدَته (أي ثوبه الجميل) إذ أعجبته نفسه ، فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها [4] إلى يوم القيامة » [5] ، وهذا هو **الإعجاب بالثوب والمال ..**

---

(1) سورة التوبة الآية : 25 . (2) سورة الحشر الآية : 2 . (3) سورة الكهف الآيات : 103 - 104 .
(4) المراد يتحرك إلى أسفل في اضطراب شديد . (5) انظر اللؤلؤ والمرجان (3/ 36) برقم (1351) .

روى أبو داود والترمذي عن أبي ثعلبة عن النبي ﷺ أنه قال : « .. ائتمروا بالمعروف ، وانتهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيتمْ شحًا مطاعًا ، وهوىً متبعًا ، ودنيا مُؤْثَرَة ، وإعجاب كلّ ذي رأي برأيه ، فعليك بنفسك ، ودَع عنك أمر العوامّ »[1] وهذا هو **الإعجاب بالرأي** .

ومما ثبت عنه عليه الصلاة والسلام : « ثلاث مهلكات : شحّ مطاع ، وهوىً متّبع ، وإعجاب المرء بنفسه »[2] ، وهذا **هو الإعجاب بالنفس** .

● **وأمّا ما قاله السّلف[3] في ذم العجب فهو كما يلي :**

قال ابن مسعود رضي اللّه عنه : « الهلاك في شيئين : العجب ، والقنوط » .

وقال مطرّف رحمه اللّه : « لأن أبيت نائمًا وأصبح نادمًا ، أحبّ إليّ من أن أبيت قائمًا (أي مصليًا) ، وأصبح معجبًا » .

وقيل في الحِكم : « لأن تضحك وأنت معترف بذنبك ، خير من أن تبكي وأنت مدِلّ بعملك » .

فظهر مما أوردناه أن العجب مذموم في القرآن ، والسنّة ، وأقوال الأئمة .

كيف يدخل العجب على الدعاة ؟

قد يدخل العجب على نفس الداعية من حيث لم يحتسب وهو يظنّ أنه يحسن صنعًا ..

فمن مداخله : أن يعجب الداعية كل العجب ببلاغته ، وجمال منطقه ، وطلاقة لسانه ..

ومن مداخله : أن يغتبط ويسرّ ويفرح حين يتحدث النّاس عن أعماله ونشاطه ، ومدى أثره وتأثيره ..

ومن مداخله : أن يعتقد أنه أصبح ذا شهرة علميّة ، وشخصيّة دعويّة عالميّة ..

ومن مداخله : أن يقتنع أنه إذا عالج في المجتمع مشكلة ، أو أصدر في مجال العمل الإسلامي رأيًا .. لا يستطيع أحد أن ينحو نحوه ، أو أن يأتي بمثله ..

(1) سنن أبي داود (4341) ، والترمذي (3058) .
(2) الحديث حسن لغيره ، لتعدّد طرقه ، وانظر مجمع الزوائد (1 / 91) .
(3) ارجع إلى كتاب « مختصر منهاج القاصدين » ص 243 .

ومن مداخله : أن يرى الناس يعظّمونه ، ويثنون عليه ، ويقومون على خدمته ..

ومن مداخله : أن يجد المدعوّين قد ازدحموا على درسه ، ووثقوا به ، وتجمّعوا حوله .. إلى غير ذلك من هذه المداخل الشيطانية التي تدخل على نفوس الدّعاة ، وتجعل منهم أناسًا يغترّون بمواهبهم ، ويعجبون بأنفسهم ..

نعم يقع الداعية في العُجْب إذا استعظم ذلك كلّه ، ونسبه إلى نفسه ، ونسي أن المُنْعِمَ المتفضّل .. هو اللّه عزّ وجلّ .

أما إذا كان الداعية مرتاحًا لما كلّفه اللّه به من أعباء ومسؤوليّات .. وراضيًا بما أوجبه عليه من تبليغ الدعوة ، وحمل رسالة الإسلام .. ونسب كلّ ما حقّقه في المجتمع من أثر وتأثير ، وإصلاح وتغيير .. وكلّ ما وهبه اللّه إياه من سداد الرأي ، وسعة العلم ، وطلاقة اللسان ، وقوّة الحجّة ، ومظهر الإكرام .. إلى ربّ العزّة والجلال ، فهذا كلّه ليس من العُجْب في شيء ، ولو وجد في نفسه نشوة وغبطةً وسرورًا .

ولكن ما علاج العجب في الدعاة ؟

على ضوء ما ذكرناه من تعريف العجب ، ومن مداخله على نفوس الدعاة .. على الداعية إذا أحسّ من نفسه أنه اعتراه شيء من العجب فليسارع إلى معاجته ، واستئصال شأفته من نفسه ، خشية أن يقع فيما هو أدهى وأمرّ .. ألا وهو زهو الكبر ، وغطرسه الخيلاء ؟!!

أما علاج العجب فهو كما يلي :

أولاً – على الداعية أن يعلم أن اللّه عز وجلّ هو المنْعِم عليه بوجوده في الحياة ، وبمنحه القدرة والذكاء ، والعلم والمعرفة ، والصحة والجمال ، والغنى والجاه ، والتوفيق والهداية .. فلا معنى لأن يعجب الداعية بقوته وذكائه ، ولا بعلمه ومعرفته ، ولا بأثره وتأثيره ، ولا بغناه وجاهه .. إذ كلّ ذلك من فضل اللّه عليه ، وتوفيق اللّه إيّاه .

فإن سلبه العقل فكيف يتعلم ويتفقه ؟ وإن سلبه الصحّة والقدرة فكيف يتحرّك ويعمل ؟ وإن سلبه التوفيق والهداية فكيف يصلح ويغيّر ؟

فعلى الداعية إذن أن لا ينسب شيئًا من الفضل والخير إلى نفسه ، بل ينسبه إلى مسبّبِه وموجِده وهو اللّه عز وجل ..

والرسول صلوات اللّه وسلامه عليه الذي هو القدوة لأمّته كان يقرّر أن العبد مهما سما عمله الصالح لا يدخل الجنّة أبدًا بعمله ، بل بفضل اللّه ورحمته .. ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يدخل أحدكم الجنّة بعمله » ، قالوا : ولا أنت يا رسول اللّه ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدني اللّه برحمة منه وفضل »[1] .

ثانيًا – على الداعية أن يعلم أنه إذا تمادى في العُجب ، واستمّر عليه .. فإنّه يتدرّج في الكِبْرِ لا محالة ، ولا يخفى أن الكِبر هو من أعظم الآفات النفسيّة التي تحلق الدّين ، وتقتل المروءة ، وتميّع الشخصية ، وتدخل صاحبها النار .. وسوف يأتي الكلام عن ذمّ الإسلام لهذه الآفة الخبيثة في الإنسان ، ومآل المتكبّرين يوم القيامة .

ثالثًا – على الداعية حين يخلو بعد مضيّ العمل إلى نفسه يسائلها ويقول : هل وقعت يا نفس في آفة العجب في قول أو فعل ؟ هل أخذك الغرور في علم أو جاه ؟ هل داخلك الزهوّ في إصلاح أو هداية ؟ .. هل كذا ؟ هذ كذا ؟ ...

فإن وجد في نفسه شيئًا بعد هذه المساءلة والمحاسبة .. فليتُب إلى اللّه ، وليندم على ما فعل ، وليعاهد اللّه على أن لا يعود .. واللّه سبحانه يتقبّل من التّائبين المستغفرين ..

جنّب اللّه الدعاة العجب ، ومداخله المفضية إلى الكبر .. عسى اللّه سبحانه أن يفتح بهم قلوبًا غُلْفًا ، وآذانًا صمًّا ، وأعينًا عميًا .. وعسى اللّه بفضل إخلاصهم وتقواهم ، ونسبتهم الفضل إلى اللّه في كلّ أعمالهم .. ينفع بهم ، ويحقّق الخير على أيديهم ، ويتولّاهم في الدنيا والآخرة .

* * *

د - الغرور :

الغرور هو : أن يُلبّس الإنسان على نفسه الحقائق ، ويُريها الأمور على خلاف ما هي عليه ، ويعطيها من المقام الأرفع ، والمنزلة العليا بما لا تستحّقه ، وهو يحسب أنه يحسن صنعًا .

وماذاك إلا لضعف في البصيرة ، وجهل بمكائد الشيطان ، واستشراف للأنانيّة ، وعدم الاكتراث بأقدار الناس ، والتمادي في الهوى ونزعات النفس الأمّارة ..

---

(1) انظر اللؤلؤ والمرجان (3 / 284) برقم (1793) .

والفرق بين العجب والغرور هو **فرق دقيق متباين** :

فالعجب : هو استعظام النّعمة الموجودة في المعجَب ، ثم نسبتها إلى نفسه دون أن ينسبها إلى مُوهبها وخالقها وهو اللّه عز وجلّ .

وأما الغرور : فهو ادّعاء قضايا ، وتلبيس حقائق غير موجودة في المغرور ، ونسبتها إلى نفسه ، وإعطاء نفسه من العظمة والأماني الكاذبة العريضة بما لا يستحقّه مع الاسترسال في بحر الأوهام والأحلام ..

وقد جاء **ذمّ الغرور** في القرآن والسنّة :

● **أما القرآن** :

فيقول اللّه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ (1) .

ويقول جلّ جلاله : ﴿ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ (2) .

ويقول ربّ العزة والجلال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ .. ﴾ (3) .

● **وأما السنّة** :

فقد روى أحمد والحاكم وابن ماجه .. عن النبي ﷺ : « الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنّى على اللّه الأماني » (4) .

فهذا الحديث تنديد واضح بالذين يُتْبِعُون أنفسهم هواها ، ويغترّون بالركون إلى أمانيها وخُدَعها الكاذبة .

وروى الترمذي وابن ماجه وابن أبي الدنيا عن أبي هريرة – رضى اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ : « ما ضلّ قوم بعد هدىً كانوا عليه إلا أوتوا الجدَل » ثم قرأ : ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ ﴾ (5) .

فهذا الحديث تقبيح ظاهر بالذين اغترّوا بعملهم ، وبنوا جدلهم على غير علم

(1) سورة فاطر الآية : 5 . (2) سورة الحديد الآية : 14 . (3) سورة الانفطار الآية : 6 .

(4) مسند الإمام أحمد (4 / 24) ، والحاكم (1 / 57) ، وسنن ابن ماجه (4260) .

(5) سورة الزخرف الآية : 58 والحديث في سنن الترمذي (3253) ، وسنن ابن ماجه (48) ، وانظر الطبراني (8/333) .

وهدى وكتاب منير ..

وروى الشيخان وغيرهما عن عائشة – رضي اللّه عنها – قالت : قال رسول اللّه ﷺ : « إن أبغض الرّجال إلى اللّه الألدّ الخَصِم » [1] .

فهذا الحديث ذمّ واضح للذين اغترّوا بقوة حجّتهم في مخاصمة خصومهم بنيّة الغَلَبَة عليهم ، ولو كان الخصوم على حقّ .

فيتبينّ من هذه النّصوص أن الغرور مستقبح شرعًا ، وأنه من الآفات التي توقع الإنسان في الكذب ، وتؤدّي به إلى الكِبْر ، وتجعله مبغوضًا مذمومًا عند اللّه وعند الناس ..

كيف يدخل الغرور على الدعاة ؟

الداعية الذي لا يمرّ في تكوينه وإعداده على مرحلة التربية الروحيّة ، والتّهذيب التربوي ، لم يتربَّ على المراقبة للّه ، والمحاسبة للنفس ، والاستمرار على العمل الصالح ، والاستقامة على منهج اللّه .. فسرعان ما ينساق مع الهوى ، وسرعان ما يركب صهوة الغرور ، وسرعان ما ينزلق مع الشّيطان .. بل تجد منه أعمالاً ومواقف وادّعاءات .. يستهجنها المسلم العادي فضلاً عن الرجل المؤمن الواعي الحصيف ..

وإليك – أخي الداعية – أظهر هذه الادعاءات والمواقف التي وقع في حبائلها بعض الدعاة :

من هذه المواقف : أن ينظر إلى نفسه بأنّه بلغ مرتبة الدعاة الكبار فى النضج ، وسداد الرأي ، وسعة العلم ، وانتشار الصّيت ، وفضل السّابقة .. هو شابّ حَدَث لم يكتمل بعد علمًا ، ولم ينضج رأيًا ، ولم يتأهّل داعية .. اللهم إلا أنه قد يحسن الكلام ، ويجيد التحدّث والإلقاء ..

وهل تكوين الدعاة مقصور على إتقان فنّ الكلام ، وطلاقة الحديث ، وذرابة اللسان ؟

من هذه المواقف : أن يدّعي أنه أُوتي ذكاءً وطاقة ومواهب وسياسة .. مما يؤهّله أن يكون قائدًا للدعوة ، وإمامًا على المسلمين ، ومرشدًا كبيرًا من المرشدين الربّانيّين .. وهو في الواقع لا يصلح أن يكون رئيسًا على عشرة ، وإمامًا في مسجد ، وواعظًا في قرية .. وهل الدعاوى العريضة المنفوشة تجعل من أصحابها دعاة ورجالًا .. أم الإخلاص ، وتسجيل المواقف ، ولغة الأعمال ؟

(1) سبق تخريجه (1 / 468) .

من هذه المواقف : أن يدّعي لنفسه أنه أصبح عالمًا بأحكام الشريعة ، فقيهًا في مسائل الدين والفتوى .. بل أصبح مؤهّلاً لأن يجيب عن كل معضلة فقهيّة لو عرضت إحداها على الخليفة الراشد عمر الفاروق لجمع لها أهل بدر !!

وهذا التجرّؤ على الفُتيا بدون علم هو الجهل بعينه ، والغرور بذاته ، وموجب دخول النار .. يقول صلوات اللّه وسلامه عليه – فيما رواه ابن عدي – : « أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار » [1] .

وهل يجوز للداعية شرعًا أن يتصدّى لكل فتوى وهو غير عالم بحكمها ودليلها ، وأن يجيب عن سؤال فقهيّ وهو جاهل به ، وغير مطّلع على أقوال الأئمة فيه ؟

بالطبع لا يجوز له ذلك ، وإذا فعل فيكون آثمًا ، ومسؤولاً عن فتواه أمام اللّه .

من هذه المواقف : أن يعلن أمام الملأ أنّ جماعته التي يعمل معها ، وينتمي إليها هي خير الجماعات وأفضلها ، وأن طريقتها في التبليغ والدّعوة هي خير الطرائق وأحسنها .. ولو كانت هذه الجماعة عفويّة في تنظيمها ، محدودة في أهدافها ، جامدة في طريقتها ، قاصرة في وسائلها ، مقتصرة في الدعوة على بعض ما جاء في هدي نبيّها !!

علمًا بأن الدعوة الإسلامية حين قامت في القرون الماضية قامت على النظام ، وحين انطلقت انطلقت على الشمول ، وحين انتشرت في الآفاق انتشرت على الأسلوب الحكيم ، والوسائل المتطوّرة .. بل حقّقت الدعوة الإسلامية خلال العصور ، وعلى مدار التاريخ أعظم الأهداف السياسية ، وأسمى الأمجاد التاريخية في بناء العزة للإسلام ، وامتداد رفعة الدولة في حياة المسلمين .

إلى غير ذلك من هذه الدعاوى العريضة التي تدفع الدعاة بالغرور ، وتُفضي بهم إلى الكِبْر .

ولكن ما علاج الغرور في الدعاة ؟

على ضوء ما ذكرناه من تعريف بالغرور ، ومن ذمّه في القرآن الكريم والسنة النبوية ، ومن ادّعاءات المغترّين العريضة .. على الداعية إذا أحسّ من نفسه أنه سوف ينزلق في متاهات الغرور ، ويقع في حبائله .. فليُسارع جهده إلى معالجته ، واستئصال شأفته .. خشية أن يفضي به من حيث يعلم أو لا يعلم إلى زهو الكِبر ، وغطرسة الاستعلاء .

---

(1) رواه ابن عدي عن عبد اللّه بن جعفر مرسلاً ، انظر كتاب « كشف الخفاء » للعجلوني ج 1 ص : 50 .

وخطوات المعالجة هي كما يلي :

أولا – أن يعرف الداعية حقيقة أمره ، وقدر نفسه ، ومبلغ علمه ومنزلته .. فلا يدّعي لشخصه ما ليس فيه ، ولا يعطي لذاته حجمًا أكثر مما تستحقّ ، بل عليه أن يكثر من قراءة أخبار السلف الصالح ، وما تميّزوا به من ورع وتقوى ، وتواضع وأدب ، واستقامة وصراحة ، واعترف بأقدار أنفسهم ، وحقيقة أحوالهم ، وإمساك عن الفتيا فيما لا يعلمون ، وإعطاء أنفسهم القدر الذي يستحقون .. دون تلبيس للحقيقة ، أو افتراء على الواقع .

فهذا المنهج – ولاشك – هو أسلم لدين الداعية ، وأحفظ لسمعته ، وأظهر لحقيقته ، وأرضى للّه وللرسول ..

ثانيًا – على الداعية أن يرجع إلى من اشتهر في زمانه في معالجة آفات القلوب ، وتزكية الأنفس من الدعاة الصالحين ، والعلماء الربّانيين .. ليسألهم عن معالجة العجب والغرور في نفوس الذين يتصدّون للإرشاد ، ويسيرون في طريق الدعوة ، وكيف السبيل إلى مناهضة هذه الآفات ، واستئصال شأفتها من النفوس ؟

فعند أولئك من الخبرة التامة ، والتجربة الحقيقّة في طرق المعالجة لمثل هذه الآفات ، بالإضافة إلى ما تميّزوا به من الطاقة الإيمانية ، والإشعاع الروحي .. في ردّ المغرورين إلى الحق ، ونقلتهم إلى عالم الصفاء ، والإخلاص ، وتزكية النفس ، والتربية الإسلاميّة الفاضلة .

فهذا المنهج – ولاشك – يربّي الداعية على الإخلاص ، ويعرّفه بحقيقته من هو ؟ فلا يدّعي لنفسه ما ليس فيه ، ولا يعطيها أكثر مما تستحق ، وإذا استمرّ على ذلك فلا ينزلق في متاهات الغرور ، ولا ينحدر في مزالق العجب والكبر ، بل يصبح إنسانًا سويًّا ، وداعية ربّانيا .. واللّه سبحانه مع المتّقين الأبرار .

ثالثًا : على الداعية حين يخلو بينه وبين ربّه في صلواته وأذكاره وقراءة القرآن أن يسائل نفسه : هل داخله الغرور في قول أو عمل ؟ هل أفتى بما لا يعلم ؟ هل ادّعى لنفسه ما ليس فيه ؟ هل أعلن أمام الملأ أنّ جماعته هي من أفضل الجماعات ؟ هل نظر إلى نفسه أنه بلغ منزلة الدعاة الكبار ؟ هل ؟ .. هل ؟ ..

فإن وجد شيئًا في نفسه بعد هذه المساءلة والمحاسبة .. فليتب إلى اللّه ، وليندم على ما

فعل ، وليعاهد اللّه على أن لا يعود .. واللّه سبحانه يتقبل من التائبين المستغفرين .

فهذا المنهج – ولاشك – يعمق في الداعية شعور المحاسبة والمراقبة للّه ، والرجوع إليه ، والاتّكال على محض فضله وكرمه ، والالتجاء إليه فيما ينوب ويروع .. مع ملازمة المجاهدة والانكسار والافتقار إليه .. واللّه سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملا .

جنّب اللّه الدعاة الغرور ، ومزالقه المهلكة ، ومداخله المُفضية إلى الكبْر .. عسى اللّه سبحانه أن يحقّق على أيديهم الخير ، ويقيم بجهودهم المخلصة دولة الإسلام .. وعسى اللّه سبحانه بفضل إخلاصهم وتقواهم ، ومحاسبتهم ومجاهدتهم لأنفسهم أن يفتح بهم قلوبًا غُلْفًا ، وآذانًا صمًّا ، وأعينًا عميًا .. ويعيد للإسلام عزتّه ودولته ، وللمسلمين وحدتهم وسيادتهم .. وما ذلك على اللّه بعزيز .

* * *

هـ - الكِبْر :

الكِبْر خلق باطني في الإنسان ، تصدر عنه أعمال ظاهرة هي ثمرته ، هذه الأعمال لا تخفى على كل ذي عقل وبصيرة ، فحين يراها الرائي يعلم علمًا أنها من علامات الكبر ، وظواهر الخيلاء .

من علامات الكِبْر التي تدلّ عليه : إظهار الترفّع على الناس .. حبّ التصدّر في المجالس .. التبختر والاختيال في المشي .. الاشمئزاز من أن يُرَدَّ عليه كلامه وإن كان باطلاً .. الاستخفاف بضعفة المسلمين ومساكينهم .. الافتخار بالآباء والاعتزاز بالنسب .. استشراف التعظيم والثناء والمدح ..

وبالاختصار نقول : (يوجد الكِبْر من أمور ثلاثة هي : أن يرى لغيره منزلة ، ويرى لنفسه منزلة ، ويرى أن منزلته فوق منزلة غيره ؛ فبهذه الثلاثة يحصل خلق الكبر الباطني في الإنسان ، ويسمى أيضًا عزّةً ، وتعظّمًا ، وتعاليًا ، وانتفاخًا ، وانتفاشًا ..

قال عمر بن الخطاب – رضي اللّه عنه – لرجل استأذنه في وعظ الناس بعد صلاة الفجر : « أخشى أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا » .

فبهذه الأحوال التي تحصل للإنسان حتى يكبر في نفسه إذا وجدت آثارها في تصرّفاته مع الغير ؛ فإنه يسمّى حينئذ متكبرًا .. فالكبر إذن حالة نفسيّة ، والتكبرّ أثر

لهذه الحالة النفسيّة) [1] .

وقد جاء ذمّ الكبر في الكتاب والسنّة .

● **أما الكتاب :**

– فإنه يعلن بلسان عربي مبين أن المتكبّرين إذا طاب لهم التبختر والتعالي على الناس في هذه الدنيا الفانية ، فإنهم قد خسروا نعيم الآخرة الباقية التي حرّمها اللّه على المتكبرين : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [2] .

– وإنه يُلقي في سمع المتكبّرين أن اللّه جلّ جلاله لا يحب كلّ مختال فخور الذي يصعّر خدّه للناس ، ويمشي في الأرض مرحًا : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ [3] خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [4] .

– وإنه يحذر كل الحذر بأن قلوب المتكبّرين مغلّفة عن الحق ، ومحجوبة عن النور .. جزاءً من اللّه وعقابًا لهم : ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [5] .

إلى غير ذلك من هذه الآيات التي تقبّح من شأن الكبر ، وتفضح أحوال المتكبّرين .

● **أما السنّة :**

فإن الداعية لو نظر في نصوص السنة المطهرة لدهش لعنايتها باستئصال شأفة الكبر من النفوس ، ونهيها عنه ، وتقبيحها له ، وتنفيرها منه :

فلقد حذرت السنة المبتلين بدائه من أن يخسروا آخرتهم كلها ولو بمثقال ذرّة من كبر ، وذلك لما روى مسلم والترمذي عن عبد اللّه بن مسعود – رضي اللّه عنه – عن النبي ﷺ قال : « لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال ذرّة من كِبْر » ، فقال رجل : إنّ الرجل يحبّ أن يكون ثوبه حسنًا ، ونعله حسنًا قال : « إن اللّه جميل يحب الجمال ؛ الكِبْر بطَرُ الحق (أي دفعه وردّه) وغمط الناس (أي ازدراؤهم واحتقارهم) » [6] .

وحسب المتكبّرين خزيًا ومهانة في الدار الآخرة أن السنّة بيّنت أن اللّه تعالى لا ينظر إليهم يوم القيامة ، ولا يكلّمهم ، ولا يزكّيهم ، ولهم عذاب أليم .. جزاءً

(1) ملخصًا من إحياء علوم الدين للغزالي « باب الكبر » مع التصرّف .

(2) سورة القصص الآية : 83 .

(3) يصعّر خدّه : معرضًا عن الناس تكبّرًا عليهم .

(4) سورة لقمان الآية : 18 .

(5) سورة غافر الآية : 38 .

(6) صحيح مسلم كتاب الإيمان ب (39) برقم (147 ، 149) ، والترمذي (1998 ، 1999) .

وفاقًا لما كانوا يمشون في الأرض مرحًا ، ويستعلون على الناس ، وذلك لما روى مسلم والنسائي عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يكلّمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكّيهم ، ولا ينظر إليهم ، ولهم عذاب أليم : شيخ زانٍ ، وملك كذاب ، وعائل (أي فقير) مستكبر »[1] .

ومما أوضحته السّنّة أوضح بيان أن الكبرياء من صفات الألوهيّة ، وليست من شأن البشر المخلوقين الضعفاء ، وأن الذين يتكبرّون في الأرض ينازعون الخالق العظيم في صفة من صفاته العليا ، ومن ثَمّ استحقوا عذابه الأليم ، وذلك لما روى مسلم وأبو داود وابن ماجه واللفظ له عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال ، قال رسول الله ﷺ : « يقولُ الله سبحانه : الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني واحدًا منهما ألقيتُه في جهنم ولا أبالي »[2] .

ومن أجل ذلك تتابعت نصوص السنة المطهّرة محذِّرة المؤمنين – ولا سيما الدعاة منهم – من أن تلابسهم نزوة من كبر في لحظة من لحظات الضعف الإنساني ، ولوّنت لهم أساليب التحذير والتنبيه لكي يبقى المؤمنون الأتقياء والدعاة في عصمة من الابتلاء بداء الكِبر الوبيل :

من هذه النصوص : « من تعظّم في نفسه ، أو اختال في مِشْيته ، لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان »[3] .

ومن هذه النصوص : « لا يزال الرجل يَذْهَبُ بنفسه (أي يغتر ويتكبّر) حتى يكتب في الجبّارين ، فيصيبه ما أصابهم »[4] .

ومن هذه النصوص : « ألا أخبركم بشرّ عباد الله ؟ الفظّ المستكبر ؛ ألا أخبركم بخير عباد الله ؟ الضعيف المستضعف ذو الطّمرين (أي الثوبين الباليين) لا يؤبَه له لو أقسم على الله لأبّره »[5] .

إلى غير ذلك من هذه النصوص النبويّة التي تحذّر من الكِبْر ، وتندّد بالمستكبرين ، وتبينّ مصيرهم ومآلهم .

كيف يدخل الكِبْر على الدعاة ؟

الذين يتصدّون للدعوة والإرشاد هم أكثر تعرّضًا لمكائد الشيطان ، ونزغات

(1) صحيح مسلم كتاب الإيمان (171 ، 172 ، 173) ، وسنن النسائي (5 / 81) .
(2) سنن أبي داود كتاب اللباس (25) ، وسنن ابن ماجه كتاب الزهد (16) .
(3) الترغيب والترهيب (3 / 569) . (4) الترمذي وحسّنه (2000) . (5) رواه أحمد في مسنده (5 / 407) .

النفس الأمارة ، وأمراض القلوب ، وآفات النفوس .. من عوامّ الناس ودهمائهم .. ذلك لأن العوام والدهماء من الناس ليس عندهم من مزايا العلم والثقافة ، وخصائص التحدث والخطابة ، ومقوّمات الجاه وبروز الشخصية .. كما عند العلماء المتخصصّين ، ورجال الدعوة والإصلاح العاملين ؛ فهذه المزايا والخصائص والمقوّمات التي تميّز بها العلماء والدعاة والمصلحون على غيرهم ، هي في الحقيقة مزالق للغرور ، والغرور طريق إلى الكبر ، والكبر يفضي بصاحبه إلى جهنم ؛ أعاذنا اللّه منها .

لذلك أجدني دائمًا في حاجة أن أكتب عن المشكلات والعقبات والأمراض التي تواجه الدعاة تنبيهًا للنفوس من الغفلة ، وإنذارًا لها من الأخطار ، وحين نتكلم عن المعالجة والحلول نفكرّ بأسباب الوقاية والحماية .. صيانةً لهذه النفوس من العلل والآفات ، وحفاظًا عليها من أن تقع في فتنة ، أو تسير في انحراف .. عملاً بقول اللّه سبحانه ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [1] .

والكبر الذي نحن بصدده هو - ولاشك - من أشدّ الأمراض خطرًا على رجال الإصلاح ، ودعاة الإسلام .. فالمجالات التي يعمل فيها الدعاة - كما المحنا - مرتع خصب ، ومزلق خَطِر لظهور هذا الداء في نفوسهم ، وبروزه في سلوكهم وتصرّفاتهم .. لذا كان عليه الصلاة والسلام - وهو سيد المتواضعين - كثيرًا ما يلجأ إلى اللّه بالدعاء فيقول : « اللهم إني أعوذ بك من نفخة الكبرياء » [2] .

وليس من قبيل العبث أن يعرض علينا القرآن الكريم في أكثر من موضع قصة إبليس الذي خرج بكبريائه واستعلائه من رحمة اللّه إلى سخطه وغضبه ، وهبط بصَلَفه واغتراره من جنّته إلى الطرد واللعنة إلى يوم الدين .. وذلك حين انتفش واستكبر ، وقال لربّ العزة جلّ جلاله حين أمره بالسجود لآدم : ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [3].

بعد الذي ذكرناه نعرّج إلى مداخل الكبر ومزالقه في نفوس الدعاة .

هذه المداخل والمزالق تبدأ بالداعية بالعجب والغرور .. وتنتهي بالكبر والاستعلاء .

وإليكم الصور والنماذج :

فالداعية الذي يغترّ بعلمه وثقافته ، ويعجب بشهاداته ودرجاته العلمية ، ويستشرف مدح المعجبين له ، وثناء الناس حوله .. هذا المزلق الشيطاني إن سار فيه ، واستمر عليه فهو من أوسع

---

(1) سورة الذاريات الآية : 55 . (2) إتحاف السادة المتقين للزبيدي (8/347 ، 361) . (3) سورة الأعراف الآية : 12 .

المزالق للكِبْر ، ومن أكبر العوامل في انتفاش الداعية وخيلائه على الأقران والدهماء ..

فعلى دعاة الإسلام أن يكونوا شديدي الاحتراس والحذر من الوقوع في مرض اغترار العلم الذي يؤدّي إلى الكبر ، إن أرادوا أن يكونوا من زمرة الدعاة المخلصين ، وعباد اللّه المتقين .

والداعية الذي يغترّ بتديّنه وعبادته ،ويعجب بورعه وتقواه ، ويستشرف إعجاب الناس به وثناءهم عليه .. هذا المزلق الشيطاني إن سار الدّاعية فيه ، واستمرّ عليه فهو من أوسع المداخل للكبر ، ومن أكبر العوامل في ظهور الرّياء فيه ، بل هو من أعظم الآفات في إحباط عمله وجهاده .

فعلى دعاة الإسلام أن يكونوا أشد حذرًا واحتراسًا من الوقوع في مرض اغترار التديّن الذي يؤدّي إلى الكبر والرياء .. إن أرادوا أن يكونوا من المتّقين الأخيار ، والمخلصين الأبرار .

والداعية الذي يتباهى بالشكل الحسن ، واللحية المهيبة ، واللباس الأنيق ، والعمامة الكبيرة ، والجبّة الفضفاضة ، أو سواها من المظاهر الشخصية ، والزينات المنزلية ويتكلّف في ذلك ، ويجهد له ، ويسعى إليه .. هذا المزلق أيضًا من المزالق الشيطانية التي تفضي إلى العجب ، وتؤدّي إلى الكبر ، وبخاصة إذا قوبلت من الآخرين بالاستحسان والثناء ، والإطراء والإعجاب ، وهنا تكمن الحكمة في قول الرسول ﷺ حين سمع رجلاً يبالغ في إطراء رجل : « ويلك ! قطعت عنق الرجل »[1] .

فعلى دعاة الإسلام أن يكونوا على حَذَرٍ دائم ، واحتراس مستمر .. من أن يقعوا في مرض اغترار **الشخصية** ، **والتّباهي بالمظهر** مخافة أن يداخلهم الكبر ، وينزلقوا في مزالق الرّياء .. لكون هذه الآفات مَهْلَكَةً للدعاة ، وَمَضْيَعَة للأعمال ، ومَقْتَلَة للإخلاص .

تلكم بعض النماذج والصور في مداخل الكبر ومزالقه على نفوس الدعاة سقناها على سبيل المثال لا الحصر ، وما أكثر النماذج والصور سواها !!

ألا فليعتبر الدعاة وليحذروا وليحترسوا .. ليكون عملهم دائمًا قائمًا على التواضع ، وخالصًا لوجه اللّه الكريم ؟!!

ما علاج الكِبْر في الدعاة ؟

على ضوء ما ذكرناه آنفًا من تعريف الكبر ، ومن ذمّه الفاضح في القرآن والسنة ،

---

(1) سبق تخريجه ص (1 / 397) .

ومن مداخله ومزالقه إلى نفوس الدعاة .. فالداعية إذا أحسّ من نفسه أنه سوف ينزلق إلى الكبر ، ويقع فى متاهاته وحبائله .. فليسارع إلى معالجته ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وليقطع دابره من نفسه مخافة إن تأصل فيه خُلُق الكبر ، ظهر على سلوكه سخط اللّه عليه ، وأحبط عمله ، وأدخله جهنم وبئس القرار .

ووسائل المعالجة هي كما يلي :

أولًا – أن يقطع الداعية من نفسه مزالق الكبر التي تفضي إليه ، **فإن كان من مزالقه الاغترار بالعلم والفصاحة واللقب العلمي** .. فليعلم أن اللّه سبحانه قادر على أن يسلبه هذه النّعم من مواهب الفصاحة ، وقوة العلم والثقافة والتفكير ، وإن من حق اللّه عليه أن يكون شاكرًا للنعمة ، غير جاحد : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [1] ، وإن من علائم الشكر للنّعمة زيادة الخوف من اللّه ، والإقبال على طاعته ، والتواضع لجلاله وعظمته ، فضلاً عن تحرير النّية في تسخير العلم ، والمواقف التعبيريّة ، والثقافة الإسلاميّة .. لهداية الناس وإصلاحهم ، ودعوتهم إلى الهدى والخير .

وإن كان من مزالقه الاغترار بالتديّن ، والافتخار بالطاعة والعبادة .. فليعلم أن التديّن الصحيح في الداعية أن يكون عاملاً كبيرًا من عوامل تزكية نفسه ، وطريقًا يصل به إلى ذروة الكمال البشري ، وحقيقة العبوديّة للّه .. وليعلم أيضًا أن التديّن حين يكون رمزًا للمباهاة ، وطريقًا إلى الغرور ثم الكبر .. يصبح المتديّن في ميزان الإسلام في خطر كبير ، وهلاك محقّق .

وإن كان من مزالقه الاغترار بالشخصية ، والتباهي بالمظهر .. فليعلم الداعية أن اللّه لا ينظر إلى الأجساد والمظاهر ، وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال ... وليعلم أيضًا ماذا سيؤول إليه الجسد ؟ وماذا سيكون عليه الإنسان بعد الموت ؟ لاشك أن الجسد مهما كان عظيمًا ، وشكله جميلاً سوف ينقلب إلى جيفة منتنة ، يجري منه الصديد ، وتأكله الديدان ، ثم يتحوّل إلى عظام ورفات ، هذا عدا عما يلقاه الجسد في الحياة البرزخيّة من نعيم أو عذاب على حَسبِ العمل في الدنيا .. إذا عرف الداعية هذا فأين له الاغترار بالشخصية ، والتباهي بالشكل والمظهر ؟!!

بهذه التصوّرات التي يتصورّها الداعية إذا وقع في حبائل الاغترار .. يستطيع أن يقطع دابر الغرور الذي يفضي به إلى الكبر .. ويصبح إنسانًا سويًّا ، وبرًّا تقيًّا ، وداعية مخلصًا

(1) سورة إبراهيم الآية : 7 .

أمينًا .. وما ذلك على اللّه بعزيز إذا حرّر النيّة ، وصدق مع اللّه ، ولجأ إليه ، وتوكّل عليه .

ثانيًا – على الداعية أن يُمعن في الآيات والأحاديث التي نفّرتْ من الكبر ، وفضحت أحوال المتكبّرين في الدنيا والآخرة ، ويحاول أن يدرك ويتعقّل ما يرمي إليه الكبر من خسارة دون أن ينال المتكبّرون من كبريائهم شيئًا إلا سُخْطَ المولى عليهم ، وعذاب اللّه لهم ،ونفور النّاس منهم ..

ومن أدرك أن كِبْرَ ساعة سوف تعقبه حسرة الأبد ، كحال من أدرك أن المتكبّرين يحشرون يوم القيامة كأمثال الذرّ ، وأن الجنّة لا يدخلها من كان في قلبه مثقال ذرّة من كبر ، وأن أهل الكبر هم أهل النار يوم القيامة ، وأن المتكبّرين محطّ سخط اللّه وعذابه ..

في تقديري أن الداعية إذا أدرك كلّ هذا ، وأمعن فيه ، وتدبّره .. تطامن وتواضع ، وخشع للّه وخضع ، وعاد إلى صوابه وارتدع ، وأصبح من الأتقياء الأبرار ، والمتواضعين الأخيار .

ثالثًا – على الداعية أن يدرك حقيقة نفسه من بدء حياته إلى يوم موته ، فلو فكّر في ذلك تفكيرًا مستنيرًا ما وجد ذلك سببًا لكبريائه وخيلائه ، وعجبه واغتراره ، واستعلائه وفخره .. فقد كان عدمًا لا وجود له ، ثم أنشأ اللّه أصله من تراب يوطأ بالأقدام ، ثم أظهر خلقه من نطفة تُستَقْذَر ، ثم حوّله ، وأنشأه خلقًا آخر .. ثم هو في تقلّبه في بلاد اللّه ، وتكبّره على عباد اللّه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا إلا ما شاء اللّه ، فهو يجوع ويعطش ، ويسقم ويمرض ، ويسخن ويبرد ، ويغفل ويسهو ، ويحزن ويجزع ، ويقلق ويضطرب ، ويهون ويذل ، ويضعف ويفتقر .. يدور بهمومه على الناس ، فهو مرة كئيب حزين يبحث عمن يسلّيه ويعزّيه ، وأخرى مريض ضعيف يبحث عمن يعالجه ويداويه ، وثالثة فقير محروم يطلب من يطعمه ويسقيه ..

ومن كانت هذه حياته ، وتلك همومه وأحواله ، فجدير به ، أن يتطامن ويتواضع ، وأن يخفض جناحه للمؤمنين ، وأن يكون من عباد اللّه المخبتين الخاشعين ، وأن ينفر من الكبر والمتكبّرين ، وأن يكون من زمرة المرشدين الأتقياء الربّانيّين ، والدعاة العاملين المخلصين ، واللّه سبحانه لا يضيع أجر المحسنين الصالحين .

رابعًا – على الداعية أن ينظر إلى ما تكبّر به ، فإن كان سبب **الكبر العلم** فليعلم أنّ فيه جهلاً يساوي أضعاف علمه بملايين المرات ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [1] .

(1) سورة الإسراء الآية : 85 .

وإن كان سببه **الفصاحة** فليعلم أن في الأرض من هو أفصح منه وأبلغ .

وإن كان سببه **جمال الشخصية** فليتذكر مآله بعد الموت ، ومصيره في القبر .

وإن كان سببه **مظهر التديّن** فليعلم أن الدين يدعو إلى التواضع ، ويأمر بخفض الجناح للمؤمنين .

وإن كان سببه **الاعتزاز بالنسب** فليتذكّر قول النبي ﷺ لابنته فاطمة رضي اللّه عنها : « يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من اللّه شيئًا »[1] .

وإن كان سببه **النشاط في الدعوة وقوة الحركة** .. فليعلم أن بتكبّره ومداخل المراءاة فيه أصبح محبوط العمل ، بل كلّ ما قدّمه من أثر وتأثير في سبيل الدعوة والإصلاح .. جعله اللّه هباءً منثورًا .

وهكذا حين ينظر الداعية إلى ما يتكبّر به ويدرك أن لا داعي للكبر ، ولا دافع إليه للأسباب التي ذكرناها ، عندئذ يكفّ عمّا تحدثّه نفسه به من مظاهر الزهو والخيلاء ، وينفر من الكبر والمتكّبرين ، ويصبح في الحياة داعية مخلصًا ، ورجلاً متواضعًا ، وبرًّا تقيًّا .. يعرف قدره ويقف عنده .

تلكم أهمّ الوسائل في معالجة الكبر ، واستئصال شأفته في نفوس الدعاة ..

ألا فليتحرّر الداعية من آفة الكبر ، وليستأصل من نفسيّته مزالقه التي تؤول إليه ، وليأخذه بأسباب المعالجة الإيجابية التي نوّهنا عنها سابقًا ، وليحرص على أن يحاسب نفسه في كل آونة ، وليعلم أن اللّه سبحانه معه يرقبه ويراه ، ويعلم سرّه ونجواه ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصّدور .. فبهذا كلّه يستطيع أن يتغلب على آفة الكبر ، وأن يقضي على مداخله من عجب وغرور من نفسه ، وأن يعطي القدوة في التواضع والتجرّد والإخلاص للخاصة والعامة ، وأن يكون من الدعاة المؤثّرين ، والمرشدين الموثوقين ، واللّه سبحانه مع الصادقين المخلصين .. فإنه يسدّدهم ، ويثبّت أقدامهم ، ويهديهم سواء السبيل .

حكايات عن المتكبّرين نسوقها للعبرة :

أ – كان قارون غنيًّا إلى درجة عظيمة قال اللّه فيها : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾[2] .

(1) البخاري (2753) .

(2) سورة القصص الآية : 76 .

ولكنه لما طغى وتكبّر ، وأخذته العزة بالإثم ، وأعرض عن المؤمنين تطاولاً وتجبّرًا أخذه اللّه أخذ عزيز مقتدر ، وجعله عبرة لمن يريد أن يعتبر ، وحكى لنا القرآن الكريم كيف كان أخذه وهلاكه ؟ !! قال تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ [1] .

ب – ذكر الغزالي في إحيائه رواية عن أبي داود ، قال العراقي : إسناده حسن : أن رجلاً في بني إسرائيل أتى عابدًا من بني إسرائيل ، فوطئ الرجل على رقبة العابد وهو ساجد ، فقال العابد : ارفع فواللّه لا يغفر اللّه لك ، فأوحى اللّه إليه (على لسان نبيّه) أيها المتألّي عليّ (أي الجريء على اللّه في الحكم) : بل أنت لا يغفر اللّه لك !!

ج – وروى أحمد والبزار والدارقطني : أن رجلاً ذكر بخير للنبي ﷺ ، فأقبل ذات يوم ، فقالوا : يا رسول اللّه هذا الذي ذكرناه لك ، فقال عليه الصلاة والسلام : إني أري في وجهه سَفْعَة من الشيطان ، فسلّم ووقف على النبي ﷺ ، فقال له عليه الصلاة والسلام : أسألك باللّه : حدّثتك نفسك أن ليس في القوم أفضل منك ؟ قال : اللهم نعم [2] .

د – ومما يروى في كتب السّير أن مطرّف بن عبد اللّه الشّخير رأى المهلّب وهو يتبختر في جبّة خزّ فقال له مطّرف : يا عبد اللّه هذه مِشْيَةٌ يبغضها اللّه ورسوله ، فقال المهلّب : أما تعرفني ؟ فقال : بل أعرفك ؛ أوّلُكَ نطفةٌ مِذرَةٌ (أي تعافها النفس) ، وآخرك جيفة قَذِرَة ، وأنت بين ذلك تحمل العَذِرَة (المراد ما في الأمعاء من نفايات) ، فمضى المهلّب وتركَ مَشْيته تلك ، وتأثّر بالموعظة ، وكان المهلّب رجلاً ذا شوكة وسيادة !!

هـ – روى مسلم عن سلمة بن الأكوع – رضي اللّه عنه – أن رجلاً أكل عند رسول اللّه ﷺ فقال (عليه الصلاة والسلام) : « كُلْ بيمينك » ، قال : لا أستطيع ، قال ﷺ : « لا استطعتَ » (دعا عليه لاستكباره) ما منعه إلا الكبر ، قال : فما رفعها إلى فيه [3] .

فما على العلماء والدعاة ورجال الإصلاح .. إلا أن يعتبروا بما حدث للمتكبّرين من آفات وأحداث جسام .. فيتواضعوا للمؤمنين ، ويتأسّوا بسيرة خير المرسلين ، ويشكروا فضل اللّه عليهم حيث أعطاهم مالم يعط غيرهم ، وأن لا يكونوا كعلماء بني إسرائيل في استكبارهم وعتوّهم .. فإن حمقهم واضح ، وجهلهم مكشوف ،

---

(1) سورة القصص الآية : 81 . (2) انظر اتحاف السادة المتقين للزبيدي (8 / 372) .
(3) صحيح مسلم كتاب الأشربة ب (13) برقم (107) .

ومقت الأجيال لتحريفهم الكلم عن مواضعه ظاهر ، ولمقت الله أكبر !!

وما عليهم إلا أن يكونوا كعبد الله بن سلام - رضي الله عنه - في تواضعه ودفع الكبر عن نفسه ، فقد روى الطبراني : أن عبد الله بن سلام مرّ في السوق وعليه حزمة من حطب ، فقيل له : ما يحملك على هذا وقد أغناك الله ؟ قال : « **أردتُ أن أدفع الكبر عن نفسي** » .

ومن ذلك : حال سيدنا حذيفة - رضي الله عنه - حين أمّ الناس في الصلاة فلما سلّم قال لهم : لتلتمِسُنّ إمامًا غيري أو لتُصلُّنّ وحدانًا ، فإني رأيتُ في نفسي أنه ليس في القوم أفضل مني !!

وهكذا فإن النفوس المؤمنة اليقظة المستضيئة بنور التقوى والمراقبة للّه تتدارك أيّ غمزة من غمزات الشيطان ، وتتحسّس أيّ آفة من آفات النفوس .. فتعمل واعية جاهدة على إحباطها وبطلانها ، لتستقيم نفوسهم على الحق ، وتسير في طريق الإيمان والهدى .. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ [1] .

* * *

(1) سورة الأعراف الآية : 201) .

و - الحقد والحسد :

الحقد : هو إمساك واختزان العداوة والغضب في القلب ، حتى تسنح فرصة الانتقام !!

والحقد في ذاته مرض نفسيّ له آثاره المدمّرة في نفس الحاقد ؛ لأنه يشغل القلب ، ويتعب الأعصاب ، ويقلق البال ، وقد تظلم الحياة في وجه الحاقد ، وتضيق الدنيا في وجهه ، فيلجأ إلى تدبير الخطط لينتقم ممن أغضبوه فيقع في حبائل الجريمة من حيث يعلم أو لا يعلم ، فيصبح أداة خطرٍ على الأمن والمجتمع بردود فعله ، وسوء معاملته وسلوكه ..

أمّا الحسد : فهو أن تكره النعمة التي أنعم اللّه بها على غيرك ، وتحبّ زوالها منه ، ولو مُكِّنتَ من إزالتها لأزلتها !!

فإذا لم يكره الحاسد زوالها ، ولكن يشتهي مثلها كرجل أعطاه اللّه علمًا فإنه يريد أن يكون مثله ليعمل به ويعلّمه الناس .. فإن هذا لا يسمّى حسدًا ، **وإنما يسمى غبطة** ؛ وإلى هذا أرشد النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم : « لا حسد (أي غبطة ولا تنافس) إلا في اثنتين : رجل آتاه اللّه مالاً فسلّطه على هلكته في الحقّ ، ورجل آتاه اللّه علمًا فهو يعمل به ويعلّمه الناس »[1] .

والحسد بمعنى زوال النعمة عن الغير حرام شرعًا ، ومذموم عقلا .. اللهم إذا كانت النعمة في يد فاجر أو ظالم أو ملحد .. وهو يستعين بها على إيذاء الخلق ، وإفساد ما بين الناس ، وإثارة الفتن ، أو إشاعة الفحشاء في الأمّة .. فإن حبّ زوال النّعمة حينئذ ليس من أجل النعمة ، إنما من أجل الفساد المترتّب عليها ، فالظالم الفاجر المعتدي على حدود اللّه ، لا شيء عليك إذا أحببت زوال نعمة جاهه وسلطته ، بل مطلوب من المسلم الدعاء عليه ، أو كفّ يده عن الظلم أو الفساد .. إن استطاع .

وجاء ذمّ الحسد في كثير من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية :

● **فالقرآن الكريم :**

يعتبر الحسد من صفات الكافرين من أهل الكتاب ، والمنافقين من الأعراب وضعفاء الإيمان من المسلمين الذين لا يحتملون أن يروا النّعمة في عباد اللّه المؤمنين الصادقين ، قال تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾[2] .

(1) اللؤلؤ والمرجان (1 / 156) برقم (466) .

(2) البقرة : 109 .

والذي يقرأ في القرآن الكريم قصّة يوسف مع إخوته يدرك كيف يفعل الحسد بصاحبه ؟ وكيف يعمي بصره ؟ وكيف يغلق عن الرحمة قلبه ؟ وكيف يدفعه إلى العداوة والانتقام ؟ قال سبحانه : ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۞ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَـٰلِحِينَ ﴾ [1] .

وأمر اللّه في كتابه رسوله والمؤمنين أن يستعيذوا من أنواع الضرر والإيذاء ، وذكر منها الحسد إذا ظهر أثره ، وبدأ صاحبه يكشّر عن أنيابه ، وينتقم من المحسود !!

قال جلّ جلاله : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۞ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ .. إلى قوله : وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [2] .

● **أما السنة النبوية :**

فإن النبي ﷺ نهى عن الحسد والتباغض ، وأمر أن نكون عباد اللّه إخوانًا . روى مسلم والبخاري ومالك عن النبي ﷺ قال : « **إياكم والظنّ فإن الظنّ أكذب الحديث** » إلى أن قال : « .. **ولا تحاسدوا ولا تباغضوا** .. » إلى أن قال : « .. **وكونوا عباد اللّه إخوانًا** » [3] .

والرسول صلوات اللّه وسلامه عليه حذّر من الحسد وبيّن أن الحسد في ذاته يأكل الحسنات كما تأكل النّار الحطب ، روى أبو داود والبيهقي عنه عليه الصلاة والسلام : « **إيّاكم والحسد ، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النّار الحطب** » [4] .

◉ **أما التحذير من الحقد :**

فإن النبي صلوات اللّه وسلامه عليه أمر المسلم أن يتحقق بالسماحة والصفاء ، وسلامة الصدر .. وأن يحذر الغلّ والحسد والشحناء .. فإن كان أهلاً لذلك فيكون ممن أنعم اللّه عليهم في مقعد صدق ، عند مليك مقتدر :

روى ابن ماجه بإسناد صحيح والبيهقي وغيره عن عبد اللّه بن عمرو – رضي اللّه عنهما – قال : قيل : يا رسول اللّه أيّ الناس أفضل ؟ قال : « **كل مخموم القلب صدوق اللسان** » ، قالوا : صدوق اللسان نعرفه ، فما مخموم القلب ؟ قال : « هو

---

(1) سورة يوسف الآيتان : 8 - 9 .
(2) سورة الفلق الآيات : 1 ، 2 ، 5 .
(3) اللؤلؤ والمرجان (3 / 190) برقم (1660) .
(4) سنن أبي داود (4903) ، وانظر الترغيب والترهيب (3 / 547) .

التقيّ النقيّ ، لا إثم فيه ولا بغي ، ولا غِلّ ولا حسد »[1] .

وأخرج أحمد بإسناد حسن والنّسائي عن أنس بن مالك - رضي اللّه عنه - ما ملخّصه : أن النبي ﷺ قال : ثلاثة أيام : « **يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة** » ، فخرج رجل واحد في الأيام الثلاثة ، فذهب إليه عبد اللّه بن عمرو فبات عنده ثلاثة أيام فلم يره يقوم من الليل شيئًا غير أنه إذا استيقظ من نومه ، وتقلّب على فراشه ذكر اللّه عز وجلّ وكبّر حتى يقوم لصلاة الفجر ، فلما أراد عبد اللّه فراقه وكاد أن يحتقر عمله ، أخبره بقول رسول اللّه ﷺ ، وتعجّب كيف بلغ هذه المنزلة وهو في العمل أقلّ من غيره ؟ فقال الرّجل له : ما **هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًّا ، ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه اللّه إيّاه** » ، فقال عبد اللّه : « هذه التي بلغَتْ بك ، وهي التي لا نطيق »[2] .

إن هذا الحديث الشريف ليدلّ على أثر صفاء النفس من الحقد والحسد ، وسلامة الصدر من الغشّ والضّغينة في تقرير مصير الإنسان في آخرته ، ورفع مكانته عند اللّه ، وتقبل عمله وإن قلّ .. وإن هذا الحديث ليبدو واضحًا ، هذا بمقارنة هذا الرجل الذي لم يأت من العبادة إلا بالقليل ، ودخل الجنّة بصفاء سريرته وسلامة المجتمع من أذاه .. بالمرأة التي ذُكِرَتْ لرسول اللّه ﷺ بأنّها تقوم اللّيل وتصوم النّهار ولكنّها تؤذي جيرانها ، فقال صلوات اللّه وسلامه عليه : « هي في النار »[3] .

ومن هنا يتضح : أن المسلم المثالي الذي يريده الإسلام هو الذي جمع بين العبادة ، وصفاء النفس ، وحسن السلوك .. فطابقت سريرته علانيته ، وصدّق فعله قوله ، وسلم المجتمع من أذى يده ولسانه ، فمن هذا المسلم وأمثاله يرتفع صرح المجتمع الإسلامي الراشد ، فإذا هو كما وصفه رسول اللّه ﷺ بقوله : « **كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضًا** »[4] ، وهذا هو المجتمع القويّ المتماسك المثالي الجدير بأن ينهض بحمل الرّسالة الإسلاميّة إلى الدّنيا من جديد ، وأن يعيد للمسلمين دولتهم القويّة ، وعزّتهم المنشودة ..

اين الدعاة من آفتي الحقد والحسد ؟

لا أتصوّر أبدًا أن داعية أخلص للّه في دعوته ، وتربّى على الإسلام في مراحل

---

(1) سنن ابن ماجه (4216) ، والدر المنثور (3 / 551) ، ومكارم الأخلاق للخرائطي (9) .

(2) مسند الإمام أحمد (3 / 166) ، وانظر شرح السنة (13 / 113) .

(3) مسند الإمام أحمد (2 / 440) ، وصحيح ابن حبان (2054) ، وانظر الترغيب والترهيب (3 / 356) .

(4) الحديث . انظر اللؤلؤ والمرجان (3 / 195) برقم (1670) .

تكوينه وإعداده ، وتحرّك للدعوة من وحي دينه وذاته . لا أتصوّر أبدًا أنه يحقد على أحد ، أو يتمنّى زوال نعمة من إنسان أنعم اللّه بها عليه .. إلا أن يكون متسلّطًا ظالماً ، أو طاغية حاكمًا ، أو ملحدًا فاجرًا !!

ذلك لأن الحقد والحسد من الآفات الخطيرة التي تهوي بصاحبها في الدّرك الأسفل من اللاأخلاقية الفاسدة ، وسوء السمعة الآثمة ، والقلق النفسيّ الأليم !!

فكيف يُتَصَوّر من الداعية حقد أو حسد .. وهو صاحب القدوة في السلوك ، والأنموذج الحيّ في الأخلاق ؟ وكيف يتّصف بآفة من آفات القلوب ، والعامّة من أخلاقه يرتشفون ، ومن رقائقه ومواعظه يتأثّرون ، ومن معالجته لأمراض بواطنهم يتطهّرون ؟ .

ولكن في الواقع ونفس الأمر من أراد أن ينظر في الذين يتصدّون للدعوة والإرشاد في المجتمعات الإسلامية نظرة فاحصة واعية يجد الكثير من أدعياء الدعوة والإرشاد قد تأجّجت صدورهم بالحقد ، وتأصّلت نفوسهم على الحسد ، وجُبِلَتْ سرائرهم على الشرّ !!

ولاشك أن الذي خبرهم ، وسَبَرَ حقيقة أمرهم ، ورأى في المجتمع سلوكيّاتهم وأعمالهم . ينأى عنهم ، ويحذّر منهم ، ويستهجن تعاملهم .. بل يحمل لواء المعارضة ضدّهم ، ويكون لعملهم من القالين والمتبرّئين ..

ولكن هل نتوقع من الداعية المخلص حقدًا او حسدًا ؟

سبق أن ذكرتُ أني لا أتصوّر أبدًا أن داعية أخلص للّه في دعوته ، وتربّى على الإسلام في مراحل تكوينه وإعداده ، وتحرّك للدعوة من وحي دينه وذاته .. لا أتصوّر أبدًا أنه يحقد على أحد ، أو يحسد أحدًا .. لما لآفتي الحقد والحسد من نتائج وخيمة ، وآثار سيئة على الفرد والمجتمع على حدّ سواء .

ولكن الداعية بشر ، والبشر يخطئون ويصيبون ، ويذنبون ويستغفرون .. فأحيانًا قد يختصم الداعية مع قرين له ، وإنسان مثله ، فيعتريه حالة من الضّعف البشري ، ونزغ من الشيطان ، وإيحاء من النفس الأمّارة .. فيقع من حيث يحتسب أو لا يحتسب في حبائل الحقد والحسد ، وربما تشتدّ العداوة والبغضاء مع خصمه فيكيد له ، ويحقد عليه ، ويتمنّى زوال النّعمة عنه ، ولاشك أنه وهو في هذه الحال يكون قد انحدر إلى أخلاق

السّفلة من الرجال في جهلهم الفاضح ، وكيدهم الآثم ، وعصبيّتهم العمياء !!

فالداعية إلى اللّه إذا أحسّ من نفسه أنه سينحدر إلى هذا المستوى من الجهل والكيد والعصبيّة .. فعليه أن يتذكّر أنه مؤمن باللّه ، وأنه داعية إلى اللّه يعمل في سبيل اللّه ، وأنه صاحب قدوة يتأسّى به العامّة والخاصّة ، وأن يعلم جيدًا أن البغضاء والشحناء ، والكيد والحسد ، والعداوة والخصومة .. هذه الصّفات هي من أخلاق السّفَلة من الناس ، ومن طباع الأوباش من البشر .. فإذا تذكّر كلّ هذا وعلِمه ، وعقِله وتدبّره ، وتحرّك الإيمان في قلبه ، وانبعثت أحاسيس التقوى من نفسه ، وانبجست مشاعر الرقابة للّه من أعماقه .. فإذا هو إنسان مبصر تائب ، منيب مستغفر ، بل سرعان ما يعود إلى أصالته الإيمانية ، وأخلاقه الإسلامية ، ليبقى دائمًا الداعية المخلص ، والمرشد التقيّ ، والطاهر المخْبِت المنيب .

فالمعالجة لآفتي الحقد والحسد إذن تتركّز في هذه النقاط :

● **أن يتذكّر الداعية** أنه مؤمن باللّه وبالإسلام ، وأن أمراض الحقد والحسد وغيرهما من الآفات الباطنية تتنافى كلّ المنافاة مع حقيقة الإيمان ، وتعاليم الإسلام ، وتكوين شخصيّة المسلم المثاليّة .

● **أن يتدبّر** أنّه داعية إلى اللّه يعمل في سبيل إعزاز دين اللّه .. ومن نزل ميدان الدعوة ، والعمل في سبيل اللّه فعليه أن يترفّع عن كل خلق ذميم ، وصفة مرذولة .. وهل رذيلة أعظم من رذيلة الحقد على الناس ، وآفة الحسد على نعمائهم ؟

● **أن يعقل** أنه أمام العامّة والخاصّة صاحب قدوة في كل ما يأمر به ، وينهى عنه ومن كان كذلك فيربأ بنفسه أن يخالف قولُه فعلَه ، ودعوتُه سلوكَه ، وإن لا .. فهل يرضى على نفسه أن يكون ممقوتًا عند اللّه وعند الناس ، حين ينهى غيره عن الحقد والحسد .. وهو يأتيهما ، ويتصفُ بهما ؟

● **أن يخلو بينه وبين ربّه** في أوقات الصّفاء ، ويسائل نفسه هل اقترفت رذيلة الحقد أو الحسد أو أيّة آفة من آفات النفوس ، فإن رأى أنه يضمر حقدًا لفلان ، أو يتمنّى زوال نعمة لإنسان ، أو كان بينه وبين مسلم عداوة أو شحناء .. فليسارع إلى الاستغفار والتوبة الصادقة النّصوح ، وليبادر إلى مصالحة إخوانه ، وطلب العفو منهم ، ليكفّر عما سلف ، ويعود إنسانًا برًّا تقيًّا .

● **أن يعمّق في نفسه** عقيدة القضاء والقدر ، ليوقن من قرارة وجدانه أن ما يجري في الكون من مسّرة أو مضرّة ، أو غنى أو فقر ، أو عزة أو ذل ، أو صحّة أو مرض ، أو ذكاء أو غباء ، أو قوّة أو ضعف .. يجري كلّ ذلك بقضاء اللّه وقدره ، فإذا كان على هذه العقيدة فلا يحقد على إنسان على خصومة ، ولا يحسد أحدًا على نعمة ، ولا يتبرّم بما أصابه من أحداث الأيام .

● أن يكثر من ذكر اللّه وصلاة النّافلة ، وليتضرّع بأحاسيسه ومشاعره بإخلاص وصدق إلى اللّه تعالى ، حتى يعينه على نفسه ، ويقطع عنه وسوسة الشيطان .. فبذكر اللّه وعبادته ، وتضرّعه ودعائه .. يملأ اللّه بالنّور قلبَهُ ، ويشرح للخير صدره ، ويُخرج من نفسه ظلمة الحقد ، وآفة الحسد .. وينقله إلى نور حبّ الخير لكل عباد اللّه .

جنّب اللّه الدعاة آفتي الحقد والحسد ، وألهمهم الصواب في القول والعمل ، ووفّقهم في حياتهم الدعوية لأن يقابلوا الغلظة بالرفق ، والغضب بالحلم ، والشرّ بالسماحة ، والإساءة بالإحسان .. ليكونوا دائمًا على حالة مرضيّة من سلامة الصدر ، وصفاء النفس ، وطهارة القلب .. لا يحملون حقدًا ، ولا يحسدون أحدًا ، ولا يفجرون في خصومة ، ولا تغيّرهم أحداث الليالي ..

وليكن شعار الدعاة دائمًا قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [1] .

كما عليهم أن يستعيذوا صباحًا ومساءً من شرّ حاسدٍ إذا حسد ..

وصدق من قال في ذمّ الحسد :

اصبر على كيد الحسو د فإن صبرك قاتلُه
النّار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

وما أحسن ما قال آخر :

يا حاسدًا لي على نعمتي أتدري على مَنْ أسأتَ الأدبْ
أسأت على اللّه في حكمه لأنّك لم ترضَ لي ما وَهَبْ

(1) سورة الحشر الآية : 10 .

فـأخـزاك ربـي بـأن زادنـي وسدَّ عليك وجوه الطَّلَبْ

* * *

ز - البذخ والبخل :

من الآفات النفسية التي ابتُلِيَ بها كثير من عامة الناس وخاصّتهم آفة البذخ المفرط ، ورذيلة البخل الممقوت ، ولا يخفى على كلّ ذي عقل وبصيرة أثر هاتين الآفتين الخطيرتين على الحياة الاجتماعية ، وعلى الأخصّ على حياة الفرد النفسيّة ، والتي منها حياة الداعية السلوكيّة والدعويّة .

ويحسن بنا بعد هذا التمهيد أن نعرّج إلى تعريف كلٍّ من البذخ والبخل ، لتتّضح صورتهما في ذهن القارئ ، واللّه المستعان ، ومنه نستمد السداد والتوفيق .

تعريف البذخ :

البذخ هو بذل المال في الأمور المباحة كالزينة في المظهر ، والتفنّن في المطعم ، والتنوّع في أدوات الركوب ، والزخرفة في هندسة البيت ، والتزيّن في أثاث المنزل .. إلى أن يبلغ هذا البذل حدّ الإسراف المفرط ، والإنفاق اللامعقول .

ولاشك أن البذخ آفة قبيحة في المسلم ، والأقبح منها أن تكون في الداعية .. أن تظهر في ملامحه ومظهره ، وفي أثاثه وبيته ، في مطعمه ومشربه ، في زيِّه وملبسه ، في عائلته وأولاده ، في مركبه وولائمه ، وعلى العموم أن تظهر في سائر مظاهر حياته الفرديّة والاجتماعية .

ولاشك أن البذخ بالشكل الذي عرّفناه فإنه يوقع صاحبه بآفتي العجب والغرور ، وهما – كما مرّ – آفتان خطيرتان إذا تطبّع بهما الباذخ المسرف فإنه يسير – لا محالة – في طريق الكبر والخيلاء ، ويتمطّى في دروب المباهاة والاستعلاء .. بل ينظر إلى الناس الذين دونه من علٍ على أنهم أقلّ منه منزلة ، وأدنى عظمةً وكرامةً .. بل تراه يدور في فلك الأثرياء ، وأصحاب السّلطان والنّفوذ .. فلا يصاحب إلا من كان مثله بذخًا ومظهرًا ، ولا يخالط إلا من كان على شاكلته جاهًا ومنزلةً !!

والداعية إلى اللّه إذا ابتُلي بآفة من هذه الآفات النفسيّة فإنّ في ذلك سقوطه على درب العاملين المخلصين ، بل يكون مزعزع الثقة ، محبوط العمل ، عديم التأثير ..

جنّب اللّه الدعاة مزالق الكبر والمباهاة ، وآفات العُجب والغُرور ، ومظاهر البذخ والإسراف .. ليكونوا في الناس أصحاب قدوة ، وفي المجتمع رجال دعوة ، وبين العاملين المخلصين دعاة حق وهدى .. وما ذلك على اللّه بعزيز إذا صحّحوا النيّة ، وواصلوا العمل ، وتجنّبوا مزالق الكِبْر والخُيلاء .

تعريف البخل :

البخل هو التقتير الشديد – مع السّعة في الرزق – عن كل ما تتطلّبه مسؤولية الإنفاق العامّة والخاصّة سواء ما يتعلق بنفقة المسلم على نفسه وأهله وولده وذوي رحمه .. أو ما يتعلق بنفقته على المجتمع في تحقيق تكافله ، وترميم كوارثه ، ودفع الاعتداء عنه .

ولاشك أن البخل آفة قبيحة في المسلم ، والأقبح منها أن تظهر في سلوك الداعية ، وتعامله مع الناس .. وذلك حين يتقبّل الهدية ولا يثيب عليها ، ويعتاد الجلوس على الموائد ولا يكافئ الدّاعين بمثلها ، ويحضّ مَنْ يدعوه إلى فضيلة الإنفاق في سبيل اللّه ولا يعطي القدوة للآخرين فيها .

فهذه الظاهرة في الداعية هي البخل بذاته ، والشحّ بعينه ، بل هي آفة من الآفات النفسيّة المستقبحة التي تسبّب النفور ، وتستدعي القَدْح والذمّ ، ولاسيما إذا كان الداعية محط أنظار الناس ، ومعقد أملهم ، ورجاء ثقتهم .

ويكفي البخل مذمة واستهجانًا أن يقول اللّه عز وجلّ عن البخلاء : إن البخل في حقّهم شرّ وإنّهم سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ .. ﴾ [1] .

ويكفيه مهانة وقبحًا أنه يكون سببًا في سفك الدماء ، واستحلال المحارم .. روى مسلم عن جابر – رضي اللّه عنه – أن رسول اللّه ﷺ قال : « اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشحّ (أي الحرص والبخل) فإن الشحّ أهلك من كان قبلكم ؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم ، واستحلّوا محارمهم » [2] .

ويكفي البخيل طردًا وبعدًا .. أنه معدوم الإيمان ، محروم من الجنّة .. روى النسائي

(1) سورة آل عمران الآية : 180 .

(2) صحيح مسلم كتاب البر ب (15) برقم (56) .

وابن حبّان في صحيحه عن أبي هريرة رضي اللّه عنه : « لا يجتمع غبار في سبيل اللّه ، ودخان جهنّم في جوف عبدٍ أبدًا ، ولا يجتمع شحٌ وإيمان في قلب عبدٍ أبدًا » [1] .

وروى الترمذي وقال : حديث حسن غريب عن أبي بكر - رضي اللّه عنه - عن النبي ﷺ قال : « لا يدخل الجنّة خَبٌّ (خدّاع ماكر) ، ولا منّان ، ولا بخيل » [2] .

بل يكفي البخيل نقصًا ووضاعة .. أن اللّه سبحانه يبغضه ويطرده من رحمته .. روى ابن حبّان في صحيحه عن أبي ذرّ - رضي اللّه عنه - عن رسول اللّه ﷺ قال : « ثلاثة يحبّهم اللّه ، وثلاثة يبغضهم اللّه » فذكر الحديث .. إلى أن قال : « ويبغض الشيخ الزّاني ، والبخيل ، والمتكبر » [3] .

وعلى العموم يخبر الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام أن عاقبة المنفق البركة والنّماء ، وعاقبة المُمسِك التّلف والهلاك .

روى الشيخان عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ : « ما مِنْ يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقًا خَلَفًا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكًا تلفًا » [4] .

أما البذخ فقد جاء ذمّه في القرآن الكريم بصيغ مترادفة ، وكلمات متقاربة تؤدّي بمجموعها إلى بذل المال في الإنفاق المفرط الذي يؤدي إلى الكبرياء والتفاخر .

من هذه الصّيغ صيغة التبذير : قال تعالى : ﴿ .. وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ [5] .

● **ومن هذه الصّيغ صيغة التّرَف** : قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [6] .

● **ومن هذه الصّيغ صيغة السّرَف** : قال جلّ جلاله : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [7] .

وقال : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [8] .

---

(1) سنن النسائي (6 / 13) ، وصحيح ابن حبان (1599) .
(2) سنن الترمذي (1963) .
(3) صحيح ابن حبان (3339) .
(4) سبق تخريجه ص (198) .
(5) سورة الإسراء الآية : 26 - 27 .
(6) سورة الإسراء الآية : 15 .
(7) سورة الفرقان الآية : 67 .
(8) سورة الأعراف الآية : 31 .

والنبي صلوات اللّه وسلامه عليه **ذمّ التنعّم والترف وحذّر منهما** في أكثر من حديث :

● روى أحمد والبيهقي عن معاذ بن جبل – رضي اللّه عنه – أن رسول اللّه ﷺ لما بعث به إلى اليمن قال له : « إياك والتنعّم (الزيادة في الرفاهية) فإن عباد اللّه ليسوا بالمتنعّمين »[1] .

● وروى البزّار ورواته ثقات عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « إن أشرار أمّتي الذين غُذُوا بالنّعيم ، ونبتت عليه أجسامهم »[2] .

● وروى ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير والأوسط عن أبي أمامة – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ : « سيكون رجال من أمّتي يأكلون ألوان الطعام ، ويشربون ألوان الشراب ، ويلبسون ألوان الثياب ، ويتشدّقون في الكلام ، أولئك شرار أمّتي »[3] .

من هذه النصوص يتبين أن الإسلام **ذمّ البذخ والبخل** ، وحذّر منهما ، واستقبحهما ، وأمر المسلمين بتجنّبهما والابتعاد عنهما ، وبيّن عقوبة من يفعلهما .

ألا فليحذر الدعاة آفتي البذخ والبخل ، **وليتحلّوا بالوسطيّة والاعتدال** ، **وخلُق البذل والسخاء** .. إن أرادوا أن يكونوا دعاة حقّ ، ورجال قدوة ، ومحطّ أنظار الناس وثقتهم ، والاستجابة لهم ، والاستماع منهم ، والالتفاف حولهم ؟!!

ما علاج البذخ والبخل في الدعاة ؟

على ضوء ما ذكرناه من تعريف آفتي البذخ والبخل ، ومن التّحذير منهما وذمّهما في القرآن والسّنة ، ومن استجلاء حقيقتهما في نفوس الدعاة .. فالداعية إلى اللّه إذا أحسّ من نفسه أنّه سوف ينزلق إلى البذخ ، ويتيه في متاهات البخل .. فليسارع إلى المعالجة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً مخافة أن تنحلّ شخصيّته ، أو أن يتّهم بالنقص والوضاعة ، فيكون الناس لعمله من الكارهين القالين .

ووسائل المعالجة هي اتّخاذ الخطوات التالية :

أولا – أن يتذكّر الداعية أن الإسلام وضع أمام المسلم منهجًا في الإنفاق ينبغي أن يعمل به ، ويسير عليه ، ومؤدّاه أن ينهج في إنفاقه نهجًا وسطًا معتدلاً لا إفراط فيه

---

(1) انظر مسند أحمد (5 / 243 ، 244) ، ومجمع الزوائد (10 / 250) .

(2) كشف الأستار عن زوائد البزار (3616) .

(3) المعجم الكبير (8 / 127) ، وانظر مجمع الزوائد (10 / 250) .

ولا تفريط ، ولا إسراف ولا تقتير .. وهذه الوسطيّة في الإنفاق قد قرّرها القرآن الكريم ، وأكّدتها السنة النبوية .

قرّرها القرآن الكريم حين قال : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ [1] .

وأكّدتها السنّة النّبوية ، وذلك في الحديث الذي رواه النسائي وابن ماجه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « كلوا واشربوا وتصدّقوا والْبَسُوا ما لم يخالطه إسراف ولا مَخِيلة (أي كبرياء) » [2] .

وروى أبو داود وابن حبّان في صحيحه عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ : « شرّ ما في الرجل شحٌّ هالع (أي بخل مُحْزِن) وجبنٌ خالع » [3] .

فالدعاة هم أولى من غيرهم في اتخاذهم مبدأ الوسطيّة والاعتدال في الإنفاق على أنفسهم ، وأهليهم ، وكلّ من يلوذ بهم .. بل عليهم أن يعطوا في ذلك قدوة ، حيث يتأسّى الناس بهم ، ويسيرون في الإنفاق سيرهم ، وينهجون في الوسطيّة والاعتدال نهجهم ..

ثانيًا - على الداعية أن يمعن في الآيات والأحاديث التي حذّرت من البذخ والبخل ، وفضحت أحوال المترفين ، وأوضاع البخلاء ..

ألم يذكر القرآن الكريم أن المبذّرين هم إخوان الشياطين ، وأن الشيطان كان لربّه كفورًا ؟

ألم يبيّن النبي صلوات اللّه وسلامه عليه أن الذين رفلوا في النعيم ، وتقلّبوا في التّرف هم شرار الخلق ؟

ألم يؤكد عليه الصلاة والسلام أنه لا يجتمع شحٌّ وإيمان في قلب عبدٍ أبدًا ؟

ألم يخبر صلى اللّه عليه وسلم أن البخيل معدوم الإيمان ، محروم من الجنة ؟

ألم يعلن سيّد الخلق صلوات اللّه وسلامه عليه أن البخيل مبغُوض من اللّه ، مطرود من رحمته ؟

في تقديري أن الداعية إلى اللّه إذا تدبّر هذا ، وأمعن فيه جيدًا .. فإنه يكفّ عن البذخ

---

(1) الفرقان : 67 . (2) سنن النسائي (2559) ، وسنن ابن ماجه (3602) .

(3) سنن أبي داود (2511) ، وصحيح ابن حبان (808) .

والتّرف والإسراف .. وإذا كان فيه خلُق من شح أو بخل فإنه يربأ بنفسه أن يكون شحيحًا بخيلاً .. بل ينهج في حياته المعيشيّة نهج الإسلام في دعوته إلى الوسطيّة والاعتدال ، بل ينهج في بذله وإنفاقه ، وأخذه وعطائه .. منهج الأسخياء الأتقياء الذين ينفقون أموالهم في سبيل اللّه ، وفي سبيل مصالح الدعوة والإسلام ، وفي سبيل الفقير والمحتاج .. ذلك لأنّ السخيّ قريب من اللّه ، قريب من الجنة ، قريب من الناس .. كما أخبر الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الترمّذي عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - عن النبي ﷺ قال : « السخيّ قريبٌ من اللّه ، قريبٌ من الجنة ، قريبٌ من الناس ، بعيدٌ من النار ؛ والبخيل بعيدٌ من اللّه ، بعيدٌ من الجنّة ، بعيدٌ من الناس ، قريبٌ من النار ؛ **ولجاهِلٌ سخيٌ أحبّ إلى اللّه من عابدٍ بخيل** » [1] .

ثالثًا - على الداعية أن يعلم أنه وارث محمّدي ، هذه الوراثة تشمل وراثة الدعوة في تبليغها واحتمال أعبائها ؛ ووراثة الأخلاق في التأسّي بها ، والتحلّي بمكارمها .

فإذا كان من أخلاق النّبوة ، خلق الزهد ، وخلق السخاء والكرم .. فالداعية إلى اللّه - وهو الوارث المحمدي - هو أولى من غيره في أن يتخلّق بهذه المكارم الذاتية ، والأخلاق الحميدة اقتداءً بنبيّه عليه الصلاة والسلام الذي هو سيّد الزاهدين ، وصفوة الأسخياء !!

وإليكم نماذج خالدة من زهده وكرمه عليه الصلاة والسلام نسوقها للدعاة على سبيل الذكرى :

- **اما في زهده ﷺ :**

فقد روى الترمذي عن عبد اللّه بن مسعود - رضي اللّه عنه - قال : دخلتُ على الرسول ﷺ وقد قام على حصير ، وقد أثّر في جنبه الشريف ، فقلت : يا رسول اللّه ، لو اتخذت لك وطاءً تجعله بينك وبين الحصير يقيك منه ! فقال عليه الصلاة والسلام : « مالي وللدنيا ، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظلّ تحت ظلّ شجرة ثم راح وتركها » [2] .

وروى الشيخان عنه صلوات اللّه وسلامه عليه : « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا » (أي ما يسدّ الرمق) [3] .

وروى البخاري عن عائشة - رضي اللّه عنها - أنها قالت لابن أختها عروة : (ابن

---

(1) سنن الترمذي (1961) . (2) سنن الترمذي (2377) .
(3) انظر اللؤلؤ والمرجان (1 / 225) برقم (628) .

أختي : إن كنّا لننظر إلى الهلال ، ثم الهلال ، ثم الهلال ، ثلاثة أهلّة في شهرين ، وما أُوقدتْ في أبيات رسول اللّه ﷺ نار (أي لا يطبخ طعام) فقلت : يا خالة ما كان يعيشُكم ؟ قالت : الأسودان : التمر ، والماء . إلا أنه قد كان لرسول اللّه ﷺ جيران من الأنصار كانت لهم منائح (أي غنم) ، وكانوا يمنحون رسول اللّه ﷺ من ألبانهم فيسقينا) [1] .

وروى ابن جرير عن عائشة – رضي اللّه عنها – أنها قالت : « ما شبع رسول اللّه ﷺ من خبز بُرٍّ (حنطة) ثلاثة أيّام تباعًا منذ قدم المدينة حتى مضى لسبيله » [2] .

ولو أراد النبي ﷺ الشّبع من طيبات الحياة ، وأخذ حظّه من الدنيا لفعل ، ولكن كان يؤثر – صلوات اللّه وسلامه عليه – على نفسه ، ويعطي عطاء من لا يخشى الفاقة كما سيأتي في كرمه وجوده ..

تقول عائشة رضي اللّه عنها – كما روى البيهقي – : « **ما شبع رسول اللّه ﷺ ثلاثة أيام متوالية ، ولو شئنا شبعنا ، ولكنه كان يؤثر على نفسه** » [3] .

وأراد النبي ﷺ أن يعطي لأصحابه والأجيال المتعاقبة القدوة في الاكتفاء بالعيش الكفاف القنوع مخافة أن تقعدهم زهرة الحياة الدنيا ، والتمتّع الزائد بطيّباتها .. عن مسؤولية الدعوة والجهاد في سبيل اللّه ، ومخافة أن تُبسَط عليهم الدنيا كما بسطت على الذين من قبلهم ، فتهلكهم كما أهلكتهم .

روى البخاري ومسلم أن أبا عبيدة – رضي اللّه عنه – لما قدم بمالٍ من البحرين خرج الأنصار لاستقباله بعد صلاة الفجر ، فتبسّم رسول اللّه ﷺ ثم قال : « أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين » ، فقالوا : أجل يا رسول اللّه ، فقال : « أبشروا وأمّلوا ما يسرّكم ، فواللّه ما الفقرُ أخشى عليكم ، ولكني أخشى أن تُبسط الدنيا عليكم كما بسطت على مَنْ كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم » [4] .

وأراد صلوات اللّه وسلامه عليه في زهده وتقشّفه هذا أن يُفْهِمَ الذين في قلوبهم مرض من مشركين ومنافقين ويهود .. أنه لم يُرد من دعوته الربّانية التي يدعو الناس

---

(1) صحيح البخاري كتاب الهبة برقم (2567) .
(2) انظر الترغيب والترهيب (4 / 178) ، ومجمع الزوائد (10 / 324) .
(3) سنن البيهقي (7 / 47) .
(4) اللؤلؤ والمرجان (3 / 316) برقم (1866) .

إليها جمع المال ، ولا المظاهر الفانية ، ولا الدّنيا الزائلة ، ولا التّعيم ، ولا الترّف ، ولا أن يصطاد الدنيا باسم الدين .. وإنما أراد التماس الأجر من اللّه وحده ، وأن يلقى اللّه عز وجل وليس عنده من حطام الدنيا شيءٌ .

وكان شعاره ﷺ وشعار الأنبياء من قبله : ﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [1] .

وفارق عليه الصلاة والسلام الحياة ولم يملك من متاعها شيئًا ، وإنما كانت درعه مرهونةً عند يهودي .

● **وأما كرمه صلوات الله وسلامه عليه :**

فكان ﷺ أكرم الناس وأجودهم ، بل كان قمّة في البذل والسخاء ، بل كان ينفق كلّ ما يأتيه من غنائم وغيرها في سبيل اللّه ، ويجود به على الناس ، ويعطي في ذلك قدوة .

روي الشيخان عن جابر – رضي اللّه عنه – قال : ما سئل رسول اللّه ﷺ شيئًا قط فقال لا [2] .

وثبت في الصحيح أنه كان عليه الصلاة والسلام أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون في رمضان ، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة [3] .

وروى مسلم عن أنس – رضي اللّه عنه – قال : « ما سئل رسول اللّه ﷺ على الإسلام شيئًا إلا أعطاه ، ولقد جاءه رجلٌ فأعطاه غنمًا بين جبلين فرجع إلى قومه فقال : يا قوم أسلموا فإن محمّدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يلبث إلا يسيرًا حتى يكون الإسلام أحبّ إليه من الدنيا وما فيها » [4] .

فإذا كان النبي ﷺ سيّد الكرماء ، وصفوة الأسخياء .. فاحرص – أخي الداعية – على أن تتخلّق بخلقه العظيم ، وأن تتأسّى بفعله الحميد .. أتدري لماذا ؟

من أجل أن يجد الناس فيك القدوة الصالحة بالكرم والسخاء ..

من أجل أن يروا فيك الزهد بالمال والإقبال على الآخرة ..

من أجل أن تعرف الدنيا أن الغنى في المسلم غنى النّفس لا غنى المتاع الزائل ..

من أجل أن يُكْبِرَ الناسُ فيك خلق السخاء ، وفضيلة البذل ..

---

(1) هود : 29 .

(2) سبق تخريجه ص (1 / 238) .

(3) انظر شرح السنة (13 / 250) .

(4) سبق تخريجه ص (233) .

من أجل أن تجذب الناس إلى الهدى ، وتشدّهم إلى الإسلام .

ومن الأمور التي لا يختلف فيها اثنان أن الإنسان أسير الإحسان ، وجُبِلَتْ القلوب على حب من أحسن إليها .. ورحم اللّه من قال :

أحسن إلى الناس تستعبد قُلُوبَهُمُ فطالما استعبد الإنسانَ إحسانٌ

فبالكرم والسخاء - أخي الداعية - تملك النفوس ، وتتفتّح لك القلوب ، وتفجّر في المجتمع طاقة الهداية ، وتكون سببًا في إصلاح الناس ، وفي شدّهم إلى الالتزام بالإسلام ..

تلكم - إخوتي الدعاة - أهمّ الخطوات في معالجة البذخ والبخل في رجال الإصلاح والدعوة .

ففي انتهاجكم لمبدأ الوسطية والاعتدال في الإنفاق تكونون قد أخذتم بمبادئ الإسلام منهجًا وتطبيقًا .

وفي إمعانكم وتدبّركم في النصوص التي تحذّر من البذخ والبخل ، وتبيّن عاقبة المترفين والبخلاء .. تزدادون من البذخ والبخل جموحًا ونفورًا ..

وفي وراثتكم لأخلاق النبي ﷺ في زهده وتقشّفه ، وسخائه وكرمه تتحقّقون بالأسوة المحمّدية تطبيعًا وتخليقًا ..

ألا فليأخذ الدعاة بهذه الخطوات الإيجابيّة في معاجة البذخ والبخل من نفوسهم إن أرادوا الخير لذواتهم ، والهداية لأمتهم ، والسيادة لدينهم .. واللّه سبحانه لن يَتِرَ أعمال المخلصين العاملين .

* * *

ح - حبّ المال والجاه :

ومن الآفات النفسيّة التي أسقطت كثيرًا من الدعاة على طريق الدعوة ، ودرب العمل الإسلامي آفة حبّ المال ، والحرص على الزعامة والجاه .

فنجد بعض الذين دخلوا في مضمار الدعوة الإسلامية ، وأصبحوا جنودًا أو قياديّين فيها .. كانوا في معيشتهم بسطاء ، وفي أحوالهم المادّية متوسّطين .. فلما خاضوا غمار الحياة التجاريّة ، ومارسوا العمل الاقتصادي ، ونما مالهم ، وتحسّن

حالهم ، وصاروا من زمرة الأثرياء .. فإذا بهم يُخلدون إلى الأرض ، وينعطفون بكلّيتهم إلى الدنيا .. فلا هَمّ لهم إلا جمع المال ، ولا سعي لهم ولا مجاهدة إلا أن يصبحوا من رجال الأعمال ، وطبقة الأغنياء .. وفي هذه الحال لا يعطون لدعوتهم – إن بقوا على العهد – إلا أقلّ من القليل ؛ وربما سقطوا على الطريق ، وقعدوا مع القاعدين ؛ وربما فتنتهم النّعمة ، وأبطرهم التّرف .. فانقلبوا على أعقابهم مترفين فاسقين .. وفي ذلك دمار لأخلاقهم الإسلامية ، وقتلٌ لقيمهم الدينيّة التي كانوا يتحلّون بها ، ويقيمون أنفسهم عليها !!

ونجد آخرين من الذين وصلوا إلى مراتب قياديّة في الدعوة .. حين وجدوا الطريق إلى النصر طويلاً ، وحين رأوا أن المحن على الدعوة والدعاة قائمة ومستمرّة ، وحين استشعروا أنهم – إن استمرّوا – لم يصيبوا دنيا ، ولم يصلوا إلى زعامة .. لوَوْا عِنَان المسيرة الدعويّة ، لينعطفوا إلى طريق آخر يجدون فيه حظّهم من الدّنيا ، وضالّتهم من الزعامة ، وأمنيتهم من الأمن والأمان !!

وياليتهم حظَوْا بدنيا تخدم دين الأمة ، وبزعامة تعزّز دعوة الإسلام ، وبأمن وأمان يحقّق لجماعة المسلمين مسيرتها إلى العزة والنصر !!

ولكن من الملاحظ أنّ هؤلاء الذين سقطوا على درب العمل الإسلامي ، واتّبعوا أهواءهم في حبّ الظهور ، واستشراف الزعامة والجاه .. من الملاحظ أنهم أضرّوا أنفسهم وأضرّوا دعوتهم ، وحققوا خدمة كبيرة لرجالات العلمانيّة في الحكم .

* **أما أنّهم أضرّوا أنفسهم** فاتبعوا خطوات الشيطان ، ووساوس النفس الأمارة . وكان ذلك سبب تحوّلهم من الإخلاص لدين اللّه إلى سلوكهم طريق المراءاة والنفاق في ظلّ أناس يحاربون الإسلام ، وينكّلون بالدعاة ، ويحاصرون كلّ مسيرة تدعو إلى اللّه ..

وفي ذلك إضرار لأنفسهم وأيّ إضرار ؟ حين يقفون بين يدي اللّه ليسألهم عن نفاقهم ومراءاتهم ومؤازرتهم لأعداء الإسلام في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون .

* **وأما أنّهم أضرّوا دعوتهم** فإنهم بانحيازهم لأعداء اللّه .. أعطوا للدعاة ، ورجالات الإسلام .. القدوة السّيئة في انخراطهم في بوتقة حبّ الظهور ، واستشراف الزعامة والجاه .. وربما سنّوا لغيرهم من ضعفاء الإيمان التحوّل الآثم من الإخلاص للإسلام والعمل في رحابه إلى تبعيّة رجالٍ لا يرقبون في مؤمن إلّاً ولا

ذمّة ، ولا يرجون للّه وقارًا ، وكذلك فإنّهم - بفعلهم الآثم هذا - يؤخّرون مسيرة الدعوة الإسلامية في طريقها إلى العزّة والنّصر ، ويكونون عونًا للظالمين على إخوانهم المؤمنين !!

* **وأما أنهم حقّقوا خدمة كبيرة لرجالات العلمانيّة في الحكم** فإنهم بمؤازرتهم ، والسير في ركابهم ، والامتثال لأمرهم ، والمشاركة لحكمهم ، وتنفيذ مخطّطاتهم .. كل ذلك يحقّق للعلمانيين اللادينيّين خدمة وأيّة خدمة ؟ ، وربما تتقمص هذه الخدمة ثوب الإسلام ، والدعوة إليه أحيانا ، ولكنها في الحقيقة ونفس الأمر دعاية للحكم العلماني اللاديني وأيّة دعاية ؟ هذه الدّعاية يستغلها العلمانيّون في مناسبات جماهيريّة لإقناع الجمهور بأنهم حماة الإسلام ، ورجاله الأوفياء .

أيّة حماية هذه ؟ والإسلام يُذبح في مبادئه ودعاته ؛ يُحارب في سنّ القوانين اللادينية التي لا تمتّ إلى الإسلام بصلة ولا نسب ؛ يحارب بفرض الأنظمة التي تبيح الاختلاط في جميع مراحل الدراسة وفي الجامعات ، وفي الدّوائر ، وفي المسابح ، وفي المتنزهات ، وفي جميع مؤسسات الدولة ؛ يُحارب بفتح صالات الرقص والغناء والموسيقى .. في جميع نواحي المجتمع ؛ يحارب بالسماح للبنوك في التّعامل بالربا ، والسّماح للمؤسّسات في بيع الخمور ، والسّماح للنوادي في تعاطي القمار ..

بعد الذي ذكرناه هل حقّق هؤلاء الذين انحرفوا عن الإسلام ، وانخرطوا في بوتقة العلمانية للمسلمين خيرًا ، وللدعوة الإسلامية عزًّا ونصرًا .. أم حقّقوا الضرر البالغ لأنفسهم ودعوتهم والإسلام ؟

وهل عرف أولئك الخدمات التي يحققونها لحكم يستمد أنظمته من شيوعيّة كافرة ، أو رأسماليّة متسلّطة ؟ لو عرفوا ذلك لأقلعوا وأحجموا وتابوا واستغفروا .. ولكنّ المنحرفين المتساقطين عن الحقائق قوم عمون !!

ونجد شرذمةً من الدعاة دفعهم حبّ الرئاسة والجاه إلى أن يتنكروا لدعوتهم التي نشأوا فيها ، ولأخلاقيّتهم التي تربّوا عليها ، فمالوا بكلّيتهم إلى حكم الطغاة ، وأصبحوا بوقًا لهم ، ينطقون باسمهم ، ويسبّحون بحمدهم ، وينفّذون مخطّطاتهم .. وما ذاك إلا من أجل عرض من الدنيا قليل ، ومتاع من الجاه زائل .

ولو كان عند أولئك بقيّة من إيمان ، وشيء من أصالة إسلام .. لما وقفوا من دعوتهم هذا الموقف المخزي ، ولما نافقوا مع أسيادهم الضالّين المُضِلّين هذه المنافقة

السّافرة .. ولكن الظالمين بآيات اللّه يجحدون !!

وقد يقول قائل : كيف يتحوّل بعض الدعاة من الإخلاص إلى المراءاة والمنافقة ، ومن الولاء للإسلام إلى الولاء للفسوق والكفر والعصيان ؟ وكيف ينحرفون وقد نشأوا في الدعوة ، وتربّوا على الإسلام ؟

أقول : إنّ من أهم العوامل التي جعلت أولئك يتساقطون على درب الدعوة ، وينحرفون عن طريق العمل الإسلامي .. هو استشرافهم للزعامة والوصول إلى السيادة ، وتطلعهم إلى الرئاسة والجاه .. فلما رأوا الطريق إلى تحقيق هذه الغاية طويلاً ، والبلوغ إلى الرئاسة والجاه بعيدًا .. انحرفوا عن الجادّة ، وتحوّلوا عن المسيرة .. ليُصيبوا دنيا زائلة ، ويحظوا بزعامة فانية ، وهكذا يفعلون .

ما علاج حب المال والجاه في الدعاة ؟

على ضوء ما ذكرناه من انحراف بعض الدعاة ، وانعطافهم إلى استشراف جمع المال ، واغترارهم بفتنة الرئاسة والجاه ، وتطلّعهم إلى منازل العزة والسيادة .. نعرّج – بعون اللّه – إلى معالجة هذه الآفات في نفوس من ابتلوا بها ، وتحوّلوا بكليتهم إليها ، ولاسيما الذين سمّوا أنفسهم دعاة ، وتصدّروا مجالس الوعظ والإرشاد .. عسى أن يتطهّروا من خلُق حبّ الظهور ، وخصلة حبّ الذات ، وعسى أن يأمنوا من عوائق فتنة زهرة الحياة ومذمّة الإقبال على الدنيا .

وإليكم خطوات هذه المعالجة :

أولا – أن يمعن الداعية في هذه الآيات التي جاء فيها ذمّ الدنيا ، والاغترار بها ، والإقبال عليها .

– قال سبحانه : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [1] .

– وقال تعالى : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا

(1) سورة الكهف الآية : 45 .

ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾ (1) .

– قال جلّ جلاله : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴾ (2) .

فيتبيّن من هذه الآيات ، وآيات كثيرة غيرها أن الحياة الدنيا هي دار الغرور ، والمتاع الزائل ، وإنها لَعِبٌ ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر في الأموال .. وأنها تُزيّن للناس – بما جبلوا عليه من قابليّة للشر أو الخير ، حبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والحرث .. ، وأنها هي الفانية ، والدار الآخرة هي الباقية والخالدة .

فإذا كانت الحياة الدنيا بهذه المواصفات التي أفصح عنها القرآن الكريم ، وبيّنها أوضح بيان .. فلماذا يتهافت عليها الناس ، ولا سيما الذين سلكوا طريق الدعوة إلى اللّه ، وتصدّوا لهداية الأمة ؟

فما على الدعاة إلا أن يكونوا حذرين يقظين من أن تفتنهم زهرة الحياة الدنيا ، وأن يغترّوا بها ، وأن يقبلوا بكلّيتهم عليها .. حتى يثبتوا على الحقّ ، ويستقيموا على الإسلام .

ثانيًا – على الداعية أن يمعن في هذه الأحاديث النبويّة التي تحذّر من الرّكون إلى الدنيا ، وعدم اتخاذها وطنًا خالدًا ، وحياة باقية ، وأنها لا تزن عند اللّه جناح بعوضة ، وأنها فتنة في زينتها ، وفي ثرائها ، وفي وجاهتها ، وفي إغراءاتها .

واليكم طاقة من هذه الأحاديث المُرْشِدَة والمحذّرة :

– روى الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .. عن أبي سهل الساعدي – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ : « لو كانت الدنيا تَعْدِلُ عند اللّه جناح بعوضة ما سقى كافرًا شربة ماء » (3) .

– وروى البخاري عن ابن عمر – رضي اللّه عنهما – قال : أخذ رسول اللّه ﷺ بمنكبيّ فقال : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » ، وكان ابن عمر يقول :

---

(1) سورة الحديد الآية : 20 .
(2) سورة آل عمران الآية : 14 .
(3) سنن الترمذي (2320) .

« إذا أمسيت فلا تنتظر الصّباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك » [1] .

- روى الشيخان عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - عن رسول اللّه ﷺ قال : « لو كان لي مثل أُحد ذهبًا لسرّني أن لا تمرّ عليّ ثلاث ليالٍ وعندي منه شيء إلا شيء أرصده لديْن » [2] .

- وروى الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .. عن كعب بن عياض - رضي اللّه عنه - قال : سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول : « إن لكل أمة فتنة ، وفتنة أمتي المال » [3] .

- وروى الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .. عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « ألا إن الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها ، إلا ذكر اللّه تعالى وما والاه ، وعالمًا ومتعلّمًا » [4] .

فمن هذه الأحاديث النبوية الصحيحة يتبيّن أن الدنيا لا تزن عند اللّه جناح بعوضة ، وأنها فتنة ، وأنها ملعونة .. وأن من يُخلق فيها فعليه أن يعتقد أنه فيها غريب أو عابر سبيل ، وأنه - مهما طال عمره - فهو ميّت ، وصائر إلى الآخرة ..

فعلى الداعية أن يُمعن جيدًا في هذه الكلمات التي صدرت من المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ليعرف جيدًا سبيل أولئك الذين تنكّبوا عن الحق ، واتّبعوا سبيل الهوى ، واستشرفوا زهرة الحياة الدنيا ، وتطلّعوا إلى المال والجاه وحبّ الظهور ..

فإذا تذكّر ، وتدبّر ، وأمعن .. فإن اللّه يجعل له من نفسه حصانة إيمانيّة تحجزه عن اتباع سبيل الهوى والشهوات ، وتردّه عن الاسترسال في متاهات الغيّ الدنيوي ، والفتنة المادّية ، وأن يجعل الدنيا دار ممرّ إلى دار خلود مستقرّ .. وهذا العبور إلى دار الآخرة لا يُنجي صاحبه إلا أن يتزوّد بالتقوى ، والعمل الصالح ، والجهاد في سبيل الإسلام ، والإخلاص لدين اللّه .

وما أكرم الداعية عند اللّه حين يتحقّق قولاً وعملاً ، ومجاهدة وسلوكًا بقول القائل :

إن للّه عبادًا فطنا ... طلّقوا الدنيا وخافوا الفِتَنا
نظروا فيها فلمّا علموا ... أنها ليست لحيّ وطنا
جعلوها لجّة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سُفُنا

(1) صحيح البخاري كتاب الرقاق ب (3) برقم (6416) .
(2) اللؤلؤ والمرجان (1 / 201) برقم (577) .
(3) سنن الترمذي (2336) .
(4) سنن الترمذي (2322) .

ثالثًا – على الداعية أن يعلم أنه إذا اشتدّ حرصه على جمع المال ، وطلب الجاه ، واستشراف المنزلة الاجتماعية ، والتعظيم في قلوب الناس .. فإنه سيتعرّض لا محالة لآفاتٍ كثيرة كالكبر والمراءاة ، والمنافقة وحبّ الظهور ، والعجب والغرور ، والتزيّن والتصنّع ، وترك التواضع للحقّ وأهله .. إلى غير ذلك من هذه الآفات والابتلاءات التي تدخل على الإنسان نتيجة حبّ المال والجاه ، والتطلّع إلى حبّ الرئاسة والمراتب العالية !!

وما أكرم الداعية أن يعيش في الحياة مسكينًا ، متواضعًا ، خامل الذكر ، قانعًا بالكفاف ، بعيدًا عن الأبّهة والمظاهر الفارغة ، حذرًا من أنْ ينزلق في آفة من آفات النفوس تحبط عمله ، وتقتل أجره وثوابه ... وليكن شعاره في الحياة : العمل للّه ، وفي سبيل اللّه ، والإخلاص لدين اللّه ، والمجاهدة من كل نيّة آثمة ، والمدافعة لكل عمل محبوط .. ليلقى اللّه عز وجل خالصًا في مجمع من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا .

رابعًا – على الداعية أن يتعرّف على ما أكرم اللّه به الأتقياء الضعفاء الأخفياء الأصفياء .. في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر ، وما ادّخر لهم يوم العرض عليه من منزلة وكرامة ، وما أعطاهم في دار المقامة من منازل في الجنان عالية ، **وإليكم طاقة من أحاديث النبي ﷺ تبيّن هاتيك المنازل :**

روى الشيخان عن حارثة بن وهب – رضي اللّه عنه – قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل شعيف متضعّف (أي متذلل للّه غير مأبوهٍ له) لو أقسم على اللّه لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عُتُلٍّ جوّاظٍ (أي غليظ ضخم مختال) مستكبر » [1] .

– روى البخاري وابن ماجه عن أبي العباس سهل بن سعد السّاعدي رضي اللّه عنه قال : مرّ رجلٌ على النبي ﷺ فقال لرجلٍ عنده جالس : « **ما رأيك في هذا ؟** » فقال رجل من أشراف الناس (أي من كبارهم) : هذا واللّه أحرى إن خطب أن يُنكح ، وإن شفع أن يشفّع ، فسكت رسول اللّه ﷺ ، ثم مرّ رجلٌ آخر فقال له رسول اللّه ﷺ : « **ما رأيك في هذا ؟** » فقال : يا رسول اللّه هذا رجلٌ من فقراء المسلمين ، هذا حريّ إن خطب ألا ينكح ، وإن شفع أن لا يشفّع ، وإن قال أن لا يسمع لقوله ، فقال رسول اللّه ﷺ : « **هذا** (أي الفقير) ، **خير من ملء الأرض مثل هذا** (أي صاحب الوجاهة) » [2] .

---

(1) اللؤلؤ والمرجان (3 / 793) برمق (1814) .

(2) صحيح البخاري كتاب النكاح (5091) ، وسنن ابن ماجه كتاب الزهد ب (5) برقم (4120) .

– وروى الشيخان عن أبي هريرة – رضي اللّه عنه – عن رسول اللّه ﷺ قال : « إنّه ليأتي الرجل السّمين العظيم (أي ذو القَدْر والرفعة) يوم القيامة لا يزن عند اللّه جناح بعوضة » [1] .

– وروى مسلم عن أبي هريرة – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **ربّ أشعثَ مدفوعٍ بالأبواب لو أقسم على اللّه لأبرّه** » [2] .

– وروى أبو داود بإسناد جيّد عن أبي الدرداء عُوَيْمر – رضي اللّه عنه – قال : سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول : « **ابغوني الضعفاء** (أيّ قرّبوهم إليّ ..) ، **فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم** » [3] .

– وروى مسلم عن سعد بن أبي وقّاص – رضي اللّه عنه – قال : كنا مع النبي ﷺ ستّة نفر ، فقال المشركون للنبي ﷺ : اطرد هؤلاء (أي الضعفاء) لا يجترئون علينا ، وكنتُ أنا وابن مسعود ورجل من هُذَيْل ، ورجلان لست أسمّيهما (يعني أبا بكر وعليًا) ، فوقع في نفس رسول اللّه ﷺ ما شاء أن يقع ، فحدّث نفسه (أي حدّث نفسه بطردهم حرصًا على هداية الكبراء) ، فأنزل اللّه تعالى : ﴿ **وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ** ﴾ [4] .

فكان [5] ﷺ بعد نزول الآية إذا التقى بهؤلاء الضعفاء يقول : « مَرْحَبًا بالذي عاتبني اللّه فيهم » .

فمن هذه الأحاديث يتبيّن : أن الرجل مهما كان غنيًا ، ومهما كان وجيهًا .. إن لم يكن على تقوى من اللّه ورضوان .. فإنه لا قيمة له ولا اعتبار في ميزان الإسلام ، بل لا يزن عند اللّه جناح بعوضة !!

ويتبيّن أيضًا : أن الرجل الضعيف الفقير ، الغير مأبوه له ، المدفوع بالأبواب .. إن كان على تقوى من اللّه ورضوان .. فإن اللّه سبحانه ينظر إليه ويرحمه ، ويبرّ بقسمه ، ويكرمه بكرمه .. وإنه جلّ جلاله ينصر أمة الإسلام به ، ويغيثها ويرزقها بدعائه .. وإن النبي ﷺ كان يقرّبهم إلى مجلسه ، ويلاطفهم بكلامه ، ويخفض جناحه لهم ،

---

(1) اللؤلؤ والمرجان (3 / 273) برقم (1773) . (2) صحيح مسلم كتاب البر ب (40) برقم (138) .
(3) سنن أبي داود (2594) . (4) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة برقم (46) والآية من سورة الأنعام رقم : 52 .
(5) قوله : فكان ﷺ بعد نزول الآية .. إلخ ، ليس من رواية مسلم ، ولم نعثر عليه فيما معنا من مراجع (الناشر) .

ويتواضع معهم ، ويحسن إليهم .

ومما يؤكّد هذا ما رواه مسلم عن أبي هبيرة .. وهو من أهل بيعة الرضوان : أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر ، فقالوا : « ما أخذت سيوف اللّه من عدوّ اللّه مأخذها » ، فقال أبو بكر رضي اللّه عنه : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيّدهم ؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره ، فقال عليه الصلاة والسلام : « **يا أبا بكر لعلك أغضبتهم** (أي هؤلاء الضعفاء) ؟ **لئن أغضبتهم لقد أغضبت ربّك** » !! فأتاهم أبو بكر – رضي اللّه عنه – فقال : « يا إخوتاه : أغضبتكم ؟ قالوا : لا ، يغفر اللّه لك يا أخي »[1] .

وسبق أن ذكرنا قبل قليل كيف كان يستقبل الضعفاء الذين نزلت في حقّهم الآية : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم .. ﴾ ؟ وكيف كان يرحّب بهم ويقول : « مرحبًا بالذي عاتبني اللّه فيهم ؟ » .

ونحن لا نقول للداعية : ازهد في الدنيا ، واعتزل المجتمع ، وتخلّ عن الكسب ، وحرّم على نفسك الطّيبات .

لا ، لا .. وإنما نقول له خذ يا داعية :

بمبدأ : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ .

وبمبدأ : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا »[2] .

وبمبدأ : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ ﴾[3] .

فهذه المبادئ وغيرها هي من أسس الإسلام ، ومن مقتضيات الفطرة ، ومن سنن الحياة ..

فما أجمل الداعية أن يسدّد ويقارب ويوازن ، وما أعظمه حين يجعل الدنيا مطيّة الآخرة ، وما أكرمه حين يعطي في الحياة كلّ ذي حق حقّه : يعطي حقّ اللّه في التّوحيد والعبوديّة والولاء .. ويعطي حقّ الإسلام في الالتزام به والدعوة والجهاد .. ويعطي حقّ الأهل والأولاد في التربية والرعاية والإنفاق .. ويعطي حقّ نفسه بتمتّعها من الطيّبات وحظوظ الحياة .. وهكذا سائر الحقوق ، فإنه يؤدّيها بصدق وإخلاص ، وعزم ومضاء كما دعا إليها الإسلام على الوجه الأكمل .

---

(1) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة برقم (170) .

(2) رواه ابن المبارك في الزهد (218 / 2) . وأخرجه البيهقي في سننه (3 / 19) . انظر السلسلة الضعيفة (1 / 20 ، 21) رقم (8) .

(3) سورة الأعراف الآية : 31 .

ونحن لا نقول للداعية أيضًا : دعِ الإمارة حين تأتيك وأنت كفء لها ، وقادر على حمل أعبائها ، وغير متطلّع إليها ، وغير موالٍ لكفر أو لفسق .. فيها .. لا ، لا .. وإنما نقول له :

● كما قال عليه الصلاة والسلام لعبد الرحمن بن سُمَرة : « يا عبد الرحمن : لا تسأل الإمارة ، **فإنك إن أُعطيتَها من غير مسألة أُعِنتَ عليها** ، وإن أُعطيتَها عن مسألة وُكِلْتَ إليها (أي صُرفْت إليها من غير عون) »[1] .

● ونقول له كذلك كما قال ﷺ لأبي ذرّ - رضي اللّه عنه - حين جاءه يسأل الإمارة : « لا يا أبا ذرّ : إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزيٌ وندامة **إلا من أخذها بحقّها وأدّى الذي عليه فيها** »[2] .

● ونقول له كما روى جابر عنه صلوات اللّه وسلامه عليه : « **من أرضى سلطانًا بما يُسخط ربَّه خرج من دين اللّه** »[3] .

فما أحسن الداعية حين يتولّى الإمارة من غير مسألة ولا استشراف .. ليخدم دين اللّه بسببها !! .. وما أكرمه عند اللّه حين يكون منضويًا في إمارته تحت راية قوم يؤمنون باللّه ، ويخلصون للإسلام ، ويقيمون حكم اللّه .. ساعة تكليفهم له بحمل أعبائها !!

ألا فليفهم الدعاة هذه الحقائق الثابتة التي تطهّرهم من حبّ الدّنيا والجاه ، وتنجيهم من بين يدي عذاب شديد في يومٍ لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون .. وليعالجوا هذه النفس الأمّارة ببلسم الإسلام الشافي ، ومبادئه الواقية .. إن أرادوا أن يكونوا دعاة حق ، ورجال إصلاح ، وقادة أمة على درب العزة والنصر ، واللّه سبحانه معهم ، ولن يَتِرَ أعمالهم ، فهو الذي يتولّى العاملين المخلصين .

* * *

تلكم - إخوتي الدعاة - أهم آفات النفوس التي يتعرّض لها كثيرٌ من الدعاة والمصلحين في عصر المادة والفتنة والإغراء .. ولقد رأيتم أنها تتركّز في الآفات التالية :

في الرياء والنفاق ، في العجب والغرور ، في الكبر والاستعلاء ، في الحقد والحسد ، في

---

(1) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (2 / 241) برقم (1197) .
(2) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة ب (4) برقم (16) .
(3) رواه الحاكم في مستدركه (4 / 104) ورواة الحديث كلهم ثقات .

البذخ والبخل ، في حبّ المال والجاه .

وهناك آفات أخرى قد ضربنا الصّفح عنها ، لأنّنا سوف نأتي على ذكرها في سياق العقبات الأخرى في موضع آخر من هذا الكتاب .

ولقد مررنا - بتوفيق اللّه - على علاج كلّ آفة من هذه الآفات في ضوء تعاليم الإسلام ، فأرجو أن يستفيد منها الدعاة ، ويحرصوا على تطبيقها ، عسى أن يتابعوا مسيرة الدعوة لبناء عزّة الإسلام بإيمان واستقامة ، وعزم ومضاء .. دون أن يعتريهم يأس ، أو يصيبهم وهن ، أو ينتابهم على درب الدعوة تعثّر أو سقوط .

وفي اعتقادي أن تطهير نفس الداعية من الأمراض الباطنيّة ، والآفات النفسيّة .. هو من أهمّ العوامل في ثقة الناس به ، واستجابتهم إليه ، ومحبّتهم له ، والتفافهم حوله ، وهذا يعني أنّه يسير بخطوات مطّردة نحو الإصلاح والتغيير ، والبناء والتعمير .. إلى أن تقوم الدولة الإسلامية الكبيرة الممتدّة الأطراف في شرق بلاد الإسلام وغربها ، تتعالى بكيانها العظيم ، وبنائها الضخم الشامخ .. على سائر الدول الكبرى ، وتكون بهذا قد حكمت الدنيا من جديد ، وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر اللّه ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

* * *

2 - المؤثّرات النفسيّة

ومن العقبات الكبرى التي تعترض طريق الدعاة عقبة المؤثّرات النفسيّة ، وهذه العقبة من العقبات التي أسقطت كثيرًا من الدعاة على طريق الدعوة ، وانعطفت بهم نحو انحراف شائن ، أو اعتزال بغيض .

فكم من داعية تأثّر بمرضه فقعد ، وتأثّر بخصومة شخصيّة مع أبناء دعوته فابتعد ، وتأثّر بالمحن والأحداث فاعتزل ، وتأثّر بإغراءات زهرة الحياة فانحرف ، وتأثّر بتيئيس من حوله من العمل الدعوي فيئس وتثبّط ؟ !!

فبناءً على ما ألمحنا من مؤثرات مُقْعِدَة ، وأحداث مفاجئة مثبّطة .. يمكن أن نحصر عقبة المؤثرات النفسيّة التي تعترض طريق الدعوة في النقاط التالية :

أ - المؤثرات المرضيّة .

ب - المؤثرات الانفعالية .

جـ - المؤثرات الابتلائية .

د - المؤثرات الإغرائية .

هـ - المؤثرات التيئسيّة .

وسوف نتكلم - بعون اللّه تعالى - عن كل نقطة من هذه النقاط الخمس بشيء من التوضيح ، ثم نعرّج إلى الحلول الإيجابيّة لكل واحدة منها ، وعلى اللّه قصد السبيل ، ومنه نستمدّ العون والتوفيق .

* * *

أ - المؤثرات المرضيّة :

من الطبيعي أن يتعرض الداعية في الحياة لآفاتٍ جسميّة ، وعوارض مرضيّة .. ومن الطبيعي أيضًا أن يمّر بعد المرض على مرحلة النّقاهة التي يستجمع فيها قوّته ، ويستعيد صحّته ، ليعود بعدها إنسانًا قويًّا سويّا .

ولكن ليس من الطبيعي أبدًا أن يتعلّل بعد الشفاء بسوء الصّحة والضعف حين يكلّف من قبل جماعته بمسؤوليات حركيّة ، وأعباء دعويّة .. وليس من الحقّ والمنطق

أن يعتذر عن العمل للإسلام بحجة المرض العضال الذي ألمّ به ، أو العمليّة الجراحية التي تعرّض لها .. بعد أن منّ اللّه عليه بنعمة الصحة والعافية والقوة !!

وكم من دعاة قعدوا عن العمل في سبيل اللّه بعد أن مرّوا بأحوال مرضيّة ، وآفات صحيّة وجسميّة ؟

وكم من دعاة سوّل لهم الشيطان أن يعتزلوا العمل الإسلامي ، وميادين الدعوة إلى اللّه بسبب الآفات المرضيّة التي شفاهم اللّه منها ، وعافاهم من أعراضها ؟

بتقديري أن هؤلاء النمط من الدعاة لو خالط الإيمان بشاشة قلوبهم ، ولو تحسّسوا بمسؤوليّة الدعوة التي ألقاها اللّه على كواهلهم لما وقفوا هذه المواقف ، ولما تعلّلوا بهذه المعاذير !! **بل عاصرنا أناسًا من الدعاة** أصيبوا بأمراض فتّاكة مستعصية أقعدتهم فعلاً عن المضيّ في مضمار الجهاد والدعوة ، وشلّت حركتهم عن اللقاء بالشباب ، والقيام على تربيتهم وتكوينهم .. ومع كل هذا فإنهم لم يتقاعسوا – وهم على فراش المرض – أن يكتبوا كتابًا للشباب ، أو أن يصدروا نشرة لهم ، أو أن يجتمعوا بإخوانهم للتذاكر في شؤون الدعوة ، أو أن يوجّهوا خطابًا للحكام في أمر بمعروف أو نهي عن منكر ، أو نصح للّه وللرسول .. ذلك لأن أحاسيس الدعْوة إلى اللّه منطبعة في بؤرة شعورهم ، ومسؤولية العمل للإسلام متأصّلة في كيانهم وجوارحهم .. فلم يمنعهم عن واجب الجهاد الدعوي صحة ولا مرض ، ولم يقعدهم عن مسؤولية التكوين والتربية يسر ولا عسر ، ولم يؤخّرهم عن الانطلاق في سبيل اللّه رخاء ولا ابتلاء .. هؤلاء – واللّه – هم القدوة للأجيال المسلمة في اندفاعهم وتحرّكهم ، وهم النموذج الحيّ لشباب الإسلام ، والدعاة إلى اللّه في ثباتهم وجهادهم ..

رحم اللّه فضيلة الشيخ **مصطفى السباعي** رائد الدعوة الإسلامية في سورية ؛ إذ لم يقعده مرض الشّلل الذي لازمه أكثر من خمس سنوات إلى أن لقي ربّه ، لم يقعده هذا المرض العضال عن مسؤوليّته في تبليغ الدعوة ، وتربية الشباب .. فهو الذي كتب للدعاة كتابه المعروف « هكذا علمتني الحياة » ، وهو الذي كان يلتقي دائمًا بالشباب في لقاءات خاصة وعامة ، وهو الذي كان يجتمع بالعلماء والدعاة للتذاكر معهم في شؤون المسلمين .. رحم اللّه السباعي الداعية المخلص الصادق ، ورفعه في الآخرة مقامًا عاليًا .

هؤلاء النماذج من الدعاة وأمثالهم سيبقون الأعلام في تاريخ الدعوة والدعاة ، وأصحاب القدوة الصالحة على مدار التاريخ ، وعبر الأجيال .. أكثر اللّه منهم ، وعوّض المسلمين عنهم .. إنّه بالإجابة جدير .

ما علاج المؤثّرات المرضيّة في الدعاة ؟

وإذا كنّا نبحث في علاج كل عقبة تعترض الدعاة فعلينا أن نبحث عن علاج إيجابي للمؤثّرات المرضيّة التي أقعدت كثيرًا من دعاة الإصلاح على طريق الدعوة والجهاد ، وانعطفت بهم نحو حياة الترهّل ، والإخلاد إلى الدنيا ، واعتزال العمل في سبيل الإسلام ..

وأرى أن العلاج الإيجابي لهذه الظاهرة يتركّز في الخطوات التالية :

أولا – تعميق التحسّس بالحالة التي وصلت إليها المجتمعات الإسلامية من تفكّك وتمزّق ، وشتات وتفرّق ، وبعدٍ عن منهج اللّه ، وحاكميّة أغلبيّة الحكّام بأنظمة كافرة ، ومبادئ ملحدة ، وتخبّط الكثير من رجال الأمة ونسائها .. في مستنقعات الميوعة والفساد والانحلال .. هذا التعميق للتحسّس .. إذا انطبع في بؤرة الشعور ، وتأصّل في أعماق الوجدان .. انطلق الداعية من وحي من ذاته ، ومن انطلاقه من أحاسيسه ومشاعره ، فلا يمكن أن يتباطأ عن الدعوة مهما كانت الظروف والأحوال ..

وهذا لا يتأتّى إلا أن يجعل قدوته في العمل الإسلامي سيّد الدعاة صلوات اللّه وسلامه عليه ، وأصحاب القُدُوات في التاريخ من أنبياء ، وعلماء ، ورجال إصلاح ، ودعاة إلى الله .. فهؤلاء جميعًا كانوا آية في الحركة والجهاد ، ومثلاً يُحتذى في الانطلاقة الدعوية ، والعمل الدائب المستمر في سبيل الهداية والإصلاح .. إذ كان لا يقعدهم عن مسؤوليّة التبليغ كرب ولا نعمة ، ولا رخاء ولا شدّة ، ولا صحة ولا مرض ، ولا غنى ولا فقر .

ففي تقديري أن الداعية إذا سار على طريق أولئك ، وتأثّر بهم ، واهتدى بهديهم ، واقتدى بفعالهم .. فإنه يتحسّن حاله ، وتتفتّح أحاسيسه ، فلا يتعلّل بضعف ولا مرض ، ولا يعتذر بعائق ولا ابتلاء .. ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ [1] .

ثانيًا – تعلّل الداعية بالمرض وهو غير مريض ، واعتذاره بالضعف وهو قادر على

(1) سورة الأنعام الآية : 90 .

أداء المهمة يعدّ كاذبًا شرعًا ، والمؤمن لا يكون كذّابًا .

نعم قد يجبن المؤمن ، وقد يبخل المؤمن .. أما أن يكون كذّابًا فلا ، ذلك لأنه لا يجتمع صدق وكذب في قلب مؤمن أبدًا ، وذلك للحديث الذي رواه أحمد عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - أن رسول اللّه ﷺ قال : « لا يجتمع الإيمان والكفر في قلب امرئ ، ولا يجتمع الصدق والكذب جميعًا ، ولا تجتمع الخيانة والأمانة جميعًا » [1] .

وروى مالك عن صفوان بن سليم قال : قيل : يا رسول اللّه أيكون المؤمن جبانًا ؟ قال : « نعم » ، قيل له : أيكون المؤمن بخيلاً ؟ قال : « نعم » ، قيل له : أيكون المؤمن كذّابًا ؟ قال : « لا » [2] .

ومن الخيانة في نظر الإسلام أن يحدّث المسلم أخاه حديثًا كاذبًا وهو له صادق ، روى أحمد عن النواس بن سمعان - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ : « كبُرَتْ خيانةً أن تحدّث أخاك حديثًا هو لك مصدّق ، وأنت له كاذب » [3] .

ويكفي الكذب ذمًّا ومهانة أن من يتخلّق به كانت فيه خصلة من النفاق ، وروى البخاري ومسلم وغيرهما عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص - رضي اللّه عنهما - أن النبي ﷺ قال : « أربع من كنّ فيه كان منافقًا خالصًا ، ومن كان فيه خصلة منهنّ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا ائتمن خان ، وإذا حدّث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » [4] .

ويكفي الكذب خزيًا وندامة أنه يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، روى الشيخان من حديث ابن مسعود : « ... وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند اللّه كذّابًا » [5] .

فإذا كان هذا حال الكذب والكذّابين فإن الداعية يربأ بنفسه أن يكون كذّابًا ، لأن الكذب - كما مرّ - يتنافى مع الإيمان ، بل هو وصمة عار في جبين الدعاة الذين تخالف أفعالهم أقوالهم ، والذين يلجؤون إلى الكذب ليبرّروا للخاصّة والعامّة إهمالهم وتقاعسهم .

فسر - أخي الداعية - في طريق الدعوة على بركة اللّه غير متوانٍ ولا متكاسل ولا معتذر ، وحذار أن تتعلّل بالمرض وأنت غير عليل ، لأن هذا التعلّل يقدح بمروءتك ،

---

(1) مسند الإمام أحمد (2 / 349) .
(2) سبق تخريجه ص (224) .
(3) سبق تخريجه ص (227) .
(4) اللؤلؤ والمرجان (1 / 12) برقم (37) .
(5) سبق تخريجه ص (224) .

ويتنافى كل التنافي مع إيمانك ، وضع دائمًا مراقبة اللّه بين عينيك ، فهو الذي يراك حين تقوم .

ثالثًا – الشيطان – أخزاه اللّه – حين يتسلّط على الإنسان بوسوسته فإنه يقعده عن كثير من واجباته ومسؤولياته ، بل يستطيع بإغوائه وإيحاءاته أن يزيّن له الشرّ ، ويحبّب إليه الباطل .

فأنت – أخي الداعية حين تترك للشيطان سبيلًا إلى نفسك ، وتستسلم بكليتك إلى إغوائه ووساوسه .. فإنّه – ولاشك – يقعدك عن مسؤوليتك في الدعوة إلى اللّه ، ويوحي إليك أن تنتحل من التعليلات والأعذار والأكاذيب ما يبرّر لتقصيرك في حق اللّه والدعوة والإسلام .

فما عليك – أخي الداعية – إلا أن تتخذ الشيطان لك عدوًّا ، وأن لا تجعل له سبيلاً إلى نفسك بل إن كنت مؤمنًا حقًّا ، ومسلمًا صدقًا فلا سلطان له عليك .

فاحْذَرْ – أخي الداعية – الشيطان ومزالقه ، ووساوسه . وإيحاءاته .. وضع نصب عينيك قوله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [1] .

وتَأمَّلْ في مخيّلتك قوله جلّ جلاله : ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [2] .

ورحم اللّه من قال :

وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محّضاك النّصح فاتّهم

* * *

ب - المؤثرات الانفعالية :

ومن المؤثرات النفسيّة التي تعترض طريق الدعاة ، وتقعدهم عن متابعة المسيرة على درب الدعوة المؤثّر الانفعالي العاطفي ، الذي يتلبّس بعض الدعاة ، ويظهر على ملامحهم وسلوكهم .

وأعني بالمؤثرات الانفعالية تغلّب العاطفة ، وخطّ النفس والهوى .. على العقل والاتزان والحق .. دون أن يكون للمحاكمات العقلية ، والاعتبارات الشرعيّة أي نصيب في تقويم الأمور ، والتعرّف على حقائق الأشياء ؟ !!

---

(1) سورة فاطر الآية : 6 . (2) سورة النحل الآية : 99 .

ولا بأس أن نأتي ببعض الأمثلة والصور لتوضيح الحقيقة :

من الدعاة الذين لم تتشرّب الدعوة قلوبهم ، ولم تتعمّق في بؤرة شعورهم إذا اختلفوا مع بعض مسؤوليهم في الدعوة ، أو إذا تأثّروا بسوء معاملة بعض إخوانهم من الدعاة .. فترى منهم أحوالًا عجيبة من التأثر والقلق ، والانفعال والغضب ، وأحيانًا قد يصل الأمر إلى درجة الخصومة والمهاترة .. فتورث ردود الفعل هذه عند أولئك أن يتركوا العمل الإسلامي ، ويعتزلوا الجماعة التي انتموا إليها ، وتربّوافي مدارسها ، وأحيانًا يبلغ بهم الحال - ويالللأسف - أن يقفوا من الدعوة موقف المحاربة ، ويناصبوها العداء ، وليس لهم من مبرّر إلا أنهم اختصموا مع بعض الأفراد من الجماعة ، أو اختلفوا معهم في أمور فرديّة ، وقضايا شخصيّة .

فهؤلاء الصنف من الناس آثروا مصالحهم الشخصية على مصلحة الدّعوة والإسلام ، وكأن الدعوة - في نظرهم - منوطة فقط بالذين تخاصموا معهم .. وليست دعوة اللّه الغالية ، ورسالة الإسلام الخالدة !!

ومن الدعاة الشباب الذين يريدون أن يتعجّلوا بالنصر دون إعداد ولا إحكام ولا مقومات .. لما رأوا أنظمة العلمانيّين اللادينيّين تحل بساحة بلادهم ، وتفرض سلطانها بقوة الحديد والنار على أممهم وشعوبهم ، وتحارب الإسلاميّين وتضطهدهم في عقر دارهم .. أورثهم ردود الفعل هذه أن يغضبوا ويندفعوا ويحملوا في وجه النظام السلاح بلا إعداد ، وأن يقفوا في وجه الدولة بلا أسباب .. وما دروا أنهم في فترة التربية والتكوين والدعوة .. فالمرحلة تتطلّب منهم أن يتربوا على الإسلام ، ويتعوّدوا على الصبر والمصابرة ، وأن ينطلقوا في مضمار التوعية والتبليغ .. لتدخل الدعوة الإسلامية كلّ بيت ، وكلّ حي ، وكلّ قرية ، وكلّ بلد .. وعلى كلّ المستويات الفرديّة والاجتماعيّة ، والنقابيّة والشعبيّة .

فهؤلاء الصنف من الناس غلّبوا الاندفاع والعاطفة والثورة النفسيّة .. على العقل والاتزان ، واعتبارات الشرع ، ومتطلّبات المرحلة .. بل انجرّوا إلى المعركة بلا نظرة للواقع ، ولا تحسُّبٍ للمستقبل ، ولا إحكام للمقوّمات !!

ومن الدعاة من وجدوا وضع جماعتهم في تمزّق وتفرّق ، وجمود وتسيّب ، ومحاور وفئات .. ورأوها تسير بلا نظام ولا مناهج ، ولا تخطيط ولا مراحل ..

فقالوا : إلى متى نبقى على هذه الحال ؟ إلى متى نظل في هذا التمزق والاضطراب ؟ إلى متى تقوى الثقة بين القاعدة والقيادة ؟ إلى متى تنصلح أوضاع الجماعة ؟ إلى متى .. ؟ إلى متى .. ؟ . فتورث ردود الفعل هذه عند هؤلاء أن يتخلّوا عن دعوتهم ، وأن ينصرفوا عن واجب التوعية والتبليغ لأبناء جلدتهم ، وأن يقعدوا في جحور العزلة مع القاعدين اليائسين . وما دروا أن مسؤولية الدعوة تتطلّب منهم أن يصبروا على هذه الحال ، وأن يسعوا إلى الإصلاح ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، وأن يبقوا مثابرين سائرين على طريق الدعوة إلى أن يأتي اليوم الذي تنصلح فيه الأحوال ، ويعود بناء الجماعة من جديد ، وينتهي دور أولئك الذين سبّبوا للجماعة محنتها ، وانحدروا بها إلى الحضيض . فاللّه سبحانه لابد أن يهيئ للجماعة من يقودها إلى العزّ والسيادة ، ولابد أن يحميها من الدخلاء ، وعوادي الزمن ، وشراسة الأعداء .

فهؤلاء الصنف من الناس غلّبوا مزاجهم العاطفي ، ونظرتهم التشاؤميّة ، وعزلتهم الدعويّة .. على مصلحة العمل الإسلامي ، وطريق الدعوة إلى اللّه .. بل مسؤولية الدعوة تتطلّب منهم أن يكونوا أكثر صبرًا وثباتًا ، وأعظم حماسًا واندفاعًا ... إلى أن يأذن اللّه بالنصر والفرج .

تلكم – إخوتي الدعاة – بعض النماذج والصور في أحوال دعاة تأثّروا نفسيًّا ، وأثيروا عاطفيًّا فسقطوا على طريق الدعوة ، وأسقطوا غيرهم من المصلحين أو المتورّطين أو القاعدين !

ولكن ما علاج المؤثرات النفسيّة في الدعاة ؟

العلاج أن يعالجوا الظاهرة الغضبيّة الانفعاليّة في نفوسهم حتى يعودوا أكثر اتزانًا ، وأعظم انضباطًا ، وأقوى تحكيمًا للعقل والشرع .

والعلاج الغضبي في المسلم يكون باتباع المنهج الذي رسمه نبيّ الإسلام صلوات اللّه وسلامه عليه ، **وخطوات المنهج كما يلي :**

أ – **تغيير الحالة التي يكون عليها الغضبان** : روى الإمام أحمد وغيره عن رسول اللّه ﷺ أنه قال : « إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب ..

وإلا فليضطجع » [1] .

ب – **المبادرة إلى الوضوء في حالة الغضب** : أخرج أبو داود عن رسول اللّه ﷺ أنه قال : « الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضّأ » [2] .

ج – **المسارعة إلى السكوت في حالة الغضب** : روى الإمام أحمد عن رسول اللّه ﷺ أنه قال : « إذا غضب أحدكم فليسكت » [3] .

د – **التعوّذ باللّه من الشيطان الرجيم حين الاستشعار بالغضب** : جاء في الصحيحين : أنه استُبّ رجلان عند النبي ﷺ ، وأحدهما يسبّ صاحبه مغضبًا وقد احمرّ وجهه ، فقال النبي ﷺ : « إني لأعلم لو قال : أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد » [4] .

هذه أهمّ بنود المنهج التي رسمها النبي ﷺ لأمته في تسكين الغضب ، والحدّ من ثورته ، والتخفيف من غلُوائه .

فعلى الدعاة على وجه الخصوص أن يأخذوا بمراحل هذه التعاليم ليكونوا دائمًا أكثر حلمًا وأناة ، وأعظم انضباطًا واتزانًا .. وحتى لا يوقعهم الغضب أيضًا في خصومات مع الآخرين ، فتسبّب لهم ترك العمل الإسلامي ، واعتزال الجماعة التي ينتمي إليها ، ويعمل معها .

أما علاج الثورة العاطفية في الشباب في استعجال النصر :

فلا يكون إلا بالأخذ بأسباب النصر ، وسنن الجهاد :

● **فمن سنن النصر** : تربية النفس على الإيمان والتقوى والعمل بمنهج اللّه عقيدة وعبادة ، وأخلاقًا ومعاملة ، وشرعة ومنهاجًا .

● **ومن سنن النصر** : المقاومة من أجل إعلاء كلمة اللّه ، وإقامة حكم الإسلام .. لا من أجل أغراض ذاتيّة ، ومصالح شخصيّة ، وصراعات سياسية .

● **ومن سنن النصر** : الإعداد الكامل للمعركة ، والإعداد يشمل : الإعداد المادي ، والإعداد التربوي ، والإعداد الجسمي ، والإعداد الشعبي ، والإعداد المرحلي .. تحقيقًا لقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [5] .

فبناءً على ما ذكرناه من الأخذ بسنن الجهاد ، وأسباب النصر .. فلا يجوز للدعاة

(1 – 4) سبق تخريجه (353) .

(5) سورة الأنفال الآية : 60 .

الشباب شرعًا أن يتعجّلوا النصر قبل أوانه ، وأن يقحموا أنفسهم في صراعات سياسيّة مع الحكام دون الأخذ بالأسباب ..

ولاشك أنهم إذا انساقوا مع عواطفهم بلا إعداد ، ولا أخذٍ بالسّنن .. فإنهم يتعرّضون لأدهى المصائب ، وأوخم العواقب .. بل يكونون سببًا في إيقاف عجلة الدعوة وتجميدها ، والحيلولة دون انتشارها وامتدادها وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا .

هذا عدا عمّا يتعرّضون له من قتل وتشريد ، وسجن وتعذيب .. وعدا ما تتعرّض له أيضًا الأسر والعوائل من فقر وتهجير ، وثُكْلٍ وتيتيم ..

وقد قيل قديمًا : **« مَنْ تعجّل شيئًا قبل أوانه عوقب بحرمانه »** .

ورحم اللّه الإمام حسن البنا حين أوصى الشباب بهذه الوصيّة الرائعة الخالدة ، يقول تغمّده اللّه بالرحمة : (.. فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها ، أو يقطف ثمرة قبل أوانها .. فلستُ معه في ذلك بحال ، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات ، ومن صبر معي حتى تنمو البذرة ، وتنبت الشجرة ، وتصلح الثمرة ، ويحين القطاف .. فأجره على اللّه ، ولن يفوتنا وإياه أجر المحسنين ، فإمّا النصر والسيادة ، أو الشهادة والسعادة) ..

فعلى الدعاة الشباب أن يسيروا بدعوتهم على حسب المراحل الدعوية ، والأسباب المادّية والمعنويّة في الوصول إلى النصر ، ولاشك أنهم إن ساروا بمرحليّة وتعقّل وتخطيط [1] وصلوا – بتوفيق اللّه – إلى غايتهم في بناء الدولة الإسلامية ، وعودة أمّة الإسلام إلى سالف عزتها ، وسابق مجدها .. وما ذلك على اللّه بعزيز .

وأما علاج ردود الفعل الانفعاليّة في ترك العمل الدعوي ، والجماعة الإسلامية بسبب تفرّق الجماعة وتمزّقها ، وجمودها وتسيّبها .. فأقول :

إن من أبسط استشعار المسؤوليّة الدعويّة لدى الداعية أن ينطلق الداعية في طريق الدعوة إلى اللّه من بؤرة شعوره دون أن يصرفه عائق ، أو تردّه عثرة .

نعم قد يجد الداعية من جماعته تسيّبًا وخللاً ، وقد يرى من أبناء دعوته تهاونًا وتكاسلاً .. وقد يرى قصورًا في المناهج ، وضعفًا في التربية ... ومع كلّ هذا

(1) ارجع إلى كتابنا « الشباب المسلم في مواجهة التحدّيات » فصل : « تحدّيات الحكومات العلمانية » تجد المراحل التي ينبغي أن ينطلق منها الشباب في تحقيق النصر بما لا يدع اعتراضًا لمعترض .

فلا يجوز له أن يجمّد نفسه أو ينسحب من جماعته ، ولا يصحّ أن تسوقه ردود الفعل أن يقبع في جحور العزلة مع القاعدين ، بل تتطلّب منه مصلحة الدعوة والإسلام أن يسعى إلى الإصلاح والبناء ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وأن يبذل أقصى جهده في اختيار الأكفأ والأصلح في تولّي أمر الجماعة ، والاستشعار بمسؤوليتها .

فعلى الدعاة أن يسيروا على درب الدعوة برسوخ إيمان ، وقوة عزيمة ، وروح تفاؤل ، ونظرة إنقاذ ، واستمراريّة عمل .. وأن يكونوا دائمًا أكثر صبرًا وثباتًا ، وأعظم اندفاعًا وحماسًا ، وأقوى إقدامًا وتفاؤلاً .. واللّه سبحانه يثبّتهم بالقول الثابت ، ويعينهم على حمل التّبعة ، ويجعل لهم من كل همّ فرجًا ، ومن كل ضيق مخرجًا ، ويوصلهم إلى غايتهم التي لها يسعون ، لكونه دائمًا من زمرة الذين آمنوا وكانوا يتّقون .

* * *

ج - المؤثّرات الابتلائية :

ومن المؤثرات النفسيّة التي تقف حجرة عثرة في طريق الدعاة ، وتؤخر مسيرتهم نحو العز والنصر **المؤثّر الابتلائي الاضطهادي** الذي يكتنفهم ، وينزل بساحتهم ، ويمسك بخناقهم ، ويرميهم بكل تهمة باطلة ، ويصوّب إليهم كلّ منكر من القول وزور .

وفي تقديري أن هذا المؤثّر النفسي هو من أعظم المؤثّرات النفسيّة التي أسقطت الكثير على درب الدعوة ، بل دفعت أن يُؤْثِروا السّلامة على الابتلاء ، والعافية على المحنة .. ليعيشوا في الحياة على رغد من العيش ، وفي مأمن من تسلّط الظالمين .

ولكن ما هي هذه الابتلاءات التي تحلّ في ساحة الدعاة ؟

فمنها ابتلاء التّعذيب والسجن والاعتقال .

ومنها ابتلاء التّسريح ومصادرة الأملاك والأموال .

ومنها ابتلاء تلفيق التّهمة والتّزوير والبهتان .

ومنها ابتلاء التّهكم والسّخرية والاستهزاء .

ومنها ابتلاء التّهجير والنّفي والإبعاد عن الأوطان .

ومنها ابتلاء التّجويع والتفقير والإذلال .

ومنها ابتلاء التّهديد بالعرض وقتل النساء والأطفال .

ومنها .. ومنها .. بما لا يعلم حدوده ومداه إلا اللّه .

ولاشك أن هذه الابتلاءات وأمثالها تكفي واحدة منها أن تردّ الذين ينتظمون في سلك الدعوة لغرض المطامع الشخصيّة على أعقابهم مرتدّين خاسرين !! وصدق اللّه العظيم القائل : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [1] .

أما الذين انتظموا في صف الدعوة بقصد الإخلاص والصدق وإعلاء كلمة اللّه .. فهؤلاء لا تردّهم عن مسيرتهم الدعويّة فتنة ، ولا تزعزعهم محنة ، ولا يصرفهم ابتلاء .. بل يثبتون في مواقعهم التي هم فيها كثبات الجبل العالي الأشمّ ، لا يتأثّرون بالأحداث ، ولا تزلزلهم حادثات الليالي .. بل يكونون من الصنف الذي قال اللّه عنهم في محكم التنزيل : ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [2] .

ومن القضايا المسلّم بها في تاريخ الدعوات أن الحق إذا واجه الباطل لابدّ أن يكون معه في صراع ، وأن صوت الدعوة الداوي المجلجل لابدّ أن يثير مكائد الطغاة .. وهنا تظهر الحقيقة الابتلائيّة في أجلى معانيها ..

هل سيثبت الدعاة في مواقعهم نتيجة هذه المواجهة والصراع ؟

هل يبدّلون ويغيّرون إذا عظُم عليهم الخطب ، واشتدّ البلاء ؟

هل يسكتون إلى الأبد إذا سامهم الطغاة سوء العذاب ؟

هل ينعطفون في مسيرتهم الدعويّة إلى دروب الإخلاد إلى الأرض وفتنة الحياة ؟

كل ذلك سوف تظهر حقيقته إذا مرّوا بمراحل الفتنة ، وأطوار البلاء ..

والقرآن الكريم قرر **مبدأ الابتلاء والتمحيص على طريق المحنة** بآيات واضحات بيّنات ، قال سبحانه : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾

(1) سورة الحج الآية : 11 .

(2) سورة الأحزاب الآية : 23 - 24 .

وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [1] .

ومما لا يختلف فيه اثنان أن الذين يصابرون ويصبرون على طريق الدعوة والجهاد دون أن يكترثوا بفتنة ، أو يبالوا باضطهاد ومحنة .. فإن سبيلهم رضوان اللّه ، وجنّات عدن عند مليك مقتدر ، والقرآن الكريم قرّر ذلك في أكثر من آية :

- ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [2] .

- ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [3] .

﴿ .. فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ [4] .

فما على الدعاة إذن إلا أن يعلموا أن من طبيعة الدعوات الصّراع ، ومن طبيعة الصّراع الابتلاء ، ومن طبيعة الابتلاء تمحيص الذين يسيرون على طريق الدعوة هل يثبتون أم ينهزمون ؟ وفي حال الثبات والصبر والمصابرة فإن اللّه أعدّ للصابرين المجاهدين في يوم الخلود ما لا عين رأت ، ولا أُذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر !!

هل عرف الدعاة ذلك ؟ وهل دروا أن طريق الدعوة محفوف بالأشواك والعقبات ؟ وهل علموا أن العمل في سبيل الإسلام يتطلّب صبرًا ومصابرة وكفاحًا مريرًا ؟ وهل فهموا لو أنهم استقاموا على الطريقة لنوّلَهُمُ اللّه إحدى الحسنيين : النصر أو الشهادة ؟

ولكن ما علاج المؤثرات الابتلائية في الدعاة ؟

أولا – حين يعلم الداعية أن الابتلاء على طريق الدعوة هو من سنن الأنبياء ، والمصلحين والدعاة في كل زمان ومكان يسهل عليه كل صعب ، وتهون عليه كلّ محنة ، ويصبر على كلّ الأحداث والنّوائب التي تعترض طريقه ، وتتنزل بساحته إلى

---

(1) سورة العنكبوت الآيات : 1 - 2 .
(2) سورة آل عمران الآية : 142 .
(3) سورة البقرة الآية : 214 .
(4) سورة آل عمران الآية : 195 .

أن يأذن اللّه له بالنصر ، أو يلقى اللّه وهو عنه راضٍ في مجمع من النبيّين والصدّيقين والشّهداء والصّالحين وحَسُن أولئك رفيقًا .

وحسبه أسوة النبيّ ﷺ في صبره وصموده وثباته .. فإن المشركين في مكة سلكوا مع النبي ﷺ مسالك شتّى من الأذى ، وأساليب متنوّعة من الاضطهاد .. ليثنوه عن دعوته ، ويصدّوه عن أداء رسالته ، فما استكان وما خضع ..

(**سلكوا معه** طريق الضّغط العائلي ، والتأثير الطائفي فما استكان وما خضع ..

سلكوا معه طريق الاستهزاء والسخرية والاتهام .. فما استكان وما خضع ..

سلكوا معه طريق المقاطعة الاقتصاديّة والاجتماعية .. فما استكان وما خضع ..

سلكوا معه أسلوب الغضّ من شأنه ، والتّصغير من شخصه .. فما استكان وما خضع ..

وقرّروا أخيرًا اغتياله وملاحقته .. فما استكان وما خضع ..

وبعد أن أذن اللّه له بالهجرة حاربوه بحملات متعدّدة ، وحروب طاحنة .. ليستأصلوا دعوته وأتباعه ، ما كان يردّه ذلك عن تبليغ الدعوة ، ونشرها في الأرض ، وإظهارها على الدين كلّه .. وظلّ عليه الصلاة والسلام صابرًا داعيًا مجاهدًا محتسبًا .. ماضيًا في طريق إعزاز دين اللّه حتى جاء نصر اللّه والفتح ، ودخل الناس في دين اللّه أفواجًا ..) [1] .

إن نظرة فاحصة – أخي الداعية – في قصص الأنبياء في القرآن الكريم ، وجولة سريعة في سيرة الرسول ﷺ ، وأخبار الصحابة والسلف ومن تبعهم بإحسان .. يجد الصراع بلغ أشدّه بين أهل الإيمان وأهل الكفر .. ويجد أنواع الأذى وأصناف الاضطهاد أصابت الزمرة المؤمنة من الدعاة الصادقين ، والرجال المجاهدين المخلصين .. ويجد الثبات على الحق ، والصبر على الأذى قد تحقق بأقوام أعطوا للأجيال قدوة في ثباتهم ، وضربوا لأمة الإسلام المثل الأعلى في صبرهم وتحمّلهم وجهادهم في سبيل اللّه .

فالداعية حين يقرأ أخبار الصفوة الممتازة من الأنبياء والصحابة والسلف .. وما تحمّلوه في سبيل الدعوة ، وما كابدوه في سبيل إعزاز دين اللّه .. تصغر نفسه أمام نفوسهم الكبيرة ، ويحتقر عمله في سبيل الإسلام أمام أعمالهم الضخمة العملاقة ،

(1) مقتطف من سلسلة مدرسة الدعاة ، فصل : « صفات الداعية النفسيّة » بحث : « الصبر » .

وتهون مصائبه أمام ما تحمّلوه من أحداث جسيمة ، وشدائد عظيمة بالغة ..

هذا عدا عمّا تمتلئ نفسه من شحنات الإيمان ، وما تُعَبّأ من طاقات العزيمة والمصابرة ، ليكون أقدر على حمل التبعة والمسؤولية وأقوى على الاستمراريّة في طريق الدعوة والجهاد ، وأثبت على مواجهة المصائب والأحداث ..

فاحرص - أخي الداعية - على أن تتأسّى بصبر الأنبياء وجهادهم ، وعزيمة الصحابة وتحمّلهم ، ومواقف السلف وسيرتهم .. عسى أن تنهج في العمل الدعوي نهجهم ، وتسير على طريق الجهاد سيرهم ، وتصبر على طريق المحنة والصراع صبرهم ، وما ذلك على اللّه بعزيز .

ثانيًا - على الداعية أن يعلم أنه إذا صبر على المصيبة والبلاء ، وتحمّل في سبيل اللّه الأذى والاضطهاد ..فإن له من الأجر والثواب ما لا يعلم مداه إلا اللّه ، وإن له من بشائر الرحمة والرضوان ما يجده في الدنيا ويوم العرض على ربّ العباد ، وإن له من الخير ، وتكفير الخطايا ، والمحبة الإلهية ، والتثبيت الإيماني .. ما لا يكون لأحد غير الصابرين .

والقرآن الكريم ، والسنّة النبويّة قد قرّرا ذلك في أكثر من آية ، وأكثر من حديث :

أما القرآن الكريم : فقد قرّر أن للصابرين على الابتلاء والمحنة بشائر من الرحمة والرضوان ، قال سبحانه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [1] .

وقرّر أيضًا أن اللّه سبحانه يوفّي الصابرين أجرهم بغير حساب ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

وقرّر كذلك أن الصابرين هم أهل الصدق والتقوى والإيمان .. قال جلّ جلاله : ﴿ .. وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [2] .

أما السنة النبوية :

فقد قرّرت أن الخير دَيْدَن المؤمن في كلّ ما يصيبه من سرّاء أو ضرّاء .. روى مسلم عنه ﷺ أنه قال : « عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كلّه خير ، وليس ذلك لأحد إلا

---

(1) البقرة : 155 - 157 .

(2) البقرة : 177 .

للمؤمن : إذا أصابته سرّاء شكر فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيرًا له » [1] .

وقرّرت أيضًا أن المصيبة التي تنزل بالمؤمن تكفّر من خطاياه مهما كانت كثيرة .. روى الشيخان عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال : « ما يصيب المسلم من نَصَب (تعب) ولا وَصَب (مرض) ولا همّ ولا حزن ولا أذى ولا غمّ حتى الشوكة يشاكها ؛ إلا كفّر اللّه بها من خطاياه » [2] .

وقرّرت كذلك أن الأذى الذي يصيب المسلم دليل محبّة اللّه له ، ورضاه عنه .. روى الترمذي عن أنس – رضي اللّه عنه – قال : قال النبي ﷺ : « إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن اللّه إذا أحبّ قومًا ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السّخط » [3] .

فعلى الداعية أن يتحلّى بالصبر والمصابرة في كل ما يصيبه ويبتليه اللّه به ، حتى يحظى برضوان اللّه ورحمته ، ويخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه ، ويُوَفّى أجره بغير حساب .. وحتى يواصل مسيرته الدعويّة بكل ثبات وشجاعة وإقدام .. دون أن يردّه عائق ، أو يُقعده بلاء .. واللّه سبحانه لا يضيع أجر الصابرين العاملين .

ثالثًا – حين يؤمن الداعية من قرارة وجدانه بالقضاء والقدر خيره وشرّه من اللّه تعالى ، وحين يعتقد من أعماق قلبه أن الآجال بيد اللّه ، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن الأمّة لو اجتمعوا على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه اللّه له ، وإن اجتمعوا على أن يضرّوه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه اللّه عليه .

وحين يضع الداعية نصب عينيه قول الحق سبحانه : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [4] .

وحين يردّد صباح مساء قوله جلّ جلاله : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [5] .

فبهذا الإيمان الوجداني ، والاعتقاد القلبي تترسّخ في نفس الداعية عقيدة القضاء والقدر ، ويتحرّر من الخوف والجبن والفزع ، ويتحلّى بخلُق الصبر والشجاعة

(1) صحيح مسلم كتاب الزهد ب (13) برقم (64) .
(2) اللؤلؤ والمرجان (3 / 198) برقم (1664) .
(3) سنن الترمذي برقم (2396) .
(4) سورة الحديد الآيات : 22 - 23 .
(5) سورة التوبة الآية : 51 .

والإقدام ، ويهتف بشعور صادق ، وإحساس مخلص بما هتف به الخليفة الراشد عليّ كرّم اللّه وجهه حين كان يجابه الأعداء :

من أيّ يومَيَّ من الموت أفرّ يوم لا يقدر أم يوم قُدِر
يوم لا يقدر لا أرهبه ومن المقدور لا ينجو الحَذِر

وأريد أن أضع بين يدي الداعية هذا الموقف :

بعد أن هزم [1] المسلمون في غزوة أحد وقتل منهم من قُتل ، وجُرِح مَنْ جُرِح .. قال صنف من المنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم : لو كان أمر النّصر والظفرَ بأيدينا – كما ادّعى محمد – أن الأمر كلّه للّه ولأوليائه ، وأنهم هم الغالبون – لما غُلبنا ، ولما قتل من المسلمين مَنْ قُتِلَ في هذه المعركة .

وقد غفل أولئك أن الآجال محدودة ، والأعمار موقوتة ، وكل شيء يقع بقدر !!

والقرآن الكريم حكى قولهم الكاذب حين قال : ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ﴾ [2] .

ومن ثَمّ أمر اللّه أن يجيبهم بقوله : ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾ [3] .

ومعنى الآية : لو كنتُم في بيوتكم ولم تخرجوا للقتال لخرج من بينكم من انتهت آجالهم ، وثبت في علم اللّه أنهم يقتلون إلى حيث يقتلون ، ويسقطون في البراز (أي الأرض المستوية) فتكون لهم مصارع ومضاجع !!

فمن هذا الموقف – أخي الداعية – يتبين أن الحذر لا يدفع القَدَر ، والتدبير لا يقاوم التقدير ، وأن الذيَ قُدّر عليه القتل لابد أن يُقتل ، وأن الذي وقعت عليه المصيبة لابد أن تقع .. فإذا كان الأمر كذلك فلماذا يكون المؤمن رعديدًا جبانًا ؟ ولماذا يستحوذ عليه الخوف والفزع ؟

فكن – أخي الداعية – من الذين ترسّخت عقيدة القضاء والقدر في نفوسهم ، وتعمّقت مشاعر الإيمان باللّه في قلوبهم .. حتى لا تتعثر على طريق الدعوة ، ولا تسقط على درب المحنة ، ولا تتزعزع عند وقوع المصيبة .. واللّه سبحانه يتولاك

(1) سبب الهزيمة – كما هو معلوم – هو مخالفة الرماة لأمر رسول اللّه ﷺ في ترك مواقعهم .
(2 – 3) سورة آل عمران الآية : 154 .

مبتلىً أو معافى ، ويرعاك وأنت في المحنة أو الرخاء .

فمعالجة المؤثّرات الابتلائية في الدعاة إذن :

● أن يعلم الداعية أن الابتلاء على طريق الدعوة هو من سنن الأنبياء والدعاة والمصلحين . فما على الداعية الحق الصادق إلا أن ينهج نهجهم ، ويسير على الدرب مثلهم ..

● أن يوقن أنه إذا صبر على البلاء ، وتحمّل الأذى في سبيل اللّه فله أجر الصادقين ، وجزاء الصابرين .. إذ أعدّ اللّه سبحانه لهؤلاء من النعيم والرضوان والمتعة .. ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

● أن يستفرغ جهده في أن يعمّق في نفسه عقيدة القضاء والقدر ؛ ليوقن أن كلّ ما يصيبه في الحياة مسطّر في اللوح المحفوظ ، بل هو من القدر الكائن المحتوم .. فلا يسعه – بعد الوقوع – إلا الرضا والتسليم .

فاحرص – أخي الداعية – على أن تعالج نفسك من هذه المؤثّرات الابتلائيّة ببلسم الإسلام الشافي ، وترياق الإيمان الواقي .. لتظلّ دائمًا مبتسمًا للمصاعب ، مستسلمًا للقضاء ، سائرًا بعزم على طريق الدعوة غير هيّاب ولا مكترث .. لا تزعزعك أحداث الأيام ، ولا تغيّرك نكبات الليالي ... واللّه غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

* * *

ج - المؤثرات الإغرائيّة :

ومن المؤثّرات النفسيّة التي أسقطت الكثير على طريق الدعوة ، وانعطفت بهم نحو الشقاء والانحراف ، وحوّلت مسارهم إلى استجابات النفس ، وإيحاءات الهوى ، ومزالق الشيطان .. **المؤثّر الإغرائي الإغوائي** الذي نحن بصدد التحدّث عنه ، والبحث فيه ..

وفي اعتقادي أن هذا المؤثّر من المؤثرات الخطيرة في حياة الدعاة ، بل ألقى بمن كانوا يُعدّون على الأصابع ، وبمن كان لهم صيت عظيم ، وشهرة ذائعة ؛ في منحدر مهلك سحيق ، بل أصبحوا من عبّاد المناصب ، وتجّار النفاق .. ولا حول ولا قوة إلا باللّه .

ولكن ما هذه المؤثّرات الإغرائيّة التي تؤثّر ببعض الدعاة ؟

● من هذه الإغراءات : إغراءات المنصب والجاه .

- ومنها إغراءات البنين والمال .
- ومنها إغراءات زهرة الحياة الدنيا .
- ومنها إغراءات فتنة النساء .
- ومنها إغراءات حبّ الشهرة ، واستشراف إظهار الذات .

ومنها .. ومنها .. من الإغراءات الكثيرة المتلاحقة التي تأخذ بعضها برقاب بعض والتي هي محكّ للفتنة والابتلاء وإظهار معدن الرجال ..

فهذه الإغراءات التي يواجهها الدعاة ، وتقترب منهم ، وتحلّ بساحتهم .. تكفي واحدة منها أن تقصم ظهر الذين لم يخالط الإيمان بشاشة قلوبهم ، وتُسقط في هاوية الفتنة أقوامًا لم يتذوّقوا حلاوة الإيمان ، ولم يستشعروا نشوة الإسلام .. فكيف إذا فتنتهم مجتمعة ؟ وكيف إذا حلّت بهم وهي ضاحكة مستبشرة ؟ فلاشك أن السقوط أكبر ، والانحراف أعظم !!

قد يقول قائل : نجد على الساحة الدعوية رجالاً انتظموا في سلك الدعوة ، ووصلوا إلى أعلى المراتب القيادية فيها ، وقد حقق اللّه على أيديهم النفع الكثير ، والخير العميم بفضل جهودهم المستمرة ، وحركيّتهم الجبّارة .. وإذ ببارقة منصب خدّاع تلوح لهم ، وإغراءات من دنيا يصيبونها تجتذب نفوسهم .. تُحوّل مسارهم رأسًا على عقب ، ويصبحون من عبيد الدنيا ، وعشّاق المناصب ، وأهل الانحراف عن الجادّة .. كيف يكون ذلك ؟

أقول : إن البدايات نهايات ، **فمن أشرقت بدايته أشرقت نهايته** ، **ومن ساءت بدايته ساءت نهايته** .. فالداعية الذي ينتظم في سلك الدعوة وهو مخلص لها ، ويبغي انتشارها وإعزازها ، ويتحمّل في سبيلها كل عَنَتٍ وإرهاق واضطهاد ، ويكون عمله للّه وفي سبيل اللّه ، ويبلّغ رسالات اللّه ويخشاه ، ولا يخشى أحدًا إلا اللّه .. هذا الداعية الذي أشرقت بدايته ، وثبت على الإيمان والاستقامة ، واستمرّ على تبليغ الدعوة والإسلام حتى النهاية .. فإنه – ولاشك – سيبقى على هذه الحال دون أن تغريه فتنة ، أويغويه منصب ، أو يفتنه مطمع .. إلى أن يلقى اللّه عز وجل وهو عنه راضٍ في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ..

أما الداعية الذي ينتظم في سلك الدعوة وهو يبغي النفع من ورائها ، ويتطلّع إلى زعامة شخصية من بداية الدخول فيها ، ويستشرف المناصب العالية حين يتحقّق للمسلمين نصرها وحلوها ، ويستفرغ جهده إلى أن يصطاد الدنيا باسم الدين حين يجد الفرصة السانحة لها .. هذا الداعية الذي ساءت بدايته ، وزاغت سريرته ، وظهرت للعيان مطامعه وأهواؤه ، والتاث بإغراءات الدنيا ، وتمرغ بأوحال حبّ الظهور والمنصب والجاه .. فإنّه – ولا شك – يبيع دينه ودعوته بعرض من الدنيا قليل ، ومطمع من إظهار الشخصية والذات رخيص .. بل يكون التاجر الحقير في سوق النفاق ، والرجل الوضيع بين الدعاة المخلصين الكبار .. ولابد أن تسوء نهايته كما ساءت بدايته ، اللهم إلا إذا استدرك ذلك بالاستغفار الخالص ، والتوبة الصادقة النصوح .. فاللّه سبحانه يتقبل من التائبين المستغفرين .

وإلى هذا أشار النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث طويل عن عبد اللّه بن مسعود : « ... فواللّه الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنّة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها .. »[1] .

وهنا **يرد السؤال** كيف يُمكر بالذي يعمل بعمل أهل الجنة في آخر حياته فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ؟

الجواب : أنه من أهل النار ، لأن عمله لم يكن صحيحًا في نفسه ، ولم يكن مبنيًا على الصدق والإخلاص في ذاته .. وإنما كان رياءً وسمعة وبغية المصالح الشخصية ، والأهواء الذاتية ..

وهذا المعنى مستفاد من رواية مسلم في كتاب الإيمان : أن رسول اللّه ﷺ قال : « .. إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة **فيما يبدو للناس** .. »[2] .

إذن لم يكن عمله خالصًا لوجه اللّه ، وابتغاء الدار الآخرة .. وإنما كان من أجل السمعة والرياء ، واستشراف الثناء ، وبغية المطامع والأهواء ..

وصدق من قال : « **البداياتُ نهاياتٌ ، فمن أشرقت بدايته أشرقت نهايتُه ، ومن ساءت بدايتُه ساءت نهايتُه** » .

(1) اللؤلؤ والمرجان (3 / 207) برقم (1695) . (2) صحيح مسلم كتاب الإيمان برقم (179) .

فاللّه سبحانه بمحض عدله ، وفضله وكرمه .. لا يمكر بالذين أخلصوا في دعوتهم ، واستقاموا في أعمالهم ، وراقبوه حق المراقبة في سرّهم وعلنهم .. لا يمكر بهم في آخر حياتهم ، بل يعينهم ويوفقهم ، ويثبتهم بالقول الثابت في الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد ، ويختم لهم بالإخلاص والإيمان ، ويدخلهم جنّات عدن في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

وكم أدركنا في عصر الفتنة والمطامع والأهواء .. رجالا ثبتوا على الحق ، واستقاموا على الطريقة ، وأخلصوا دينهم للّه .. فأعطوا القدوة للأجيال في ثبات إيمانهم الذي يزن الجبال ، ونظر الناس إليهم على أنهم منارات متلألئة للهداة في ظلمات الحياة .. كأمثال الإمام البنا ، والشهيد سيد قطب ، والشيخ مصطفى السباعي ، والمرشد الوقور المرحوم حسن الهضيبي والداعية المخلص عبد العزيز البدري .. وعشرات غيرهم من أقوياء الإيمان ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدّلوا تبديلاً .

فهؤلاء سوف يبقون في التاريخ أعلامًا ، وعلى تعاقب الأجيال قدوة ، وعلى مرّ العصور منارات .. ؟ !!

وكم أدركنا في عصر الإغراء والإغواء والأهواء .. رجالاً وصلوا في مراتب القيادات إلى قمتها ، وأبلوا في مضمار التوعية والنشاط والتبليغ خير بلاء .. ولكن حين رأوا رجال الدعوة يُمتحنون في أنفسهم وأموالهم ، ويُلاحقون في وظائفهم وعقر دارهم ، ويُضطهدون في تعذيبهم واعتقالهم ، ويُضيّق عليهم في معاشهم وقطع أرزاقهم .. وحين رأوا أن الحكم الطاغي اللاديني يلوّح لهم ببريق المادة ، وفتنة المنصب ، وإغراء الجاه ، ووفرة الثراء والغنى .. فسرعان ما انقلبوا على أعقابهم ، وتولّوا على أدبارهم .. وأصبحوا عبيد السلطة ، وأحذية الحكم ، وذَنب الطاغوت ، بل بفعلتهم هذه. باعوا دينهم ودعوتهم بعرض من الدنيا زائل ، وحطام من الجاه رخيص .. أولئك هم الأرذلون ؟!!

هؤلاء لم يكسبوا دنيا ولا آخرة .. لم يكسبوا دنيا لأن الحكم الطاغوتي حين يستهلكهم ، ويصل إلى تحقيق غرضه معهم ؛ يخلعهم من رجله ويلفظهم كما يخلع أحدنا حذاءه البالي القديم ؛ فيلفظه في سلّة النّفايات ، فيمشي حين يمشي لا وزن له ولا اعتبار عند اللّه وعند الناس .

ولم يكسبوا آخرة ؛ لأن مصير المرائين والمنافقين والمستشرفين للجاه وحبّ الظهور

على حساب دعوتهم ودينهم .. في الدرك الأسفل من النار ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [1] وصدق رسول اللّه ﷺ القائل فيما رواه ابن ماجه : « وإن أخوف ما أخاف على أمتي الإشراك باللّه ، أما إني لست أقول يعبدون شمسًا ولا قمرًا ولا وثنًا .. ولكن أعمالاً لغير اللّه وشهوة خفيّة » [2] .

والشهوة الخفيّة في الداعية لم تكن قاصرة على شهوة الجاه ، واستشراف إظهار الذات ، والوصول إلى الزعامة .. وإنما تشمل الجري اللاهث وراء فتنة النساء ، والسعي الدائب ليكون من ذوي الغنى وأهل الثراء ، والحرص الدائم على الإكثار من البنين والمقرّبين والأنصار ، والاهتمام الزائد لأن يكون من أصحاب المظاهر البرّاقة في اللباس ، والأثاث ، وفخامة البناء ، وألوان الطعام .

فكل هذه الإغراءات التي يتطلّع إليها الداعية ، ويستشرفها ، ويسعى إليها ، ويوجّه كل إحساسه واهتمامه وعزيمته لها .. هي في الحقيقة **عامل كبير** في انحراف الداعية نحو الفساد ، وانعطافه نحو الركون إلى الدنيا ، وتحوّله السريع إلى الانطلاق في حمأة الشهوة ، وتأمين اللذة ، وتوفير المعجبين ، وتكثير الأنصار ، وتجميع الأموال ، والإغداق على المظاهر .

● **فكم من داعية** ملكته شهوته ، فجرى لاهثًا وراء امرأة حسناء ... فكانت سببًا في سقوطه وقعوده ، أو عاملاً كبيرًا في تميّعه وانحرافه ؟!!

● **وكم من داعية** ملكه حب المال والثراء ، فجرى هائمًا لجمعه وتكديسه - فأقعده عن مسؤولية الدعوة ، والقيام بواجب العمل الإسلامي - وأصبح من القاعدين المتواكلين ؟!!

● **وكم من داعية** ملكت لُبّه زهرةُ الحياة الدنيا ، فجرى شَغِفًا للاستمتاع بها ، وتوفير لذاتها .. فحوّلت مساره الدعوي إلى أن يكون عبدًا للدينار ، عبدًا للمظاهر ، عبدًا للهوى ، عبدًا للبطن ، عبدًا للنفس الأمّارة ... ولاشك من كان هذا همّه ، ومبلغ تفكيره وعلمه .. فإنه سوف يكون من الخائضين الساقطين ؟!!

وكم .. ؟ وكم .. ؟ ممن لا حصر له ولا عدّ .. من مؤثّرات إغرائية ، وعوامل

---

(1) سورة النساء الآية : 145 .

(2) سنن ابن ماجه (4205) .

إغوائيّة ، ودوافع نفسيّة وعاطفية .. فكم أسقطت من دعاة ؟ وكم حوّلت عن المسار الدعوي الصادق المخلص من مرشدين وعلماء ؟

فاحذر – أخي الداعية – من أن تنزلق في متاهات المؤثرات الإغرائية .. وحذار أن تتعثر في أحوال المسبّبات الإغوائية .. وحذار أن تجعل الدنيا أكبر همّك ، ومبلغ علمك .. حتى لا تكون من المنحرفين الهالكين .. واللّه مع الذين اتقوا وكانوا محسنين .

ما علاج المؤثرات الإغرائيّة في الدعاة ؟

لاشك أن الإسلام بتشريعه الحكيم الشامل وضع من الحلول والإيجابيّات في معالجة التأثير الإغرائي في نفسيّة المسلم – ولاسيّما الداعية – ، ما إن أخذ بها ، ومشى على منهجها صلح حاله ، واستقامت أخلاقه ، وأصبح في المجتمع إنسانًا سويًّا ، وبرًّا تقيًّا .. يشار إليه بالبنان ، بل يكون محلّ قدوة لكلّ إنسان .

وأرى أن خطّة المعالجة هي اتّباع الخطوات التالية :

الأولى – أن يتجرد الداعية من وسوسة الشيطان ، وإيحاءات الهوى ، ونزغات النفس الأمّارة .. لأن هذه المؤثرات الباطنيّة الإيحائيّة .. إن استسلم الداعية لها ، وخضع لسلطانها .. كانت من أعظم العوامل في إغوائه وإغرائه ، وانحلاله وانحرافه .. ولكن كيف يكون التحرر من ذلك كلّه ؟

● **التحرر من وسوسة الشيطان :**

أ – أن يتخذ الداعية الشيطان عدوًّا يسعى لمحاربته وقهره ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، ولقوله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا .. ﴾ [1] .

ب – أن يكون الداعية مؤمنًا متوكلاً مستعيذًا باللّه من الشيطان الرجيم ، ليهرب الشيطان منه ، ويتخلّى عنه ، ولا يكون له سلطان عليه ، لقوله سبحانه : ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴾ [2] .

ج – أن يعمّق في أعماق وجدانه حساسيّة الإيمان والتقوى .. حتى يميّز بين خاطرة الحق ، وخاطرة الشيطان ، ويتبصّر طريق الإسلام من طريق الضلال ، لقوله جلّ جلاله : ﴿ إِنَّ

(1) سورة فاطر الآية : 6 .
(2) سورة النحل الآية : 98 - 100 .

ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ (1) .

د – أن يقاطع أهل الفسوق والعصيان ؛ لأن مصاحبتهم من إغواء الشيطان وإنسائه ذكرَ ربّه ، ولقول ذي العزة والجلال : ﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (2) .

● **التحرّر من إيحاءات الهوى :**

أ – أن يعمّق الداعية في نفسه مشاعر المراقبة للّه ، حتى يستشعر دائمًا أن اللّه سبحانه معه يسمعه ويراه ، ويعلم سرّه ونجواه ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ..

وأن يضع نصب عينيه قول الحق جلّ جلاله : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْ ﴾ (3) .

ب – أن يملأ فراغه بما ينفع . وذلك بأن يملأ فراغه إما برياضة بدنيّة يقوّي بها جسمه ، أو بنزهة بريئة يروّض بها نفسه ، أو بمطالعة مفيدة يكمّل بها ثقافته ، أو بحضور درس تربويّ روحيّ يهذّب به خلقه ، أو بمباراة ثقافية يشحذ بها عقله ، أو بتمارين على الرمي ووسائل الجهاد يعدّ بها ليوم الكريهة ذاته .. وهذا كلّه يدخل في عموم قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم : « ... احرص على ما ينفعك واستعن باللّه ولا تعجز ... » (4) .

ج – أن يحرص على اختيار الرفقة الصالحة التي إن نسي ذكّرته ، وإن ذكر أعانته ، وإن انحرف حرصت على إصلاحه وهداه .. وهذا ما أمر به نبيّ الإسلام صلوات اللّه وسلامه عليه حين قال فيما رواه الترمذي : « لا تُصاحبْ إلا مؤمنًا ، ولا يأكلْ طعامك إلا تقيّ » (5) .

وصدق اللّه العظيم القائل في محكم التنزيل : ﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ (6) .

● **التحرّر من نزغات النفس الأمّارة :**

ما ذكرناه من معالجة في تحرّر نفس الداعية من إيحاءات الهوى .. فإنه ينطبق تمامًا على تحرّره من نزغات النفس الأمّارة ؛ لأن الأسباب نفس الأسباب ، والدوافع

---

(1) سورة الأعراف الآية : 201 .
(2) سورة الأنعام الآية : 68 .
(3) سورة المجادلة الآية : 7 .
(4) صحيح مسلم كتاب القدر (34) .
(5) سنن الترمذي (2399) ، وسنن أبي داود (4832) .
(6) سورة الزخرف الآية : 67 .

نفس الدوافع .. وإذا كان الأمر كما ذكرنا فإن المعالجة نفس المعالجة ..

وأريد أن أزيد معالجة أخرى ينبغي أن يتنبه إليها الداعية ، وأن يأخذ بأفضلها : (عليك أن تعلم - أخي الداعية - أن اللّه سبحانه حين خلق النفس الإنسانية ركّب فيها قابليّة الخير ، وقابليّة الشرّ ، **وجعل فيها من حرية الاختيار** ، **وقوة الإرادة** ، **ومحاكمة العقل** ، **وصفاء الفطرة** .. ما تستطيع به أن تغلّب فيه نزعة الخير على نزعة الشرّ ، وما يهيب بالنفس أن تسير بأمان في طريق الرشد ، وتتجنّب بعزم طريق الفسوق والعصيان !! . وكذلك لم يترك هذه النفس تتخبّط في صراع المبادئ ، وتتعثّر في أوحال الأهواء .. وإنما **أوضح لها الطريق** ، **وبيّن لها المنهج** .. لتسير في الحياة على هدىً وبصيرة وطريق مستقيم .

أما أنه أعطاها **حرية الاختيار** فلقوله تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [1] .

وأما أنه أعطاها **قوة الإرادة** فلقوله سبحانه : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [2] .

وأما أنه أعطاها **محاكمة العقل** فلقوله جلّ جلاله : ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [3] .

وفي القرآن الكريم عشرات الآيات فيها تمجيد للعقل ، ودعوة له إلى النظر في حقائق الأشياء ومعاينتها ومحاكمتها ..

وأما أنه أعطاها **صفاء الفطرة** فلقوله مَنْ تمجّدت صفاته : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ [4] .

وأما أنه أوضح لها المنهج فلقوله عزّ من قائل : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [5] .

هذا عدا عن أن التكاليف الشرعية نزلت ميسرة ، متناسبة مع الطاقة البشرية ، رافعة الحرج عن الناس ؛ لأن مبدأ القرآن الذي لا يتغيّر : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [6] ، وقاعدته التي لا تتبدّل : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا

(1) سورة الدهر الآية : 3 .
(2) سورة النازعات الآية : 40 - 41 .
(3) سورة الأنعام الآية : 32 .
(4) سورة الروم الآية : 30 .
(5) سورة النحل الآية : 89 .
(6) سورة البقرة الآية : 185 .

وُسْعَهَا ﴾ [1] ، ومنهجه الذي لا يتحوّل : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [2] .

ومن المعلوم يقينًا أن النّفس الإنسانيّة حين يتوجّه اختيارها للخير ، وتقوى إرادتها على تنفيذ الحق ، وتحاكم الأمور على مقتضى العقل ، وتسير بفطرتها مع الهدى ، وتتّبع المنهج الرباني الذي أنزله اللّه بدقّة ويسر .. فإنها - ولاشك - تسير في ركاب المتقين الأبرار ، وتسلك طريق المصطفين الأخيار .. بل سرعان ما تنتقل إلى مرتبة النفس العليا ، لتصبح نفسًا مؤمنة مطمئنة ، لا تتأثر بهوى ، ولا تتزعزع لشهوة ، ولا تضطرب لرغبة ، ولا ينزغنّها شيطان ... وهكذا تعود إلى أصالتها في نقاوة الفطرة ، ورسوخ الإيمان ، والتزام المنهج ، واتّباع شرع اللّه ، والعمل للجهاد في سبيل الدعوة ، وإعلاء كلمة اللّه ..) [3] .

الثانية - أن يعلم الداعية أن كلّ الإغراءات النفسيّة التي يميل إليها ويستشرفها ويسعى إليها .. إنما هي فتنة له في دينه ودعوته ونفسه .. فالمال فتنة ، والأولاد فتنة ، والنساء فتنة ، وزهرة الحياة الدنيا فتنة ، وشهوة الإمارة فتنة ، وحبّ الظهور فتنة ..

والفتنة من معانيها **الابتلاء والاختبار** ، وعلى الغالب أن من يفتن بمثل هذه الإغراءات .. فإنه يسقط في الامتحان ، ويصبح في النهاية من المفتونين الهالكين الخاسرين ..

أما أن **المال والأولاد فتنة** فلقوله تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [4] .

وروى الترمذي عنه ﷺ : « إن لكل أمة فتنة ، وفتنة أمتي المال » [5] .

وأما أن **النساء فتنة** فلقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الشيخان : « ما تركتُ بعدي فتنة أضرّ على الرجال من النساء » [6] .

وأما أن **زهرة الحياة الدنيا فتنة** فلقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [7] .

وجاء في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري - رضي اللّه عنه - قال : جلس رسول اللّه ﷺ على المنبر وجلسنا حوله فقال : « إن مما أخاف عليكم من بعدي ما

---

(1) سورة البقرة الآية : 286 . (2) سورة الحج الآية : 78 .

(3) من كتاب « الشباب المسلم في مواجهة التحدّيات » الفصل الأول : « تحدّيات النفس والشيطان والهوى » ص : 32 .

(4) سورة الأنفال الآية : 28 . (5) سبق تخريجه ص (2 / 555) .

(6) اللؤلؤ والمرجان (3 / 235) برقم (1744) . (7) سورة طه الآية : 131 .

يفتح عليكم من زهرة الحياة الدنيا وزينتها »[1] .

وأما أن **شهوة الإمارة فتنة** فللحديث الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « إنكم ستحرصون على الإمارة ، وستكون ندامة يوم القيامة ..»[2] .

تكون حسرة وندامة لمن لا يعمل فيها بما يرضي الله تعالى ، وأما من تولاها في إرضاء الحاكم بما يسخط الله فقد خرج من دين الله ، وذلك لما روى الحاكم بسند جيد عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « من أرضى سلطانًا بما يسخط ربّه خرج من دين الله »[3] .

وأما أن **حبّ الظهور فتنة** فللحديث الذي سبق ذكره : « إن أخوف ما أخاف على أمتي الإشراك بالله ، أما إني لست أقول يعبدون شمسًا ولا قمرًا ولا وثنًا ، ولكن أعمالاً لغير الله وشهوة خفيّة »[4] .

فإذا كانت هذه الإغراءات التي سبق تعدادها ، وحذّرت الشريعة منها فتنة فلماذا يستشرفها الدعاة ؟ ولماذا يركنون إليها ؟ ولماذا يوقعون أنفسهم في شراكها ؟

إذن فما عليك – أخي الداعية – إلا أن تتجنّب الإغراءات التي تزعزع عقيدتك ، وتفتنك في دينك ، وتعرّضك للفساد والانحراف .. فهذا ولاشك أسلم لعقيدتك ، وأحفظ لدعوتك ، وآمن لنفسك .. وإن لا ؛ فيُخشى عليك أن تكون من الهالكين الخاسرين ، والله لا يضيع أجر الصابرين العاملين .

الثالثة : وعلى الداعية إن أراد أن يتحرّر من الإغراءات ، ويتخلص من نزغات النفس ، ونزعات الهوى .. فعليه أن يضع نصب عينيه هذه الحقائق :

- **حقيقة الدنيا .**
- **حقيقة الموت .**
- **حقيقة الآخرة .**

---

(1) اللؤلؤ والمرجان (1 / 223) برقم (626) .
(2) صحيح البخاري (7148) ، وانظر صحيح مسلم كتاب الإمارة ب (3) .
(3) سبق تخريجه ص (2 / 559) .
(4) سبق تخريجه ص (2 / 581) .

- **حقيقة التأسّي .**

أما حقيقة الدنيا فقد بينها عليه الصلاة والسلام في أكثر من حديث :

روى الترمذي عن عبد اللّه بن مسعود - رضي اللّه عنه - قال : نام رسول اللّه ﷺ على حصير ، فقام وقد أثّر في جنبه ، قلنا : يا رسول اللّه لو اتخذنا لك وطاءً (أي فراشًا وثيرًا) فقال : « مالي وللدنيا ؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظلّ تحت شجرة ثم راح وتركها » [1] .

وروى الترمذي أيضًا عن أبي سهل الساعدي - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ : « لو كانت الدنيا تعدل عند اللّه جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء » [2] .

وروى الترمذي كذلك عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - قال : سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول : « ألا إن الدنيا معلونة ، ملعون ما فيها إلا ذكرَ اللّه تعالى وما والاه ، وعالمًا ومتعلّمًا » [3] .

فإذا كانت الدنيا معلونة ، ولا تعدل عند اللّه جناح بعوضة ، وإذا كان الإنسان فيها كالراكب الذي استظّل تحت ظل شجرة وتركها .. فلماذا يغتر الداعية بها ، ويخضع لسلطانها ، ويميل بكليته إليها ؟

وأما حقيقة الموت فإن الإنسان مهما طال به العُمُر ، وامتدّت به الحياة .. لابدّ أن تأتي اللحظة التي فيها يفارق الدنيا ، ويودّع الحياة ، ويصبح من سكّان القبور .

والقرآن الكريم أكدّ هذه الحقيقة في أكثر من آية :

قال سبحانه : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ .. ﴾ [5] .

وقال جل جلاله : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ .. ﴾ [6] .

وكان السلف دائمًا يذكرون الموت وما بعده :

كان عمر أمير المؤمنين - رضي اللّه عنه - يقول : « كل يوم يمرّ يُقال فيه : مات فلان ، ومات فلان .. ولابدّ أن يأتي يوم يقال فيه مات عمر » .

---

(1) سبق تخريجه ص (2 / 547) .
(2) سنن الترمذي (2320) .
(3) سنن الترمذي (2322) .
(4) سورة النساء الآية : 78 .
(5) سورة الجمعة الآية : 8 .
(6) سورة آل عمران الآية : 185 .

وكان ابن عمر – رضي اللّه عنهما – يقول : « إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحّتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك » [1] .

ومن إنشاء السّلف :

يا صاحبي لا تغترر بتنعّمٍ العمر ينفد والحياة تزول
وإذا حملت إلى القبور جنازة فاعلم بأنك بعدها محمول

فإذا كان الموت أمرًا لابدّ منه ! وإذا كانت كلّ نفس لا محالة ذائقته .. فلماذا يغترّ الداعية بزهرة الحياة الدنيا ؟ ولماذا يحرص على أن يكون من طلابها ؟ ولماذا يستشرف مُتعَها ومظاهرها ؟ ولماذا لا يعمل لما بعد الموت قبل أن يرحل منها ؟

وأما حقيقة الآخرة فإنها دار الجزاء ، وحصيلة العمل في الدنيا .. فمن حسُن عمله في دنياه فله جنّة المأوى ، ومن قبح عمله في أولاه فله الجحيم وبئست القرار ، وصدق اللّه العظيم القائل : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [2] .

ومن وصف القرآن الكريم لأهوال الآخرة : أنها تُذْهِلُ كلّ مرضعة عمّا أرضعت ، وتترك الناس سكارى وما هم بسكارى .. عند قيامها ؛ وأن المرء يفرّ من أخيه ، وأمّه وأبيه .. من شدّة كربها ؛ وأنه يشيب الولدان من هولها ؛ وأن الناس يُغمرون في العَرَق لدنوّ شمسها ؛ وأن الإنسان يلقى اللّه فردًا فيها .. ليس معه من أحد إلا عمله ، فبه يكون سعيدًا أو شقيًّا على حسب ما قدّم في الدنيا ..

ورحم اللّه من قال :

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التي كان قبل الموت يبنيها
فمن بناها بخير طاب مسكنه ومن بناها بشرٍّ خاب بانيها

فإذا كانت الحياة بعد الموت على هذه الحال ، وإذا كان من طبيعتها الهول والأهوال .. فلماذا لا يتزوّد الداعية .. لهذا اليوم العظيم ؟ ولماذا لا يستقيم على طريقة الإسلام ؟ ولماذا لا يزرع للآخرة ؟ ولماذ يغترّ بالدنيا والجاه والمال ؟ ولماذا

---

(1) صحيح البخاري كتاب الرقاق ب (3) برقم (8416) .
(2) سورة النازعات الآيات : 37-41 .

لا يعمل صالحًا ليستظلّ بظلّ اللّه ؟ ولماذا لا يكون إنسانًا سويًا ، وبرًا تقيًا ؟

وأما **حقيقة التأسّي** فهو من أهمّ المعالجات لمشكلة المؤثّرات الإغرائية في الدعاة ، وذلك حين يعلم الداعية أن حياة الرسول ﷺ وهو أفضل خلق اللّه على الإطلاق ، ويعلم أن عصر الصحابة والخلفاء هو من أفضل العصور بالإجماع ، وحين يعلم أن معيشة أولئك كانت **مثال الزهد والقناعة والكفاف** .. فيتصاغر في نفسه ، ويخجل من حاله حين يظن أنه داعية ولا يفوته شيء من اللذائذ والشهوات ، ولا يستنكف أبدًا أن يميل مع كلّ المظاهر والمغريات !!

فهذا رسول اللّه ﷺ كان ينام على الحصير ، وخرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير ، ولم يكن له إلا قميص واحد ، وكان يمرّ عليه الهلال ثم الهلال ثم الهلال ولم يوقد في بيوت أزواجه ﷺ نار [1] ، وكان يعصب بطنه بعصابة من الجوع ، وقُبض عليه الصلاة والسلام ولم يكن في بيته إلا كساء ملبّد (مرقّع) ، وإزار غليظ ، ولما توفي ﷺ كانت درعه مرهونة عند يهودي [2] .

ولو أراد صلوات اللّه وسلامه عليه الدنيا وزينتها ومظاهرها .. لجاءته طائعة صاغرة ، بل كان يؤثر على نفسه ، ويعطي عطاء من لا يخشى الفاقة ، ويعطي في ذلك قدوة !!

ومما يؤكد عزوفه عن زهرة الحياة وثرائها ، وطيباتها ومظاهرها .. أن ربّه سبحانه – كما روى الترمذي – عرض عليه ، ليجعل له بطحاء مكة ذهبًا ، قال : « لا ياربّ ولكن أشبع يومًا ، وأجوع يومًا .. فإذا جعتُ تضرّعت إليك وذكرتُك ، وإذا شبعتُ شكرتُك وحمدتُك » [3] .

وهذا أبو بكر الصديق – رضي اللّه عنه – قد أُتي بماء وعسل فلمّا وضعه على يده بكى وانتحب .. فلما فرغ قلنا : يا خليفة رسول اللّه ما حملك على هذا ؟ قال : بينما أنا مع رسول اللّه ﷺ إذ رأيتُه يدفع عن نفسه شيئًا ولا أرى شيئًا !! . فقلتُ : يا رسول اللّه ما الذي تدفع عن نفسك ولا أرى شيئًا ؟! قال : الدنيا تطوّلتْ لي ، فقلت : إليكِ عني ، فقالت : (أي الدنيا) : أما إنّك لستَ بُمدْرِكي » قال أبو بكر : فشقّ ذلك

(1) أي لم يطبخ طعام .

(2) ارجع إلى كتاب الترغيب والترهيب ج 4 فصل « ما جاء في عيش رسول اللّه ﷺ في المأكل والملبس والمشرب » . ص : 187 .

(3) سنن الترمذي (2347) .

عليّ ، وخفتُ أن أكون خالفت أمر رسول اللّه ﷺ ولحقتني الدنيا .[1] .

وروى رزين عن زيد بن أسلم قال : استسقى عمر ، فجيء بماءٍ قد شيبَ بعسلٍ فقال : إنه لطيّب لكنّي أسمع اللّه عز وجل نعى على قومٍ شهواتهم فقال : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ [2] ، فأخاف أن تكون حسناتنا عجلت لنا ، فلم يشربه !!

وقد كان يلبس – رضي اللّه عنه – وهو أمير المؤمنين ثوبًا وقد رَقّع بين كتفيه برقاعٍ ثلاث [3] .

وروى الطبراني بإسناد حسن عن عبد اللّه بن شدّاد قال : رأيت عثمان بن عفان يوم الجمعة على المنبر عليه إزار عدنيّ غليظ ثمنه أربعة دراهم أو خمسة ، وربطة كوفيّة ممشّقة (أي مصبوغة) .. طويل اللحية حسن الوجه [4] .

وروى البزار عن جابر – رضي اللّه عنه – قال : حضرنا عرس عليّ وفاطمة – رضي اللّه عنهما – فما رأينا عرسًا كان أحسن منه ، حَشَوْنا الفراش (يعني من الليف) ، وأوتينا بزيتٍ وتمرٍ فأكلنا ، وكان فراشها ليلة عرسها إهاب كبشٍ [5] !!

وروى مسلم عن جابر – رضي اللّه عنه – قال : بعثنا رسول اللّه ﷺ وأمّر علينا أبا عبيدة – رضي اللّه عنه – نلتقي عير قريش (إبل لها بأحمالها) ، وزوّدنا جِرَابًا من تمر لم يجد لنا غيره ، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة ، فقيل : كيف كنتُم تصنعون بها ؟ قالوا : نمصّها كما يَمَصّ الصبيّ ، ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا إلى الليل ، وكنا نضرب بعصيّنا الخَبُط (الشجر) ، ثم نُبِلُّه فنأكله [6] !!

وروى مسلم : يقول عتبة بن غزوان – رضي اللّه عنه – ... ولقد رأيتني سابعَ سَبْعَةٍ مع رسول اللّه ﷺ مالنا طعام إلا ورق الشجر حتى قَرِحَتْ أشداقُنا (أي جُرِحت) ، فالتقطتُ بُرْدَةً فشققتُها بيني وبين سعد بن مالك ، فاتّزرْتُ بنصفها ، واتّزر سعد بنصفها ، فما أصبح اليوم منّا أحد إلا أصبح أميرًا على مصر من الأمصار وإني أعوذ باللّه أن أكون في نفسي عظيمًا ، وعند اللّه صغيرًا [7] !!

---

(1) مجمع الزوائد (10 / 254) والترغيب والترهيب (4 / 207) .
(2) سورة الاحقاف الآية : 20 .
(3) رواه مالك .
(4) المعجم الكبير للطبراني (1 / 75) برقم (92) .
(5) مجمع الزوائد (4 / 50) .
(6) صحيح مسلم كتاب الصيد والذبائح ب (4) برقم (17) .
(7) صحيح مسلم كتاب الزهد (14) .

وروى البخاري والحاكم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : رأيتُ سبعين من أهل الصفّة ، ما منهم رجل عليه رداء : إمّا إزارٌ ، وإمّا كساء قد ربطوا في أعناقهم منها ما يبلغ نصف الساقين ، ومنها ما يبلغ الكعبين ، فيجمعه بيده كراهية أن تُرى عورته [1] !!

هذا الذي ذكرناه ما هو في الحقيقة إلا غيض من فيض مما كان عليه النبي ﷺ ، وأصحابه الكرام ، وخلفاؤه من بعده رضي الله عنهم ، فقد كانوا مثالاً يحتذى في الزهد والتقشّف ، والقناعة والكفاف ، والتواضع والعفاف ، والإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة .. فكانوا لا يأخذون حظّهم من الدنيا إلا اللقمة التي تسدّ جوعتهم ، والثوب الذي يستر عورتهم ، والبيت المتواضع الذي يُظلّهم ويؤْويهم !!

ولو أرادوا الانفتاح على الدنيا وزينتها ، والتمتع بمباهجها وطيّباتها .. لجاءتهم – كما ألمحنا – طائعة صاغرة ، ولأصبح عندهم من المظاهر والقصور والطيّبات ، ووسائل الرفاهية .. ما يحاكون به قصور كسرى ، وعظمة قيصر ، ولكن كانوا يؤثرون الآخرة على الدنيا ، ويعطون للأجيال قدوة ، وينصرفون بكلّيتهم إلى الجهاد في سبيل الله ، وإعلاء كلمته ، لا يُقعدهم عن واجبهم مطمع ، ولا يردّهم عن غايتهم إغراء !!

هل عرف الدعاة كيف يسيرون ؟ وهل أدركوا أن علاج أهوائهم وإغراءاتهم واستشرافهم الدنيا والمال والجاه .. هو الاقتداء بصاحب القدوة عليه الصلاة والسلام ، والتأسّي بالرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ ، وخلفائه من بعده ؟ ، الاقتداء بهم زهدًا وتقشّفًا ، وقناعةً وكفافًا ، وتواضعًا وعفافًا .. عسى أن يصلوا إلى العزّ الذي أقاموه ، وعسى أن يبنوا المجد الذي حقّقوه .. وما ذلك على الله بعزيز .

فعلاج المؤثّرات الإغرائية في الدعاة إذن :

- تحرّر الداعية من وسوسة الشيطان ، وإيحاءات الهوى ، ونزغات النفس الأمّارة ..
- أن يعلم الداعية أنّ كل هذه الإغراءات النفسيّة التي يواجهها في حياته إنما هي في الحقيقة ابتلاء له واختبار قد ينجو ، وقد يسقط وهذا هو الغالب !!
- أن يضع الداعية نصب عينيه : حقيقة الدنيا ، وحقيقة الموت ، وحقيقة

---

(1) صحيح البخاري كتاب الصلاة ب (58) برقم (442) ، وانظر فتح الباري (1/ 536) .

الآخرة ، وحقيقة التأسّي .. فيها يتذكّر ويعتبر ويهتدي للتي هي أقوم .

ألا فليأخذ الدعاة ببلسم الإسلام الشافي ، وعلاج الإيمان الواقي ، حتى لا يميلوا بكليتهم إلى الدنيا ، ولا تملكهم فتنتها وزينتها ، ولا يستسلموا لحكمها وسلطانها ! .. واللّه سبحانه دائمًا مع الذين آمنوا وهم محسنون .

* * *

المؤثرات التيئيسيّة :

ومن المؤثرات النفسيّة التي يواجهها الدعاة ، ويستشعرون بها ، ويجدون الكثير ممن يحسبون على الإسلام يتشدّقون بها ويرفعون لواءها .. **المؤثّر التيئيسي الانعزالي** الذي يقعدهم عن مسؤولية الدعوة ، ويثبّطهم عن فرضيّة الجهاد ، ويدفعهم إلى عزلة المجتمع ، والركون إلى الاسترخاء والانطوائية .. وهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعًا !!

وهذه الظاهرة من التّيئيس والتّثبيط إذا استفحلت في أمة ، وترسّخت في نفسيّة الدعاة فإنها في الحقيقة القاصمة التي تقصم مسيرة العمل الإسلامي ، والحالقة التي تحلق التفاؤل بالنصر .. فلم يبق لإقامة العزّة الإسلاميّة في النفوس رجاء ، ولم يعد لاستعادة الأمجاد التاريخية أمل !!

ولكن ما الدوافع التي تدفع أولئك اليائسين المثبّطين إلى القنوط والعزلة والانطوائية ؟

أرى أنها تتركز في ثلاثة أسباب رئيسيّة : [1] .

الأول – تألّب الأعداء على الإسلام .

الثاني – تناحر الجماعات الإسلامية .

الثالث – الاحتجاج بالنصوص التي تدعو إلى العزلة .

● **أما عن تألّب أعداء الإسلام على الإسلام ، فيقول اليائسون :**

ماذا نستطيع أن نفعل ونغيّر .. ، والحكومات اللادينيّة في بلاد الإسلام تتآمر على أنظمة الإسلام ، وتلاحق الإسلاميّين بالبطش والقتل ، والاعتقال والتّنكيل ؟!!

---

(1) البحث منقول من كتاب « الشباب المسلم في مواجهة التحدّيات » من الفصل الخامس والأخير : « تحدّيات التيئيس من العمل الإسلامي » مع بعض التصرّف ، والكتاب المذكور للمؤلف .

ماذا نستطيع أن نفعل ونغيّر .. والقوى العالمية من شيوعية ، واشتراكيّة ، ورأسماليّة وصهيونيّة ، وصليبيّة ، وتبشيريّة .. تتآمر على بلاد الإسلام ، وتسيطر بنفوذها وأساليبها على مواقع المسلمين الاستراتيجيّة الهامة ، وتضع يدها على موادّ الخام ، وتصطنع من البلاد الإسلامية أسواقًا تجاريّة لمنتوجاتها ، ومنافذ اقتصادية لمصالحها ، وقواعد عسكريّة لاستعمارها ؟!!

ماذا نستطيع أن نفعل ونغيّر .. والعملاء في الداخل من شرقيّين وغربيّين وماسونيّين وملحدين ، ومبشّرين واستشراقيّين .. لا يفتؤون ليلاً ونهارًا ، ولا يهدؤون سرًا وجهارًا .. في محاربة الإسلام وأهله ، والتشكيك بعلمائه ودعاته ، وإيغار الصدور على قيمه وأمجاده ، وتأجيج نار العداوة بين فئاته وجماعاته ؟

ماذا نستطيع أن نفعل ونغيّر .. والدول الكبيرة في العالم أوجدت في قلب العروبة والإسلام دولة إسرائيل ، لتنفيذ مخطّطاتها التوسّعية من الفرات إلى النيل ، وها هي ذي إسرائيل سائرة في التنفيذ يومًا بعد يوم .. حتى تصل في نهاية المطاف إلى تحقيق هدفها الكبير ؟

ماذا نستطيع أن نفعل ونغيّر .. والموجات الإباحيّة ، والتيارات اللادينيّة .. قد طغت على المجتمعات الإسلامية عن طريق الغزو الفكري ، والانحلال الخلقي .. بل استشرت واستفحلت حتى عمّت المدن والأرياف ، وشملت الأصقاع والأمصار ؟

ماذا نستطيع أن نفعل ونغيّر .. ووسائل الإعلام المرئيّة والمسموعة والمقروءة .. في أكثر بلاد الإسلام توجّه نحو الفساد والميوعة ، وتشكّك بالتاريخ والأمجاد ، وتهزأ بالأخلاق والقيم ؟

ماذا نستطيع أن نفعل ونغيّر .. والحكومات اللادينيّة في أكثر بلاد الإسلام تطلق جميع منظّماتها العمالية والفلاحية ، وسائر اتحاداتها النسائيّة والطلّابية .. لتقوم بدورها في التحرير والتغيير حتى ينشأ جيل متفلّت من الدين ، منسلخ من التاريخ ، منغمس في بؤرة الاختلاط والميوعة ؟

بل على العموم يقول اليائسون : لا فائدة من العمل الإسلامي ، ولا رجاء من الإصلاح الاجتماعي ، ولا أمل أبدًا في التغيير السياسي .. وخير للمسلم في هذا الزمان – بزعمهم – أن يخرج ببضع غنيمات يتّبع بها شعَفَ الجبال ، ومواقع القطر ،

يفرّ بدينه من الفتن حتى يدركه الموت وهو على ذلك .

نعم ما يتصوّره اليائسون عن واقع المجتمع الإسلامي ، واستهداف الأعداء له ، وتألّبهم عليه .. صحيح مئة في المئة ، ولا يمكن أن ينكره إلا مكابر ، ولكن هل يفضي هذا إلى التصوّر اليائس ؟ وهل يجوز للمسلم أن يقنط مما يعانيه المسلمون اليوم ؟ وهل يصح أن يترك رجال الدعوة وشبابها .. العمل الإسلامي ، وينصرفوا إلى العزلة والانطوائية ؟!!

أقول : لا يجوز لهم شرعًا أن يستحوذ عليهم اليأس ، ويتملّكهم القنوط ، ويقعدوا مع القاعدين المثبّطين ، ولا حجة لهم في ذلك ولا دليل أبدًا !!

وحين نتكلم عن **المعالجة والحلول** فسنتحدّث بالتفصيل - إن شاء اللّه - عن الردّ القاطع لشبهاتهم وأوهامهم ..

● **أما عن تناحر الجماعات الإسلامية فيقول اليائسون :**

كيف يصل المسلمون إلى السيادة والنصر ، والجماعات الإسلامية في البلد الواحد كثيرة ومتعدّدة ، وأنظمتها في الوسائل والغايات متنوّعة ومختلفة ، وتناحرها فيما بينها قائم مستفحل ؟

فجماعة ليس لها هدف ولا غاية سوى أن تربّي أبناءها على معالجة آفات النفوس .. دون الاهتمام بالتغيير السياسي ، والاعتناء بالتربية الجهاديّة !!

وجماعة ليس لها همّ ولا غرض سوى الاهتمام بالعلم والتعليم ، والثقافة والتثقيف .. دون أن تهتمّ بأمر المسلمين ، ودون أن تربّي من ينتمي إليها على الجرأة بالحق ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والمستقبل للإسلام !!

وجماعة لا تفهم من الإسلام سوى الانطلاق في الدعوة إلى اللّه في الآفاق .. دون أن تحسب حسابًا لهذا الواقع المرير الذي يكتنف بلاد الإسلام ، ودون أن تركّز على الإصلاح والتغيير في بلدها ، ودون أن تكترث بالمؤامرات التي تهدّد دينها ، ومستقبل أمتها !!

وجماعة لا تعرف من العمل الإسلامي سوى الانطلاق في غمار السياسة ، ونقد الحكم والحكّام ، والدعوى العريضة في إعادة الخلافة .. دون أن يكون عندها أيّ

اهتمام بالإصلاح الخُلقي ، والإعداد التربوي ، والتزكية النفسيّة !!

وجماعة تدّعي لنفسها الاجتهاد ، وتجهّل الأئمة الأعلام من السّلف فيما أتوا به من اجتهادات مذهبيّة ، ومدارس فقهية .. بل ترمي بالجهل وعدم المعرفة والعلم كلّ مَنْ لم يأخذ برأيها ، ويتّبع طريق منهجها !!

وجماعة متعصّبة لرأيها في العقيدة ، ومتشدّدة بفكرها في قضايا التكفير .. لاتّهامها بالكفر ، ورميها بالضلال .. كل من لم يأخذ بفكرها ، ويتّبع سبيلها !!

ويستطرد اليائسون قائلين : ياليت الأمر قاصر على تعدّد هذه الجماعات ، وتباين فكرها ومنهجها .. بل الأمر يتعدّى إلى أبلغ من ذلك وأخطر ، يتعدّى حتى تصل الأمور إلى التناحر والتباغض ، والتقاطع والتدابر ، والتراشق والاتهام .. كل حزب بما لديهم فرحون .

بل على العموم يقول اليائسون : لا فائدة من العمل الإسلامي ، ولا رجاء من الإصلاح الاجتماعي .. مادامت الجماعات الإسلامية في البلد الواحد متناحرة متباعدة ، ومادام الدعاة الذين بأيديهم الإصلاح والتغيير مختلفين متخاصمين !!

نعم ، ما يتصوّره اليائسون عن واقع الجماعات الإسلامية في العالم الإسلامي صحيح وواقع ، ولا ينكره إلى مكابر .. ولكن هل يفضي هذا الواقع إلى اليأس ؟ وهل يجوز للداعية أن يقنط من الإصلاح والتغيير ؟ وهل يصح للشباب أبناء الدعوة الإسلامية أن ينصرفوا إلى العزلة ، ويتركوا العمل في سبيل اللّه ؟

أقول : لا يجوز لهم شرعًا أن يفعلوا ذلك ، وسوف نأتي بالبرهان والدليل حين نتكلم عن المعالجات الإيجابية لدعوى اليائسين المثبّطين في شأن تعدّد الجماعات الإسلامية وتناحرها إن شاء اللّه .

● **أما عن الاحتجاج بالنّصوص التي تأمر بالعزلة ، فيقول اليائسون :**

الرسول صلوات اللّه وسلامه عليه أمر المسلم بالعزلة ، والاهتمام بنفسه دون غيره ، والخروج ببضع غنيمات يتّبع بها شَعَفَ الجبال ، ومواقع القطر يفرّ بدينه من الفتن حتى يدركه الموت .. وذلك عند فساد الزمان ، ووقوع الفتن ، وكثرة الهرج ، والانتصار للرأي والهوى !!

ويستطردون قائلين : وهل أحد ينكر أن الزمان الذي نعايشه غير فاسد ؟ وهل أحد يدّعي أن هذا العصر الذي نحن فيه هو غير عصر الفتن والأهواء ؟ وهل يقول إنسان : إن الكفر لم ينتشر ، وإن الإباحية في أكثر المجتمعات الإسلامية لم تبلغ مداها ؟ .

إذا كان الأمر كذلك فلا فائدة من العمل الإسلامي ، ولا رجاء من الإصلاح والدعوة والتغيير !!

نعم ، ما يدّعيه اليائسون عن فساد الزمان وانحلاله ، وبغيه وإلحاده .. هو أمر لا جدال فيه ، ولا مراء معه ؛ **وما يقولونه** : إن الرسول صلوات اللّه وسلامه عليه أمر بالعزلة عند آخر الزمان وفساده .. أمر ثابت في الأحاديث الصحيحة .

ولكن ما معنى فساد الزمان ؟ وهل العصر الذي نحن فيه تنطبق عليه موجبات العزلة ؟ وهل احتجاجهم بالنصوص على وجوب العزلة ، وتَرْك العمل الإسلامي هو احتجاج في محلّه ؟

هذا ما أريد أن أتكلّم عنه مفصّلًا ، وأسلّط الأضواء عليه حين أتحدّث عن المعالجات الإيجابيّة في الردّ على اليائسين ، ودحض شبهاتهم وأوهامهم المزعومة إن شاء اللّه .

أولًا - المعالجة الإيجابية لدعواهم في تألّب الأعداء على الإسلام :

سبق أن ذكرنا أن ما يتصوّره اليائسون عن واقع المجتمع الإسلامي ، واستهداف أعداء اللّه له ، وتألّبهم عليه صحيح مائة في المائة ، ولا ينكره إلا مكابر ، ولكن قلنا : هذا لا يجوز أن يفضي باليائسين إلى اليأس ، ولا أن ينتهي بهم إلى العزلة ، وترك العمل الإسلامي .

وذلك للأسباب التالية [1] :

– لأن القرآن الكريم حرّم اليأس ، وندّد باليائسين .

– لأن التاريخ برهن على انتصارات الأمّة الإسلامية في أدوار سقوطها .

– لأن الرسول صلوات اللّه وسلامه بشّر أمة الإسلام بالعزّة والسيادة .

---

(1) سبق الكلام عن هذه الأسباب في فصل « صفات الداعية النفسية » من فصول « مدرسة الدعاة » ، وها نحن أولاء سوف نأتي عليها اختصارًا للردّ على شبهات اليائسين ، وتذكيرهم بها .

● **أما أن القرآن الكريم حرّم اليأس ، وندّد باليائسين فللآيات التالية :**

﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (1) .

﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ (2) .

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ (3) .

فمن هذه النصوص القرآنية أنه لا يجوز اليأس في دين اللّه ، وكتابه الخالد .. لأن اليأس قاتل للرجال ، وهازم للأبطال ، ومزلزل للشعوب ، ومحطّم للآمال ، ومُقْعِد عن العمل الإسلامي .

فعلى الداعية أن يحذر من وجهات النظر اليائسة المهلكة التي تقول : « انتهى كل شيء وعجزنا » ، « فليس في الدعوة ولا الجهاد أيّة فائدة » ، « عليك بخويصة نفسك ودع عنك أمر العامّة » !!

لقد سمّى القرآن الكريم هذه الزمرة اليائسة الميئّسة بالمعوّقين المثبّطين .. قال تعالى : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٨ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ (4) .

إن هذه الطائفة اليائسة الميئّسة عندما تتبنّى هذه الوجهة من اليأس والقنوط .. إنما تدلّل على هلاكها قبل كل شيء ، وليس على هلاك المسلمين .. يقول عليه الصلاة والسلام : « **مَنْ قال : هلك المسلمون ، فهو أهلكهم** » (5) ؟!

والعجيب الغريب أن نجد من بعض ممن يحسبون من العلماء ، وممن كانوا يتصدّون للدعوة إلى اللّه من ينادي بالعزلة والانطوائيّة ، والتزام أحلاس البيوت .. اعتقادًا منهم أن لا سبيل إلى إصلاح هذه الأمة ، وأن لا أمل إلى استعادة مجدها ، واسترجاع عزتها وكيانها .. **ولعل أظهر ما يحتجّون به هذان الحديثان :**

(1) سورة يوسف الآية : 87 .
(2) سورة الحجر الآية : 56 .
(3) سورة الروم الآية : 36 .
(4) سورة الأحزاب الآية : 18 - 19 .
(5) سبق تخريجه (1 / 153) .

الأول : روى أبو داود والترمذي عن أبي أمية قال : قلت : يا أبا ثعلبة كيف تقول في هذه الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ [1] ؟ فقال : أما والله لقد سألت عنها خبيرًا ، سألتُ عنها رسول الله ﷺ فقال : « **ائتمروا بالمعروف ، وانتهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيتم شحًّا مطاعًا ، وهوىً متّبعًا ، ودنيا مُؤْثَرَة ، وإعجابَ كلّ ذي رأي برأيه ، فعليك بنفسك ، ودع عنك أمر العوام** » [2] .

هذا النص لا يصلح دليلًا على أن يعتزل الداعية العمل الإسلامي ، ويقبع في جحور القاعدين اليائسين ، **وذلك للأمور التالية** :

أ - الأصل في المسلم أن يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر .. كما يدلّ عليه صدر الحديث المذكور : « **ائتمروا بالمعروف ، وانتهوا عن المنكر ..** » ، وهذا معناه أن يقوم المسلم بوظيفته الاجتماعية في حراسة الرأي العام ، وإصلاح مفاسد المجتمع ، والقيام بمسؤولية الدعوة والإصلاح .

ب - سمعت من مشايخنا الثقاة أن المقصود من قوله عليه الصلاة والسلام : « **فعليك بنفسك ، ودع عنك أمر العوامّ** » أن المسلم الداعية إذا رأى في نفسه ، ونفس غيره من أبناء مجتمعه : شحًّا مطاعًا ، وهوىً متّبعًا ، ودنيا مؤْثَرة (أي تفضيل الدنيا على الدين) ، وإعجاب كلّ ذي رأي برأيه .. فعليه أن يبدأ بإصلاح نفسه من هذه الآفات .. حتى إذا صلحت واستقامت ، قام بمسؤوليته في إصلاح غيره ، وهداية مجتمعه ، وحراسته للرأي العام .. لأن فاقد الشيء لا يُعطيه أبدًا ، والحوض لا يفيض على غيره إلا إذا امتلأ .

ج - أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - وقف مرة في الناس خطيبًا ، وصحّح للناس مفهومهم الخاطئ في تفسير هذه الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ .

روى أبو داود عن أبي بكر - رضي الله عنه - قال : يا أيّها الناس إنّكم تقرؤون هذه الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ .. ﴾ الآية ، وإنكم تضعونها في غير موضعها ، وإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إن الناس إذا رأوا الظالم ، ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمّهم الله بعقاب » [3] .

فكان مفهوم الناس لمعنى الآية قبل توضيح أبي بكر - رضي الله عنه - لمرادها : عزلة

---

(1) سورة المائدة الآية : 105 . (2) سنن أبي داود (4341) ، والترمذي (3058) .
(3) سنن أبي داود (4338) .

العمل الإسلامي ، والكفّ عن هداية المجتمع .. فلا يضرّهم ضلال الضالّين إذا هم اهتدوا !!

فصحّح لهم أبو بكر – رضي اللّه عنه – مفهومهم الخاطئ – كما ألمحنا – حين بيّن لهم : أن من مبادئ هذا الدين هو محاربة الظلم ، والأخذ على يد الظالم ، والقيام بالوظيفة الاجتماعية في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وحراسة الرأي العام .

فمما ذكرناه يتبينّ أن نصّ : « فعليك بنفسك ، ودع عنك أمر العوام » لا ينهض دليلًا على العزلة ، ولا حجة على القعود عن الدعوة .

الثاني – روى البخاري وغيره عن أبي سعيد الخدري – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **يوشك أن يكون خير مال المسلم غنمًا يتّبع بها شعَفَ الجبال (أي رؤوسها) ، ومواضع القطر يفرّ بدينه من الفتن** » [1] .

أقول : إن هذا الحديث لا ينهض دليلًا أيضًا على العزلة ، والكفّ عن إصلاح الناس وهدايتهم **وذلك لسببين** :

أ – المقصود « من الفتن » في الحديث ، كما قال العلماء : من يفتن على دينه ، ويجبر على الردّة ، ففي هذه الحال يجوز للمسلم أن يخرج ببضع غنيمات يتّبع بها رؤوس الجبال ، ومواضع القطر .. يفرّ بدينه من الفتن إذْ لا رجوة من الإصلاح ، ولا أمل في الهداية .. كما لجأ أصحاب الكهف إلى العزلة والاختفاء فرارًا من الملك الكافر الطاغية الذي سام المؤمنين سوء العذاب ، وأجبرهم على الردّة !!

ب – هذه الحال من تفسير العلماء للفتن لا تنطبق على المسلمين اليوم في المجتمعات الإسلاميّة بحال ، باعتبارهم كثرة ، وباعتبارهم يُؤدّون الشعائر ، وباعتبارهم يمارسون حريتهم الدينيّة ، ويطبّقونها على أنفسهم وأهليهم وأولادهم .. وباعتبار أن ثَمّةَ مجالا للتعاون ، والعمل الإسلامي فيما بينهم .

فلا يجوز لهم شرعًا – والحال هذه – أن يفرّوا بدينهم ، ويُؤْثِرُوا العزلة والانطواء ، وأن يتركوا العمل في سبيل اللّه .. **لأن ما لا يتحقّق الواجب إلا به فهو واجب** .

لذا وجب علي المسلمين اليوم أن يقيموا في بلادهم حكم اللّه ، ويحقّقوا في أمتهم عزّة الإسلام .. وإن لا .. فإنهم آثمون ومسؤولون عن تقصيرهم أمام اللّه ،

(1) صحيح البخاري كتاب الإيمان ب (12) رقم (19) .

وأمام الإسلام وأمام الأجيال .

فالنص الثاني إذن لا ينهض حجّة على الانزواء ولا دليلاً على العزلة .

ألا فليفهم اليائسون المعوّقون هذه الحقيقة ، واللّه سبحانه مع العاملين المجاهدين المخلصين .

ولو أن العزلة الاجتماعية مشروعة في الإسلام لأمر النبي ﷺ أصحابه بها عندما اشتدّ عليهم الأذى والاضطهاد من قريش في الفترة المكّية ، وذلك عندما كانوا يواجهون الجاهلية بتصوّراتها الفاسدة ، ومعتقداتها الباطلة !! ولكن كان يأمرهم عليه الصلاة والسلام – لضرورة المرحلة – بالصبر والمصابرة ، والتجلّد والثبات .. إلى أن يُشرّع اللّه لهم الجهاد في سبيل اللّه ..

ومما يدلّ على أن النبي ﷺ كان ينهى عن العزلة والانطوائية هذه التوجيهات :

روى الترمذي والحاكم .. عن أبي هريرة – رضي اللّه عنه – قال : مرّ رجل من أصحاب رسول اللّه ﷺ بِشِعْبٍ فيه عُيَيْنَة من ماء عذبة فأعجبته ، فقال : لو اعتزلتُ النّاس فأقمتُ في هذا الشِّعْب ، ولن أفعل حتى أستأذن رسول اللّه ﷺ ، فذكر ذلك للنبي ﷺ ، فقال : « **لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل اللّه أفضل من صلاته في بيته سبعين عامًا** ، ألا تحبّون أن يغفر اللّه لكم ويُدخلكم الجنّة ؟ اغزوا في سبيل اللّه ، من قاتل في سبيل اللّه فُواقَ ناقة (أي زمن ما بين الحلبتين) وجبت له الجنّة » [1] .

وروى ابن ماجه والترمذي وابن حبّان والحاكم .. عن سعد بن أبي وقاص – رضي اللّه عنه – قال : قلنا : يا رسول اللّه **أيّ الناس أشدّ بلاءً** ؟ ؟ قال : « الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل .. يُبتلى الرجل على حسب دينه ، فإذا كان دينه صلبًا اشتدّ بلاؤه ، وإن كان في دينه رقّة ابتلاه اللّه على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة !! » [2] .

وروى أحمد والترمذي بسند صحيح عنه صلوات اللّه وسلامه عليه : « **المسلم إذا كان مخالطًا الناس ويصبر على أذاهم .. خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولايصبر على أذاهم !!** » [3] .

هل علم اليائسون المعوّقون هذه النصوص الشرعيّة في وجوب العمل الإسلامي ،

---

(1) سنن الترمذي (1650) ومستدرك الحاكم (2 / 68) .

(2) سبق تخريجه ص (148) . (3) مسند الإمام أحمد (2 / 43) وسنن الترمذي (2507) .

والصبر على المحنة والابتلاء ، والاستمرار على تبليغ الدعوة ، ونبذ العزلة والانطوائيّة ، ثم متابعة المسيرة في إعزاز دين اللّه ؟!!

● **أما أن التاريخ برهن على انتصارات الأمة الإسلامية في أدوار سقوطها فللشواهد التالية :**

من كان يظنّ أن تقوم للإسلام قائمة بعد أن تولّى أبو بكر - رضي اللّه عنه - الخلافة ، فبعد بيعته رضي اللّه عنه عظم الخطْب ، واشتدّ الحال ، ونجم النفاق ، وارتدّ من ارتدّ من أحياء العرب . وظهر مدّعو النبوّة ، وامتنع قومٌ عن أداء الزكاةِ ، ولم يبق للجمعة مقامٌ في بلد سوى مكّة ، والمدينة وأصبح المسلمون كما يقول « عروة بن الزبير » رضي اللّه عنه : « **كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية لفقد نبيّهم ، وقلّة عددهم ، وكثرة عدوّهم** .. » ، حتى وُجِد من المسلمين من قال لأبي بكر رضي اللّه عنه : « يا خليفة رسول اللّه ! أغلق بابك ، والزم بيتك ، واعبد ربّك حتى يأتيك اليقين » أي الموت . ولكن أبا بكر - رضي اللّه عنه - لم يعتره يأس ، ولم يستحوذ عليه قنوط .. وإنما واجه هذه الأحداث الجسام كلّها بإيمان راسخ ، وعزيمة ثابتة ، وشجاعة نادرة ، وتفاؤل عظيم ..

هو الذي قال للدنيا في غمرة الفتن والأحداث : « **لا ينقص الدين وأنا حيّ** » .

وهو الذي قال لعمر - رضي اللّه عنه - حين جاءه يعارضه في قتال مانعي الزكاة : (مَهْ يا عمر : رجوتُ نصرتك ، وجئتني بخذلانك ، أجبّار في الجاهليّة وخوّار في الإسلام ؟!! ماذا عسيت أن أتألّفهم بسحرٍ مفتعلٍ أم بشِعر يفترى ؟ هيهات هيهات !! مضى رسول اللّه ﷺ ، وانقطع الوحي ، فواللّه لأجاهدنّهم ما استمسك السيف في يدي ، فواللّه لأُقاتلنّ من فرّق بين الصلاة والزكاة ، فواللّه لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدّونه إلى رسول اللّه ﷺ لقاتلتُهم عليه !!) .

فقال عمر : « ما هو إلا أن رأيتُ أن قد شرح اللّه صدر أبي بكر للقتال ، فعلمتُ أنه الحقّ .. » [1] .

ولم يزل أبو بكر - رضي اللّه عنه - يخطّط ويعمل ويجاهد ، ويجنّد الجيوش ، ويرسل البعوث ، ويقضي على الفتن .. حتى استطاع أن يتغلّب على الصعاب ، وأن يخمد الثورات ، ويمحق المرتدّين ، ويقاتل مدّعي النبوّة ، ويحارب مانعي الزكاة ..

---

(1) راجع في ذلك البداية والنهاية : 6 / 304 .

وأن يعيد للمسلمين عزّتهم ، ولليائسين تفاؤلهم ، وللإسلام دولته ، وللخلافة هيبتها !! .

وهكذا يصنع عظماء الرجال ، وأقوياء الإيمان !!

من كان يظن أن تقوم للمسلمين قائمة لما خرّب المغول والتّتار العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، فأزالوا معالم الحضارة ، وداسوا القيم ، ودمّروا البلاد ، وقهروا العباد ، وفتكوا في الأنفس ، وهتكوا الأعراض ، وذبّحوا الشيوخ والنساء والأطفال .. حتى قيل : إن جبالاً شامخة أقامها « هولاكو » من جماجم المسلمين ؟!!

ومما قاله المؤرّخ « ابن الأثير الجزري » في هول هذه الأحداث : (لقد بقيت عدّة سنين مُعْرضًا عن ذكر الحادثة استعظامًا لها ، كارهًا لذكرها ، فكنتُ أقدّم رِجلا وأؤخّر أخرى ، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب بيديه نعي الإسلام والمسلمين ؟ ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك ؟ فياليت أمّي لم تلدني !! وياليتني متُّ قبل هذا وكنتُ نسيًا منسيًا !!) .

من كان يظنّ أن بلاد الإسلام – بعد الذي حدث – ستحرّر في يومٍ ما على يد البطل المقدام « **قطز** » في معركة « عين جالوت » الحاسمة ، ويصبح من المجد والعظمة والعزة .. ما فخرت به الأجيال ؟!! .

من كان يظنّ أن تقوم للمسلمين قائمة حين استولى الصليبيّون على كثير من البلاد الإسلامية ، والمسجد الأقصى ما يقارب قرنًا من الزمان ، وقد ذكر المؤرخون أن الصليبيّين ذبّحوا من المسلمين في مدينة « القدس » في يوم واحد سبعين ألفًا بين رجل وامرأة .. وكانت الدماء تجري في المسجد الأقصى ، والشوارع التي تتفرّع منه حتى الرُّكَب !! . حتى ظنّ الكثير من مسلمين وغير مسلمين أن لا أمل في انتصار المسلمين على الصليبيّين ، وأن لا رجاء في استرجاع فلسطين مع مسجدها الأقصى إلى حوزة المسلمين ؟!! .

من كان يظنّ أن هذه البلاد ستتحرّر في يومٍ ما على يد البطل المغوار « **صلاح الدين** » في معركة حطّين الحاسمة ، ويصبح للمسلمين من القوة والكيان ، والعزّة والسيادة .. حقًّا ما شرّف التاريخ ؟!!

إن التفاؤل بالنصر هو مقدّمة النصر ، وإن القوة المعنويّة في كل أمة هي التي تدفع شبابها ورجالها إلى تحقيق المزيد من الانتصارات الخالدة في كل زمان ومكان .. واللّه سبحانه دائمًا مع المجاهدين الأبرار ، والدعاة العاملين الأخيار .. الذين يسيرون

على درب الدعوة والجهاد غير هيّابين ولا وَجلين ، لا يلتفتون إلى ما يعتريهم من كوارث ، ولا يعبأون بما يحل بساحتهم من نكبات .. ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ ﴾ [1] .

هل علم هؤلاء اليائسون المعوّقون هذه الانتصارات الخالدة للمسلمين في أيام محنتهم ، وعصور سقوطهم ؟ .. إذا علموا ذلك فلينبذوا العزلة ، وليطرحوا اليأس ، ولينخرطوا في العمل الإسلامي ، والمسيرة الدعوية إلى أن يحقّق اللّه النصر على أيديهم ، أو على يد الأجيال التي تأتي من بعدهم ، وما ذلك على اللّه بعزيز .

● **وأما أن الرسول صلوات اللّه وسلامه عليه بشّر أمته بالنصر والسيادة مهما أصابها فأمر ثابت في الأحاديث الصحيحة ، وإليكم أهمّها :**

روى الشيخان وغيرهما عن رسول اللّه ﷺ أنه قال : « **لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة** » [2] ، وفي رواية : « **لا يزال هذا الدين قائمًا يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة** » .

هذان النّصان يدلان دلالة قاطعة على وجود طائفة من المؤمنين ظاهرة على الحق ، مجاهدة في سبيله حتى قيام الساعة ، وأن هذه الطائفة في صراع دائم مع الباطل ، وإذا خبا نور الحق يومًا فإنه لابد من انطلاقته وإشعاعه مرة أخرى ، فمن ظلمات اليأس ينبثق نور الأمل ، ومن ابتلاءات الهزيمة يخفق في الأفق علم النصر ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، والعاقبة دائمًا للصابرين المجاهدين .

وروى الدارمي وابن أبي شيبة .. عن أبي قبيل قال : كنا عند عبد اللّه بن عمرو ابن العاص ، وسئل : **أي المدينتين تفتح أولا القسطنطينيّة أم روميّة** [3] ؟ . فدعا عبد اللّه بصندوق له حِلَق ، قال : فأخرج كتابًا ، فقال عبد اللّه : بينما نحن حول رسول اللّه ﷺ نكتب إذ سئل عليه الصلاة والسلام : أيّ المدينتين تفتح أولاً ؟ فقال : « مدينة هرقل (يعني القسطنطينية) » [4] .

وقد تحقّق الفتح الأول على يد السلطان العثماني « **محمد الفاتح** » رحمه اللّه عام

---

(1) سورة القصص الآية : 5 . (2) سبق تخريجه (1 / 157)

(3) القسطنطينية : هي بيزنطة أو إستانبول حاليًا ، ورومية : هي « روما » عاصمة إيطاليا اليوم .

(4) سبق تخريجه (1 / 158) .

/ 1435 / م ، أي بعد / 800 / سنة من إخبار النبي ﷺ ، وسيتحقّق الفتح الثاني بإذنه تعالى حين تعود للمسلمين وحدتهم وقوتهم .. ويسألونك متى هو ؟ فقل : عسى أن يكون قريبًا !!

وروى الإمام أحمد والبزّار والطيالسي .. قال الهيثمي : « ورجاله رجال الثقات » عن النبي ﷺ أنه قال : « **إن أول دينكم نبوّة ورحمة ، وتكون فيكم ما شاء اللّه أن تكون ، ثم يرفعها اللّه جل جلاله ؛ ثم تكون خلافة على منهاج النبوّة ، وتكون فيكم ما شاء اللّه أن تكون ، ثم يرفعها اللّه جل جلاله ؛ ثم تكون ملكًا عاضًّا ، فيكون ما شاء اللّه أن يكون ، ثم يرفعه اللّه جلّ جلاله ؛ ثم يكون ملكًا جبريًا ، فيكون ما شاء اللّه أن يكون ، ثم يرفعه اللّه جلّ جلاله ؛ ثم تكون خلافة على منهاج النبوة تعمل بالنّاس بسنّة النبي ﷺ ، ويُلقي الإسلام بجرانه في الأرض يرضى عنها ساكن السماء ، وساكن الأرض ، لا تدع السماء من قطر إلا صبّته مدرارًا ، ولا تدع الأرض من نباتها ولا بركاتها شيئًا إلا أخرجته** » [1] .

فالذي يبدو من التسلسل التاريخي أن الملك العاض انتهى بانتهاء الدولة العثمانية ، والآن جاء دور الملك الجبري ، ومظهره تلك الانقلابات الكثيرة التي توصّل أصحابها إلى الحكم بدون رأي الأمة ، وغصبًا عن إرادة الشعب ، دكتاتوريّات بدءًا من « أتاتورك » في تركيا ، وتتابعت في كلّ مكان ، ولكن دلائل الصحوة الإسلاميّة تبشّر بأن ذلك لن يطول أبدًا ، ولابدّ أن يأتي اليوم الذي ستكون فيه الخلافة على منهاج النبوّة ، والحياة العامة على هدي الإسلام ، ولعل ذلك يكون قريبًا إن شاء اللّه .

وروى الشيخان عن النبي ﷺ أنه قال : « **لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيختبئ اليهودي وراء الحجر والشّجر ، فيقول الحجر والشجر : يا مسلم هذا يهودي خلفي تعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود** » [2] .

أخبر الذي لا ينطق عن الهوى في هذا الحديث أن اليهود يبلغون زمنًا من الأزمنة الذّروة في القوة والسيطرة ، وأنهم سوف يتجمّعون في بقعة واحدة ، ثم يتسلّط عليهم المسلمون ، فيعملون بهم السيف قتلاً وسحقًا .. فينادي عليهم كل شيء حتى الحجر والشجر .. ويحدث كل ذلك قبل قيام الساعة ..

وها هم اليهود اليوم يجتمعون في فلسطين ، وسيكون هلاكهم بإذنه تعالى على

(1) سبق تخريجه (1 / 158) . (2) سبق تخريجه (1 / 159) .

أيدي المؤمنين الصادقين ، الراكعين السّاجدين ، الآمرين بالمعروف والنّاهين عن المنكر ، والحافظين لحدود اللّه ، والملتزمين لمنهج الإسلام .

هذه المعجزة كما تحقّقت أوائلها في سيل التجمّع اليهودي الذي تصطنعه إسرائيل ، فسيتحقّق أواخرها بمشيئة اللّه تعالى في حرب قادمة ، يقود جحافلها قادة مؤمنون ، وشباب مسلمون ، وجند صالحون .. سوف يعلم العالم نبأها بعد حين !! .

هل علم اليائسون المعوّقون هذه المبشّرات بالنصر التي نطق بها من لا ينطق عن الهوى ، والتي بشّر بوقوعها في مستقبل الأيام ؟ إذا علموا ذلك فواجبهم أن يصحّحوا المسار ، ويتحلّوا بالوعي والعزيمة والتفاؤل .. عسى أن ينهضوا مع سائر الدعاة .. لبناء العزة ، وإقامة الوحدة ، وتحقيق الكيان ، واستعادة الخلافة التي تكون على منهاج النبوة ، وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر اللّه ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

ثانيًا - معالجة دعوى أن الجماعات الإسلامية متناحرة متباعدة :

سبق أن ذكرنا أن ما يتصوّره اليائسون عن واقع الجماعات الإسلامية في العالم الإسلامي صحيح ، ولا ينكره أحد ، ولكن هل هذا الواقع يفضي إلى اليأس ، ويستوجب العزلة ؟

مما ذكرته يتبينّ أنه لا يجوز لهم شرعًا أن ييأسوا ، ويعتزلوا ويتركوا العمل الإسلامي .. **وذلك للأسباب التالية :**

أ – لأن اللّه سبحانه أمر المسلمين بالاعتصام بحبله المتين ، ونهاهم عن المنازعة والفرقة .. فلا يعقل أبدًا أن يأمرهم بأمر ، أو ينهاهم عن نهي ... ويصعب عليهم تحقيقه في عالم الواقع !!

لقد كانت القبائل العربيّة قبل الإسلام متناحرة متفرقة .. تقتلها الحروب ، وتمزّقها العصبيّات ، وتشتّتها الأهواء ، وتحرّكها الأحقاد .. فلما أن هداها اللّه للإسلام ، ونزل عليها قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [1] تعانقوا ، وتآلفوا ، وألقوا السّلاح ، وأصبحوا عباد اللّه إخوانًا .. بل انضوى الجميع تحت قيادة واحدة ، يسمعون لها ، وينفّذون أوامرها ، وينطلقون بتوجيهها إلى مجاهل الأرض يبلغون العالم رسالة الإسلام .

(1) سورة آل عمران الآية : 103 .

وما تآلف الأوس والخزرج تحت مظلّة الاعتصام بحبل الله بعد الذي كان بينهما في الجاهلية .. عن الأذهان ببعيد ؟!!

هل عرف اليائسون من الدعاة أن دعواهم العريضة لا تستند إلى دليل ، وأن تركهم العمل الإسلامي بحجّة تمزّق الجماعات الإسلامية لا يقوم على برهان ؟ فالخير لهم أن يُزيلوا من أنفسهم هذا الوهم ، وأن يطرحوا من أذهانهم هذا التصوّر ، وأن ينضمّوا إلى موكب الدعاة المخلصين .. لينهضوا بالإسلام من جديد .

ب – لأن هناك عوامل أساسية للفرقة والخلاف .. ويمكن أن تقوم هذه الجماعات الإسلامية فيما بينها ، لتُزيل أسباب الخلاف :

فإذا كان العامل **فكريًّا اجتهاديًّا** فينبغي أن يعملوا فيما اتفقوا عليه ، ويعذر بعضهم بعضًا فيما اختلفوا فيه ، وما دام الأمر محصورًا في دائرة الاجتهاد ؛ فليعلم الدعاة أن المجتهد إذا أصاب له أجران ، وإذا أخطأ له أجر واحد ، فلا موجب إذن للفرقة مادام الاختلاف الفكري بين الدعاة اجتهاديًّا ..

وإذا كان العامل **منهجيًّا** : فينبغي أن يلتقي عقلاء كل جماعة فيما بينهم ، ويتفاهموا على منهجيّة العمل ، وتوحيد الخطّة .. فإن لم يمكن التوحيد فعلى الأقل أن يتفقوا على التنسيق إذ تنطلق كل جماعة في حدود اختصاصها ومنهجها ..

فهذه تدعو إلى تزكية الأنفس ، وأخرى تقوم بمهمة التثقيف والتعليم ، وثالثة تخوض غمار العمل السياسي .. حيث يتمّم بعضهم بعضًا في تكوين الشخصيّة الإسلامية ، وفي إظهار شموليّة الإسلام .. على أن يكون بين الجميع تعاون كلّي ، واتفاق ضمني مؤدّاه عزّ الإسلام ، واستعادة أمجادنا في التاريخ .. وإن لا ؛ فكل حزب بما لديهم فرحون .. بل عن تفرّقهم وتنافرهم أمام الله مسؤولون .. ويكون حالهم كحال من عناهم الشاعر بقوله :

وما شكواي أو شكواك إلا ... لفوضى في المجامع وانقسام
ترى كُلًّا له أمل وسعي ... وما لاثنين حولك من وئام
لكل جماعة فينا إمام ... ولكنّ الجميع بلا إمام

وإذا كان العامل **نفسيًّا** : كأن يتّصف من يتزعّم هذه الجماعات بالكبر ، أو

الحسد ، أو العجب ، أو الغرور ، أو استشراف الجاه .. فمن المتعذّر أن يكون بين هؤلاء القادة تفاهم ، وأن يتحقق بين هذه الجماعات تقارب .. فالخير لهؤلاء قبل أن يدعوا غيرهم للإسلام .. أن يقوموا على إصلاح نفوسهم من هذه الآفات الباطنية ، والأمراض النفسيّة .. عسى أن تكتمل شخصيّتهم ، وترتبط باللّه قلوبهم .

فارجع – أخي الداعية – إلى بحث « **الأمراض الباطنية في الدعاة** » تجد العلاج النّاجع ، والحل الإيجابي في شفاء الدعاة من هذه الأسقام ، وإصلاح نفوسهم من هذه الآفات .. وإن لا ؛ فإن العاقبة أليمة ، والمسؤوليّة جسيمة ، والأمر جدٌّ خطير !!

هل عرف اليائسون من الدعاة أن قادة الجماعات الإسلامية في كل مكان إذا أزالوا فيما بينهم أسباب الخلاف ، وعوامل الفرقة .. استطاعوا أن يقيموا في المجتمع جبهة إسلامية واحدة متماسكة متراصّة .. تتحطّم على صخرتها قرون الإلحاد ، ورؤوس البغي والفساد .. وليس هذا بالأمر الصعب ، ورابع المستحيل .. بل يسيرٌ وممكن على من يسّر اللّه عليه ، وأخلص له ، ونظر للمستقبل نظرة أمل وتفاؤل ، وسعى للتوفيق والإصلاح ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

ج – لأن التاريخ الإسلامي برهن بشكل قاطع لا يعرف الشك ، أنه كان يقع بين المسلمين في الماضي خلافات مذهبيّة ، وصراعات سياسيّة .. فكان الشمل يلتئم ، والقلوب تلتقي ، والخلاف يزول .. فتعود وحدة المسلمين أقوى ما تكون من التماسك والقوة والوحدة ، والتفاهم الأخوي الوثيق ..

فما وقع بين الأوس والخزرج في الجاهلية والإسلام من حروب طاحنة ، وإثارة أحقاد ، ونبش عداوات ، ودعوى بدعوة الجاهلية .. بتدبير يهود ، ومكائد يهود .

وما حدث بين الصحابيين الجليلين : علي ومعاوية – رضي اللّه عنهما – من خصومات وحروب ، بإيقاع من المنافق اليهودي عبد اللّه بن سبأ – لعنه اللّه – .. أكبر شاهد على إمكانيّة التلاقي والتفاهم ، وصفاء القلوب !!

فالرسول ﷺ **ألّف بين الأوس والخزرج** بعد الذي كانوا عليه من عداوات في الجاهلية ، وحذّرهم وذكّرهم باللّه .. حين تنادوا إلى السلاح بإثارة يهود بعد أن أنعم اللّه عليهم بنعمة الإسلام !!

فآلت النتيجة إلى الاستظلال تحت مظلّة الاعتصام بحبل اللّه ، وأخوّة الإسلام ،

فأصبحوا عباد اللّه إخوانًا !!

والصحابي الجليل **الحسن بن علي – رضي اللّه عنه** – تنازل عن الخلافة لمعاوية – رضي اللّه عنه – درءًا للفتنة ، وَحَقْنًا للدماء ، وترميمًا للصفّ الإسلامي المنشقّ .. فعادت الأمة الإسلامية في العهد الأموي قويّة متراصّة .. تظلّلها الوحدة ، ويسودها التفاهم ، وتحكمها الخلافة ، وتحرّكها العقيدة ، ويدفعها نشر الرسالة الإسلامية في العالمين .

هل عرف اليائسون أن المسلمين مهما تباعدوا ، ومهما اختلفوا .. عند اشتداد المحن بهم ، واستشعارهم الخطر الذي نزل بساحتهم ، ومساعي أهل الإصلاح في التئام صفّهم .. لابدّ أن تعود قلوبهم إلى صفائها ، وفرقة أمتهم إلى قوتها ووحدتها ؟ .

إذا عرفوا ذلك فليطرحوا عن تصوّرهم شبح اليأس ، وليزيلوا من أذهانهم شبهة العزلة ، وليسيروا في موكب الدعوة إلى اللّه واثقين عازمين .. إلى أن يروا راية الإسلام قد علت على كلّ الرايات في الأرض ، ويروا دين محمد عليه الصلاة والسلام قد ظهر على الدين كلّه في الوجود .. وما ذلك على اللّه بعزيز .

د – وأخيرًا أريد أن أوضح لكل ذي عقل وبصيرة هذه الحقيقة : على كل من يستحوذ عليه القنوط والقعود عن متابعة المسيرة الدعويّة من رجال العلم والدعوة والإصلاح .. أن يعلموا جيدًا أن بوارق الصحوة الإسلامية أصبحت تضيء في الأفق ، وأن الجيل المسلم المتمثل في شبابه وشاباته بدأ يستيقظ من غفوته ، ويولّي وجهه شطر الإسلام .

وهذه الظاهرة من الغفوة .. إلى الصحوة .. إلى التزام المنهج الربّاني ، .. إن دلّت على شيء فإنما تدلّ على أن أمة الإسلام في المشارق والمغارب تحسّست في أعماق نفسها عظمة تشريعها الربّاني ، وأمجاد ماضيها العريضة ، وبناء مستقبلها البسّام ، وتحقيق وحدتها الشاملة .. وذلك بمناداة شبابها وشابّاتها بالإسلام دينًا ودولة ، ومصحفًا وسيفًا ، وعبادة وسياسة ، وأخلاقًا ومعاملة ، ونظامًا ومنهج حياة .

وهذا الاستشعار بالإسلام ، والمناداة بالدولة .. من أبناء الجيل الإسلامي في كلّ مكان يتطلبّ من رجال العلم والدعوة .. أن يقوموا بدورهم في توعية الجيل الصّاحي ، وتعليم الشباب الواعي ، وتربية الأبناء الناهضين .. حتى تأخذ هذه الصحوة امتدادها الواسع في الألف مليون مسلم شرقًا وغربًا ، وشمالاً وجنوبًا ، وحتى يكون لها في المستقبل شأن وأي شأن في بناء الدولة الإسلامية الواحدة من جديد .

فالأمة الإسلامية اليوم إذن أحوج ما تكون إلى علماء عاملين ، ودعاة متفائلين ، ورجال إصلاح مجاهدين .. لا يعتريهم يأس ، ولا يستحوذ عليهم تشاؤم ، ولا تقعدهم عزلة .. ليضطلعوا بمسؤولياتهم في تربية الجيل على الإسلام ، وينهضوا بأمانتهم الدعوية في تكوين أبناء الأمة على أسس من العقيدة والعبادة والأخلاق .

وأنا واثق أن الأمة الإسلامية إذا تكوّنت على الإيمان والإسلام ، وتربّت على الدعوة والجهاد .. فمن المؤمل أن تستعيد – بعون اللّه – أمجادها الرفيعة ، وخلافتها الراشدة ، ووحدتها الشاملة ، وأن تحقق في عالم الواقع الكيان السياسي الكبير الذي لا تغيب عنه الشمس ، ولا ينتهي بانتهاء الليل ودخول النهار !!

وإذا وجد في المجتمع الإسلامي رجال دعوة وإصلاح .. قعدوا عن العمل الإسلامي ، وتقاعسوا عن دفع الصحوة وامتدادها ، واعتزلوا أمة الإسلام في يقظتها وتحرّكها .. فإنهم – ولاشك – يقفون حجرة عثرة في طريق من يسعى إلى عزّة سامقة ، ومجد مؤثّل عريض ، بل يكونون – وياللأسف – عامل هدم في مسيرة الصحوة نحو التحرّك والامتداد والشمول ، وفي تحقيقها لأمة الإسلام المجد والعظمة والخلود !!

وصفوة القول :

هل علم اليائسون أن القرآن الكريم حرّم اليأس ، وندّد باليائسين ؟

وهل أدركوا أن التاريخ برهن على انتصارات الأمة على أعدائها .. مهما أصابها في مستقبلها من نكبات جسيمة ، ومحن أليمة ؟

وهل عرفوا أن الرسول صلوات اللّه وسلامه عليه بشّر أمة الإسلام بالعز والسيادة مهما أصابها من أحداث جسام في مستقبل الأيام ؟

إذا علموا ذلك .. فليس أمامهم من سبيل إلا أن يمتطوا صهوة العمل الإسلامي ، ويسيروا في موكب الدعوة إلى اللّه .. فإن هم فعلوا وامتثلوا فاللّه سبحانه يثبّت أقدامهم ، ويسدّد مسيرتهم ، ويحقق نصر الإسلام على أيديهم ، وصدق اللّه العظيم القائل : ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [1] .

* * *

(1) سورة محمد الآية : 7 .

تلكم – إخوتي الدعاة – أهم المؤثّرات النفسية التي أسقطت كثيرًا من الدعاة على طريق الدعوة ، وانعطفت بهم نحو انحراف شائن ، ويأس قاتل ، وإغراء فاتن ، وابتلاء قاهر ، وهزيمة فاضحة ، وانفعال عصبيّ خطير !!

ولا يمكن للداعية – كما ألمحنا – أن يكون مثابرًا على أداء رسالته ، مستقيمًا في أخلاقه ، منضبطًا في تصرّفاته ، صابرًا على ابتلاءاته ، معرضًا عن إغراءاته ، متفائلاً في تصوّراته .. إلا أن يتحرّر تحرّرًا من جميع هذه المؤثّرات **سواء كانت مرضية ، أو انفعاليّة ، أو ابتلائيّة ، أو إغرائيّة ، أو تيئيسيّة** .. وقد سبق الحديث عنها ، والتفصيل فيها ، وذكر أهمّ المعالجات الإيجابيّة للتخلّص منها ، والتحرّر من أوصابها وعقباتها .

وفي اعتقادي أن الدعاة اليوم إذا اعتراهم شيء من هذه المؤثّرات ، أو استشعروها ، أو خشوا أن يقعوا في حبائلها ، وعلى الفور أخذوا بأسباب المعالجة ، ووسائل الحلول .. في اعتقادي أنهم يستقيمون على المنهج الربّاني ، ويقلعون عن كلّ ما يصيبهم من وساوس اليأس ، وبواعث الخور ، ودوافع الانهزاميّة ، ومعوّقات العزلة ، ومؤثّرات الابتلاء .. بل يسيرون على درب الدعوة والجهاد غير هيّابين ولا وجلين ، أقوياء الإرادة والعزيمة ، ويدفعهم الإيمان ، ويحدوهم الأمل ، ويسوقهم الرجاء .. إلى أن يروا راية الإسلام خفقت في سماء العزة والكرامة ، تضاهي الأمم الكبيرة في قوتها ، وعظمة مجدها ، وامتداد دولتها وكيانها .. بل إن أخلصوا وتوحّدوا وثابروا .. وأقاموا كيانهم على خطّة محكمة ، وتخطيط مسبق ، وعمل دائب صبور .. فإنّهم بتوفيق اللّه يعودون أساتذة للعالم ، وهداة للإنسانية ، وحكامًا للدنيا .. وما ذلك على اللّه بعزيز ، واللّه غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

* * *

3 - العوامل الاجتماعية

ومن العقبات الجسيمة التي تعترض بعض الدعاة على طريق الدعوة ، وتنعطف بهم إلى قعود جامد ، واعتزال بغيض .. أو أحيانًا تجنح بهم إلى انحراف شائن ، وضلال مبين .. « **عقبة العوامل الاجتماعية** » .

فكم من داعية قعد عن العمل الإسلامي بتأثير الأهل ، وضغط الوالدين ، وإلحاح القرابة .. فتخلّى بكلّيته عن الدعوة ، وقبع خانعًا مستكينًا في جحور العزلة مع القاعدين ؟!!

وكم من داعية وقف من دعوته موقف المجافاة والتخلّي .. حين يسمع ممن حوله طعن الطاعنين فيه ، وغمز الحاقدين عليه ، واستهزاء أعداء الإسلام بدعوته .. فما يرى بدًّا سوى أن يولّي وجهه شطر اللاهين المتسيّبين ؟!! .

وكم من داعية جمّد نفسه عن المسيرة الدعويّة حين يرى فئات من الأحزاب الضالّة ، أو زمرًا من أعداء اللّه والإسلام .. ليس لهم من همّة سوى أن يشكّكوا بالجماعات المخلصة ، ويطعنوا برجالات الدعوة الصادقين .. يتهمونهم بالعمالة للأجنبي حينًا ، وبالانتهازيّة أحيانًا ... وقد تأثر الداعية بهم ، وخضع لسلطانهم ، فرضي أن يقعد مع المخلّفين المعوّقين ؟!!

وكم من داعية تساقط على طريق الدعوة حين يسمع من مرؤوسيه في الوظيفة أو العمل .. كلمات الإرجاف ، وحملات الاتهام على الحركة الإسلامية المعاصرة ، وأحيانًا قد يسمع منهم كلمات التهديد والوعيد إن هو انتمى إليها ، وكان عضوًا من أعضائها .. فكان نتيجة هذه الاستجابة والتأثر .. أن رضي على نفسه أن يكون من المتساقطين المنهزمين ؟!!

وكم من داعية رأى بأمّ عينيه تناقض الجماعات الإسلامية في مناهجها ، وتباينها في اتجاهاتها ومعاداتها لبعضها .. فتصيبه حالة من اليأس ، وشعور من الخيبة .. فتراه منزويًا معتزلا متسيّبًا راضيًا أن يقعد مع القانطين اليائسين ؟!!

مما ذكرناه من أحوال بعض الدعاة في تساقطهم وانهزاميّتهم يتّضح لكل ذي عقل وبصيرة أن العوامل الاجتماعية التي أثّرت بهم نفسيًا ، وأقعدتهم دعويًّا .. **هي عوامل خمسة** :

1 - عامل القرابة .

2 - عامل البيئة .

3 - عامل الوجاهة .

4 - عامل التمزّق في الجماعات .

5 - عامل الطابور الخامس .

وسوف نتكلم – أخي الداعية – عن كل عامل من هذه العوامل الخمسة بشيء من التفصيل ، وعلى اللّه قصد السبيل ، ومنه وحده نستمدّ العون والتوفيق .

* * *

1 - عامل القرابة :

هذا العامل الاجتماعي يعدّ في نظر الدعويّين من أهمّ العوامل في سقوط بعض الدعاة في شِعْب الانطوائيّة والعزلة ، وفي قعودهم في جحور المخلّفين المنهزمين .

ولاشك أن دافع الأهل والأبوين وذوي القرابة .. في إقناع الداعية بترك العمل الإسلامي ، وعدم التدخّل في قضايا الدعوة إلى اللّه .. أن الدافع هو **الخوف** على أبنائهم ، أو منْ لهم صلة بهم من أن يصيبهم ما أصاب الدعاة اليوم من اضطهاد مرهق ، واعتقال جائر ، وعذاب أليم !!

يقول الداعية الكبير الأستاذ « فتحي يكن » في كتابه : « المتساقطون على طريق الدعوة » : « عرفتُ أنماطًا غريبة من الآباء ، كانوا يغرون أبناءهم ممن التحقوا بدعوة الإسلام ، وساروا على طريق الحق .. ليحولوا بينهم وبين دعوتهم وإسلامهم ، ولو بتشجيعهم على الرذيلة ، وارتياد أماكن اللهو : ليصدّوهم عن سبيل اللّه !! .

وعرفتُ آخرين كانوا يضربون أبناءهم ، ويضيّقون عليهم في المال والرزق .. ليردّوهم عن العمل في سبيل الإسلام !! .. » .

وهناك ضغوط أخرى على الأولاد وذوي القرابات .. من قبل الأولياء ، وكبراء العائلة ووجهائها .. **كضغط المقاطعة ، وضغط الاستهزاء ، وضغط التأثير بالملاطفة ..** هذا عدا عن ضغط الإغراء ، وضغط التّهديد اللذين أشرنا إليهما ، ومثّلنا عنهما .

هذه الضغوط إذا لاقت من يستجيب لها ، ويتأثّر بها من ضعفاء الإيمان .. فإنهم

سرعان ما يتساقطون على درب الدعوة ، وسرعان ما يقبعون في زوايا الخانعين القاعدين .. فلا يعملون للإسلام ، ولا يتطلّعون إلى مثل أعلى ، ولا يؤدّون رسالة الدعوة في التبليغ والإصلاح والتغيير ، بل يعيشون هملاً ، ويُعَدّون من سقط المتاع .. لا غاية نبيلة ينتظرونها ، ولا عزّة سامقة يسعون إليها ، ولا دولة للإسلام يجاهدون في سبيلها .. وهذا واللّه ليس من شأن الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا عليه ، ولا من طبيعة أهل العزم والعزائم ، ولا من مواصفات كبراء النفوس ، وعشّاق المعالي ..

ورحم اللّه من قال :

إذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مرادها الأجسام

ما علاج هذا العامل في الدعاة ؟

أولا – أن يعتقد الداعية أن الإذعان لضغوط الأهل والأقرباء (آباء وأبناء وأزواج وعشيرة ..) هو من البلاء الذي يوقع صاحبه في سخط اللّه ، ويوقع الأمة المسلمة – إن رضيت – في الذلّة والمهانة والانهزاميّة أمام الأعداء ، وشعار القرآن الكريم في ذلك : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [1] .

فمفهوم النص في الآية : أن الثبات أمام ضغط القرابة ، والصمود أمام إغراءات المال والمسكن ، والاندفاع الاعتقادي والنفسي على حبّ اللّه والرسول ، والجهاد في سبيل اللّه هو من مقتضيات الإيمان ، وأسس الإسلام .. فبدونها لا يكون المسلم – وعلى الأخصّ الداعية – مؤمنًا بحق ، ومسلمًا بصدق مهما تبجّح بالإيمان ، وتشدّق بالإسلام ؟

ألا فليعتبر الدعاة ، وليأخذوا من ذلك درسًا ، وليجعلوا هذا الدرس اعتقادًا وسلوكًا وعملاً .

ثانيًا – أن يتأسّى الدعاة بأصحاب القدوة قديمًا وحديثًا .. فإنهم كانوا آية في الثبات ، ونموذجًا حيًّا في الصمود أمام الضغوط العائلية ، والمحن الأسرية .؟

وإليكم بعض النماذج :

أ – يروي ابن سعد في طبقاته : (كان مصعب بن عمير فتى مكّة شبابًا

(1) سورة التوبة الآية : 24 .

وجمالاً .. وكان أبواه يحبّانه ، وكانت أمه مليئة كثيرة المال ، تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وأرقّه ، وكان أعطر أهل مكّة ، يلبس الحضرميّ من النّعال ؛ فكان عليه الصلاة والسلام ممن دعاه إلى دار الأرقم ، فدخل عليه وأسلم وصدّق به ، وخرج فكتم إسلامه خوفًا من أمّه وقومه ، ولما كشفوا أمره ، أخذوه فحبسوه ، فلم يزل محبوسًا حتى خرج إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى ، ثم رجع مع المسلمين حين رجعوا ..) .

وظلّ ثابتًا على إسلامه ، مستهينًا بضغوط أمّه وعشيرته .. إلى أن أكرمه اللّه بالشهادة في غزوة أحد ، ولقد وقف رسول اللّه ﷺ وهو مقتول مسجّى في بُرْدَة ، فقال له والدموع تزدحم في عينيه : « لقد رأيتُك بمكّة ، وما بها أحدٌ أرقُّ حلّة ، ولا أحسن لُمّةٍ منك ، ثم أنت شعث الرأس في بردة ؟ » ، وقرأ عليه قوله تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [1] . **وهكذا يكون أقوياء الإيمان ..**

ب – روى الترمذي أن هذه الآية : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [2] . نزلت في سعد بن أبي وقّاص ، وأمّه حَمْنة بنت أبي سفيان ، لما أسلم سعد كان بارًّا بأمّه ، قالت له : ما هذا الدين الذي أحدثت ؟ واللّه لا آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنت عليه أو أموت فتُعيّر بذلك أبد الدهر فيقال : يا قاتل أمّه !! .

ثم إنها مكثت يومًا وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم تستظلّ ، فأصبحت وقد جَهَدَتْ ، ثم مكثت يومًا آخر وليلة لم تأكل ولم تشرب .. فجاء سعد إليها وقال لها : **« يا أمّاه لو كانت لك مائة نفس ، فخرجت نفسًا نفسًا ما تركتُ ديني ، فكلي إن شئت ، وإن شئت فلا تأكلي .. »** . فلما يئست منه أكلت وشربت ، فأنزل اللّه هذه الآية : ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا .. ﴾ [3] ، آمرة سعدًا بالبرّ بالوالدين ، والإحسان إليهما ، ولو كانا كافرين .. وعدم طاعتهما في الشرك باللّه ، ومخالفة أمره سبحانه .

وهكذا يكون أقوياء الإيمان

ج – ومن المآثر الكريمة التي رواها الثّقات عن الإمام الشهيد حسن البنّا – رحمه

---

(1) سورة الأحزاب الآية : 23 وسبق تخريج الحديث (1/ 150) .

(2) سورة العنكبوت الآية : 8 .
(3) سنن الترمذي (3189) والآية من سورة العنكبوت رقم : 8 ..

اللّه – أنه كان من عادته أن يتفقّد شباب الدعوة في الأقضية والأرياف في كل عيد من الأعياد .

ففي مرة من المرّات مرض ولده « سيف الإسلام » مرضًا شديدًا ، فحين أراد الخروج قالت زوجته : لو بقيت معنا في هذا العيد نستأنس بك ، وتكون بجانب ولدك المريض ؟!!

فأجابها وبيده حقيبة السفر : « **إن منّ اللّه على ولدي بالشفاء فللّه الحمد والمنّة ، وإن قدّر اللّه عليه الموت فجدّه أعرف بطريق المقابر** » ، ثم خرج وهو يتلو قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ ... ﴾ [1] الآية **وهكذا يكون أقوياء الإيمان .**

من هذه النماذج نعلم أن الدعاة حين يكونون على مستوى عظيم من الإيمان والتكوين والتربية .. فإنهم لا يتأثّرون بزوجة ، ولا يستكينون لوالد ولا ولد .. وإنما يجعلون مصلحة الدعوة والإسلام والجهاد فوق اعتبارات النسب ، وأواصر القرابة .. وهكذا يفعلون .

ألا فليأخذ الدعاة اليوم من رجالاتهم في التاريخ القدوة الصالحة العمليّة في الثبات والصمود ، ليكونوا دائمًا لغيرهم أسوة ، أولئك الذين هدى اللّه فبهداهم اقتده .

ثالثًا – أن يقوم الداعية بدوره المؤثّر الكبير في إقناع من حوله من أهلٍ ووالدِين ونسب .. أن الإسلام بنى حقيقة التوحيد على الإيمان باللّه ، والاعتماد عليه ، والاعتقاد بقضائه وقدره ، والتّسليم لجنابه فيما ينوب ويروع .. وبنى حقيقة الإيمان على أن الذي يخفض ويرفع ، ويعطي ويمنع ، ويحيي ويميت ، ويُعزّ ويُذلّ ، ويشفي ويمرض ، ويوسّع ويقتّر .. هو اللّه سبحانه وحده ؛ لأنه القائل عن نفسه في محكم التنزيل : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [2] .

والقائل : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [3] .

والقائل : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [4] .

---

(1) سورة التوبة الآية : 24 .
(2) سورة آل عمران الآية : 26 .
(3) سورة الإسراء الآية : 30 .
(4) سورة الحديد الآية : 22 .

إلى غير ذلك من هذه الآيات التي تدلّل على أن الفاعل المطلق هو اللّه سبحانه وحده .

فباستطاعة الداعية أن يتلو هذه الآيات وأمثالها على والده ووليّه ، ومن يلوذ به من أهل ونسب .. وأن يفسّر لهم مضمونها ومقاصدها ، ليصل معهم في نهاية المطاف إلى أن الذي بيده الأمر والنهي ، وأن الذي له المشيئة المطلقة ، وأنّ الذي يفعل ما يريد .. هو اللّه وحده ؛ **وبهذا يتحرّر الوليّ أو القريب من الجبن والخوف** ، ويعتقد اعتقادًا جازمًا أنّ ما يصيب من يخشى مضرّته ، وما يقع على الذي يرجو سلامته .. هو بقضاء اللّه وقدره .

ولا يظننّ أحد أن الذي يعرّض نفسه لأخطار العدوّ ، أو يُلقي بها إلى التهلكة ، أو يرمي بها مختارًا في المحنة .. هو من الإسلام ، أو من الإيمان بالقضاء والقدر ، بل هو من التهوّر والحماقة وزجّ النفس في المهالك ..

- واللّه سبحانه يقول : ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [1] .

- ويقول : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [2] .

- ويقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ﴾ [3] .

- ويقول صلوات اللّه وسلامه عليه في الحديث الذي رواه الشيخان : « **يا أيّها النّاس : لا تتمنّوا لقاء العدوّ واسألوا اللّه العافية** » [4] .

فالإسلام إذن دين الواقعيّة والحذَر والأخذ بالأسباب .. فإذا وقعت المصيبة في الإنسان ، وحلت الكارثة به بعد التعاطي بواقعيّة الإسلام ، فلا يسعه إلا الرضا بقضاء اللّه ، والتسليم لقدره ، والخضوع لجنابه فيما ينوب ويروع .. وهذا هو الإسلام .

ومن الأمثلة التي نسوقها على حقيقة الإيمان باللّه ، وأنه هو الفاعل المطلق ، وأنه هو الرازق والمانع ، والخافض والرافع ، والمحيي والمميت ، **هذه القصة** :

امرأة مؤمنة خرج زوجها للجهاد في سبيل اللّه ، فجاء إليها من يستثير حزنها ، ويهيج عاطفتها ، ويقول لها : مَنْ يقوم على عيالك ، ويرعى أولادك إذا قدّر على زوجك القتل ، وكتبت له الشهادة !!

فما كان منها إلا أن صرخت في وجوههم ، وقالت لهم في ثقة وإيمان واطمئنان :

---

(1) سورة البقرة الآية : 195 .
(2) سورة النساء الآية : 29 .
(3) سورة النساء الآية : 71 .
(4) اللؤلؤ والمرجان (2 / 202) برقم (1137) .

« إني أعرف زوجي أكالاً ، ولم أعرفه رزّاقًا ، فإذا مات الأكّال بقي الرزّاق » .

ألا فليعتبر الدعاة ، ومن يلوذ بهم من أهل ونسب .. من هذا الموقف المؤمن ، والإيمان النادر ، واليقين الراسخ ، والثقة الصادقة باللّه .

ومن الأقوال المأثورة التي تدلّل على أن الآجال بيد اللّه مهما خاض المسلم الحروب ، والتقت الأسنّة بالأسنّة .. قولة خالد بن الوليد – رضي اللّه عنه – حين حضرته الوفاة : « إني حضرت مائة حرب أو زهاءها ، وما في بدني موضع شبر إلا وفيه ضربة سيف ، أو طعنة رمح ، أو رمية سهم ، أهكذا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت العَيْر (الحمار) ، فلا نامت أعين الجبناء ؟ » .

ومما قاله الإمام علي كرّم اللّه وجهه :

من أيّ يومي من الموت أفرّ ... يوم لا يقدر أم يوم قُدِر
يوم لا يقدر لا أرهبه ... ومن المقدور لا ينجو الحَذِر

وهذا معنى قوله تبارك وتعالى : ﴿ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ ﴾ [1] .

ألا فليأخذ الدعاة والآباء .. من هذه المواقف العظة والعبرة ، وليبنوا إيمانهم على حقيقة التوحيد ، وعقيدة القضاء والقدر ، وليتحرّروا من الخوف والجبن ، وليمضوا في طريق الدعوة إلى اللّه غير هيّابين ولا وجلين .. واللّه سبحانه يهدي قلوبهم ، ويشرح صدورهم .. للعمل للإسلام ، ويحقق على أيديهم البناء والإصلاح والتغيير ، وما ذلك على اللّه بعزيز .

هل عرف الدعاة المتأثّرون بأهليهم في التخلّي عن دعوة اللّه ، وترك العمل الإسلامي ، كيف يدخلون على قلوبهم ؟ وكيف يولّدون لهم القناعات ، ويوضّحون الحقائق ؟

إذا عرفوا ذلك فليقوموا بدورهم ، وليضطلعوا بمسؤوليّاتهم ، واللّه سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

* * *

2 - عامل البيئة :

ومن الصوارف عن دعوة الإسلام ، والموانع عن العمل في سبيل اللّه .. عامل

---

(1) سورة آل عمران الآية : 154 .

البيئة الاجتماعية بكل مؤثّراتها وضغوطها واتهاماتها .

هذا العامل أسقط الكثير على طريق الدعوة ، وأقعدهم عن الاستمراريّة في درب البناء الإسلامي ، وصيّرهم أن يكونوا من المخلّفين القاعدين !!

ولا بأس أن نذكر نماذج وصورًا توضيحًا لهذا العامل :

ومن الضغوط الصارفة عن العمل في سبيل الإسلام .. **ضغط الاستهزاء على الدعاة ، والغمز بهم ، والسخرية عليهم** .. فكم من داعية سقط على طريق الدعوة من تأثير هذا الضاغط الاجتماعي من قِبل أقرانه في الوظيفة ، أو زملائه في العمل ، أو جيرانه وأبناء محلّته في الحيّ ، أو أقربائه ومن يلوذ به في العشيرة ، أو رفاقه ومن يعرفهم في الجامعة ؟

ولاشك أن لهذا الضاغط أثره النفسي الأكبر في حياة الداعية الخاصة والعامّة ، فإن لم يكن له من الإيمان باللّه ما يلوذ به ، ومن اليقين الصادق ما يعتقده ، ومن الصبر والمصابرة ما يثبّته .. فإنه سرعان ما ينجرف إلى أوكار المنطوين الخانعين .

ومن الضغوط الصارفة .. **ضغط الغربة التي وجد فيها** ، وجعل أرض إقامته عليها ، قد يوجد الداعية في بيئة اجتماعية تحارب دعوته ، وتصدّه عن سبيل اللّه ، وتقف منه موقف المعاداة والمواجهة ، فلا تألوا جهدًا في إيذائه ، واضطهاده ، والنيل منه .. وربما قرّرت ملاحقته وقتله أو الاعتداء على ماله وعرضه ، أو إبعاده عن موطنه ومسقط رأسه وأملاكه !!

نعم قد يعيش الداعية في بيئة فاسدة ، وغربة قاتلة ، ومحيط موبوء .. يعيش فيها وحده ، فلا جماعة حوله ولا أنصار ، ولا أعوان له ولا إخوان ، ولا سند له ولا عشيرة .. بل رأى من كلّ من التقى بهم ، وأراد هدايتهم ، ودعاهم إلى الخير .. الصدود والإعراض ، والمعاداة والمحاربة !!

فإن لم يكن له من الإيمان باللّه رادع ، ومن العقيدة الإسلامية دافع ، ومن الشعور بالمسؤولية إحساس .. فإنه سرعان ما يعتريه اليأس ، ويتملّكه القنوط ، ويقعد في شعاب المنزوين اليائسين !!

ومن الضغوط الصارفة .. **ضغط الافتراء والاتهام** .. فكم من داعية سقط على درب العمل الإسلامي .. من تأثير هذا الضاغط الاجتماعي حين يتناوله أعداء

الإسلام بالتجريح ، والمسّ بصدقه ، وإخلاصه .. افتراءً واتهامًا ؟

وما أكثر الافتراءات الظالمة ، والاتهامات الباطلة .. التي تطلقها ألسنة الكفر والضلال والإلحاد .. على الدعاة العاملين ، ورجال الإصلاح المجاهدين !! . وما ذاك إلا لصرف الناس عن دعوتهم ، والتشكيك بإخلاصهم ، والحيلولة دون امتداد الصحوة الإسلامية في جنبات الأرض التي بها ينادون ، ومن أجلها يعملون ويجاهدون .

وقد تكلمنا في بحث « **المؤثرات النفسيّة** » في موضع آخر من هذا الكتاب عن التأثيرات الابتلائية ، والتي منها : تأثير الافتراء والاتهام في حياة الداعية ، وفي انعطافه عن دعوة الحق إلى غيرها ، أو على الأقلّ انعطافه نحو العزلة ، ليرضى بالقعود مع القاعدين فارجع إليه – أخي الداعية – تجد فيه ما يشفي الغليل ، ويروي الصّدى إن شاء اللّه .

ومن الضغوط الصارفة .. **ضغط البيئة بمؤثراتها الإغرائية** ، وقد سبق أن ألمحنا عن هذا المؤثر بالذات إلى جانب مؤثرات أخرى توسّعنا فيها ، وتكلمنا عنها كثيرًا ، وأريد في هذا المقام أن أوضح تأثير البيئة المتحلّلة الماجنة على حياة بعض الدعاة ، وكيف جعلتهم يتساقطون واحدًا بعد واحد على طريق البناء الإسلامي ؟ وكيف رمت بهم في أحضان الفساد والعهر ؟ فأصبحوا من المفتونين الماجنين بعد أن كانوا أتقياء أطهارًا !!

يقول الأخ الداعية الأستاذ « **فتحي يكن** » في كتابه « المتساقطون على طريق الدعوة .. » : « فالأخ المسلم قد ينشأ في بيئة محافظة ، ثم ينتقل منها بسبب الدراسة أو العمل إلى بيئة أخرى ، عوامل الشرّ فيها أكثر ، وجواذب الجاهلية أشدّ .. وهنا يبدأ الصراع عنيفًا : فإمّا صمود واستعلاء ، أو سقوط واستخذاء .

أذكر أن أحد الإخوة سافر إلى « أمريكا » للدراسة ، وكان مثال المسلم في بلدته ، والقدوة الحسنة بين إخوانه ، ومكث في أمريكا بضع سنين ، وعاد بعدها إنسانًا آخر ، لايمتّ بأدنى صلة إلى ماضيه القريب .

لقد كان أثر البيئة عليه كبيرًا وكبيرًا جدًّا ، بحيث أفقدته كل بريق كان يتحلّى به قبل سفره المشؤوم !!

وإنسان آخر سافر إلى نفس هذه البيئة ، ولم يتمكّن من التمسّك والثبات أكثر من سنة ، غرق بعدها إلى فوق أذنيه في المعاصي ، ثم انقطعت أخباره ، واختفى أثره ..

ولازلتُ حتى اليوم أذكر رسائله إليّ خلال عامه الأول ، وهي مليئة ، بالنقد والتعريض بأكثر العاملين في الحقل الإسلامي من الدعاة والقياديّين ، وكأنه في مستوى من الالتزام لايدانيه فيه أحد .. ثم كانت النتيجة أن نكص على عقبيه ، خسر الدنيا والآخرة ، وذلك هو الخسران المبين ، ولا حول ولا قوة إلا باللّه العليّ العظيم » .

ومن الضغوط الصارفة .. **ضغط إهمال القياديّين له ، وعدم استفادة الجماعة منه** .. فالأخ الداعية حين يستشعر من أعماق نفسه أنه ذو مواهب وطاقات ، وخبرات واختصاصات .. ولم يجد مِنْ جماعته مَنْ يشجّعه ، ويعرف قدره ، ويستفيد منه .. فإنه قد يصاب بردود فعل خطيرة ، وصدمات نفسيّة شديدة .. تؤدّي به إلى العزلة والانطوائيّة وترك العمل الإسلامي .. وربما جنح إلى الانحراف والفساد ليلهو مع اللاهين ، ويعبث مع العابثين .. وفي ذلك هلاكه ودماره !!

تلكم – إخوتي الدعاة – أظهر النماذج والصّور في سقوط كثير من الدعاة على درب الدعوة ، وقعودهم عن الاستمراريّة في مسيرة العمل الإسلامي نحو البناء والقوة والعطاء ..

فالبيئة الاجتماعية إذن لها كلّ تأثيراتها وضغوطها على العاملين للإسلام ، بل هي من العوامل الخطيرة في انهزاميّة بعض الدعاة عن كلّ ما يرفع من منار الإسلام ، وقعودهم عن كلّ ما يدفع بعجلة المد الإسلامي نحو التوسّع والنّماء .

ما علاج هذا العامل الخطير في الدعاة ؟

أولا – على الداعية أن يعلم أنه ليس أشرف من رسول اللّه ﷺ ومن رسل اللّه السابقين ، وليس أفضل من الرعيل الأول ممن آمنوا بالإسلام ، ونصروا النبي عليه الصلاة والسلام وعزّروه ووقّروه .. فهؤلاء جميعًا قد استهزأ الأعداء بهم ، ووجهوا إليهم التّهم الكاذبة ، والافتراءات الباطلة ، وأغروهم بإغراءات الجاه والمال ، واضطهدوهم وأخرجوهم وساموهم سوء العذاب ، وقاطعوهم اقتصاديًا واجتماعيًا ، ولاحقوهم محليًا وخارجيًا ، ودبّروا لهم المكائد والمؤامرات ، ولم يتركوا وسيلة من وسائل الترغيب والترهيب إلا اتبعوها وأخذوا بها .. كلّ ذلك من أجل أن يصدّوهم عن دعوتهم ، ويصرفوهم عن متابعتهم في مسيرة الإصلاح والبناء والهداية .

وبالرغم من كل هذا .. فإنهم ثبتوا على الحق ، وتحمّلوا الأذى في سبيل اللّه ، وصبروا وصابروا فما ضعفوا وما استكانوا .. وتابعوا المسيرة الدعويّة والجهادية بعزم

ومضاء .. إلى أن جاء نصر اللّه والفتح ، ودخل الناس في دين اللّه أفواجًا ..

ومن أراد الأمثلة والنماذج عن ثباتهم ومصابرتهم فليقرأ ما سردناه في **معالجة التأثيرات الابتلائية ، ومعالجة ضغط الأهل والقرابة والعشيرة** .. فإن من أمثلتها ونماذجها .. قوة دفع معنويّة لإقدام الداعية ، ومتابعة جهاده على طريق العزّة والنصر .. بل تهيب به أن يتأسّى بسيد الدعاة محمد بن عبد اللّه صلوات اللّه وسلامه عليه صبرًا واحتمالاً ، وأن يقتدي بالرعيل الأول من صحبه الكرام ثباتًا وجهادًا وعزيمة .

فإن الداعية إذا استشعر كلّ هذا ، ووضعه نصب عينيه فإنه يتحرّر – بعون اللّه – من سلطان الضغوط الاجتماعية بأنواعها ، ويتخلص من تحكّم التأثيرات النفسيّة برمّتها .. فإذا أصابه ضعف أو انهزاميّة ؛ فإنه يتطلّع إلى سيرة الرسول ﷺ فيجد فيها مثله الأعلى ، وعزاءه الجميل .. ويتطلّع إلى أخبار جيل الصحابة فيجد فيها قدوته الصالحة ، وراحته النفسيّة .. واللّه سبحانه – إن ثبت وجاهد وصبر – يحقّق له في الدنيا نصرًا ، ويدّخر له يوم القيامة أجرًا .. وهو دائمًا وليّ العاملين المخلصين .

ثانيًا – على الداعية أو الشاب المسلم .. إن ذهب إلى بيئة اجتماعية تخلّل فيها الفساد ، وانتشر في نواديها المنكر سواء كان الذهاب من أجل دراسة أو عمل أو هجرة .. كالبيئات الغربيّة ، والمجتمعات الشرقية .. فينبغي عليه قبل السّفر أن يبحث عن رفقة صالحة ، أو جماعة مؤمنة ، أو مركز إسلاميّ مخلص .. فبأولئك يستطيع الداعية أو الشاب .. أن يتثبّت بهم ، ويتعاون معهم ، ويتناصح في الحق بنصحه ونصائحهم ، ويتحصّن بالإيمان والأخلاق الفاضلة بفضل صحبتهم .. **بل هو معهم على العموم** : إن نسي ذكّروه ، وإن ذكر أعانوه ، وإن مال عن الحق احتضنوه ووجّهوه .. وإلى الرفقة الصالحة ، والتزام الجماعة المؤمنة .. وجّه النبي صلوات اللّه وسلامه عليه أمة الإسلام إليها ، وأمرهم بها :

– روى الترمذي وأبو داود عنه عليه الصلاة والسلام : « **لا تصاحب إلا مؤمنًا ، ولا يأكل طعامك إلا تقيّ** » [1] .

– وروى أبو داود والترمذي عنه ﷺ : « **الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل** » [2] .

---

(1) سبق تخريجه ص (98) .

(2) سنن أبي داود (4833) ، والترمذي (2378) .

– أخرج أحمد عن جابر بن سمرة قال : خطب عمر الناس وقال : « **فمن أحبّ منكم بحبوحةَ الجنّة فليلزم الجماعة** » [1] .

– أخرج أحمد والترمذي عن أبي ذرّ – رضي اللّه عنه – عنه عليه الصلاة والسلام : « **اثنان خير من واحد ، وأربعة خير من ثلاثة .. فعليكم بالجماعة ، فإن اللّه عز وجل لن يجمع أمتي إلا على الهدى** » [2] .

– أخرج الترمذي عن ابن عباس – رضي اللّه عنهما – قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **يد اللّه مع الجماعة** » [3] .

من هنا نعلم أن الشاب المسلم أو الداعية .. إذا أراد الإقامة في بيئة فاسدة ، أو محيط موبوء .. فعليه أن يحصّن نفسه بالرفقة الصالحة ، أو الجماعة المؤمنة ، أو المركز الإسلامي .. فإن لم يوجد .. فلا يتورّط بالسفر ، لأن في ذلك هلاكه ودماره ، والمؤمن دائمًا يحتاط لدينه وعرضه ، فلا يوقع نفسه في مواضع التّهم ، ولا يرمي بها في بيئة الفساد !!

ثالثًا – على الداعية أن يعلم العوامل التي تؤدّي إلى انهزام المسلم أمام ضغط البيئة ، وأن يعرف كيف يعالجها ويتخلّص منها .. حتى ينصلح حاله ، وتستقيم أخلاقه ؟

● فإن كان **العامل** اهتزازات في عقيدته ، أو انحراف خفيّ في سلوكه .. فعليه أن يثبّت عقيدته بدفع الشبه ، وحضور مجالس العلماء ، ومدارسة القرآن .. كما عليه أن يصلح أخلاقه بالبعد عن الأشرار ، ومصاحبة الأخيار ، والتزام أخلاق الإسلام ؟

● وإن كان **العامل** التزامه بالدعوة في بيئته التزام عاطفة وخجل ومحاكاة .. فعليه أن يعلم خصائص الدعوة الإسلامية ، ومقوّمات عالميتها وعطائها ، ولماذا يحملها للناس ؟ حتى يكون التزامه بها عن قناعة وتفهّم وإيمان .

● وإن كان **العامل** إعراضَه عن محيط الدعوة والدعاة بسبب البيئة التي انتقل إليها ، وإقبالَه بالتدرّج على بيئة الجاهلية ، وقرناء السوء .. فعليه أن يعزم ويصمّم أن يبقى على الميثاق والعهد فيما انتمى إليه ، وسار فيه .. كما عليه أن يتحرّر بإرادة قوية ، وإحساس صادق من نزغات الشيطان ، وإيحاءات الهوى ، ونزغات النفس الأمّارة .

---

(1) مسند الإمام أحمد (1 / 26) .
(2) مسند أحمد (5 / 145) ، وسنن الترمذي (2167) .
(3) سنن الترمذي (2166) .

وهكذا يفعل في معالجة كل عامل كان سببًا في انحرافه وإعراضه ، حتى يصل الشاب الداعية في نهاية المطاف إلى الإيمان الحق ، والثبات الراسخ ، والجهاد الدعوي المستمرّ ، والاستقامة الرائدة .

رابعًا – على الداعية أن يحاسب نفسه في كلّ فترة هل عمله الدعوي الذي يقوم به خالص لوجه اللّه ؟ هل يعمل للإسلام بصمت ، بلا ضجة ولا دعاوى ولا مباهاة ؟ هل ملتزم للجندية والطاعة فيما يكلف به من مسؤوليات وأعمال ؟ فإن وجد نفسه بعد هذه التساؤلات على الحالة التي تُرضي ضميره وربّه ، فليحمد اللّه وليسأله دائمًا المزيد ، وإن وجد نفسه متطلّعًا إلى المباهاة ، ومستشرفًا الذكر الحسن ، ومتلهّفًا إلى حبّ الظهور .. فليستغفر الذي يراه حين يقوم ، وليتُب إليه ليظلّ دائمًا مخلصًا في عمله للّه ، منيبًا إليه ، معتمدًا عليه .. سالكًا طريق المتقين الأبرار ، والمؤمنين الأطهار ..

فالداعية لا يبالي أن يعمل جنديًا أو قائدًا مادام يعمل لوجه اللّه ؛ ولا يبالي أيضًا إن اعترف مَنْ حوله من جماعته أو من بلده بقدْره أو لم يعترفوا ما دام يسعى دائمًا لإرضاء رب العزّة ، وبناء أمجاد الإسلام ؛ ولا يبالي كذلك إن أُسندتْ إليه أعمال تتفق مع كفاءته واختصاصه أو لم تُسند ، ما دام يعمل جنديًا مجهولاً لا يعلم بعمله إلا اللّه .

فمن الحماقة إذن أن يتخلّى الداعية عن دعوته لكون الناس حوله لا يعرفون فضله ، ولا يقدُرُون قدره ، ولا يضعونه في المكان المناسب !!

فما على الداعية إلا أن يعالج نفسه من آفات العجب والغرور ، ويطهّرها من أمراض المباهاة وحبّ الظهور .. إذا أحسّ من نفسه أنه يستشرف ذلك .. ليظلّ دائمًا على العهد ، لا تسقطه على طريق الدعوة آفة ، ولا يقعده مرض .. واللّه سبحانه لا يضيع أجر العاملين المخلصين .

هل عرف الدعاة المتأثرون بضغط البيئة في تخلّيهم عن دعوة اللّه ، وتركهم العمل الإسلامي .. كيف يتأسّون بالنبي ﷺ وبالرعيل الأول من أصحابه في صبرهم واحتمالهم ؟

وكيف يبحثون عن الرفقة الصالحة ، والجماعة المخلصة في بيئة اغترابهم حفاظًا على عقيدتهم وأخلاقهم ؟

وكيف يتحرّزون من العوامل والأسباب التي أدّت إلى انهزاميّتهم وسقوطهم ؟

وكيف يُخلصون في عملهم لله؟ وكيف يعملون بصمت في حال تحسّسهم بعجبهم وغرورهم؟

إذا عرفوا ذلك فليقوموا بدورهم ، وليضطلعوا بمسؤوليّاتهم ، وليستقيموا على الإسلام ، والله سبحانه معهم لن يَتِرَ أعمالهم .

* * *

3 - **عامل الوجاهة :**

ومن العوامل الخطيرة التي أسقطت الكثير من الدعاة في بؤرة العزلة والانطوائية ، وأبعدتهم عن العمل في سبيل الإسلام عامل الوجاهة بضغوطها وتأثيراتها وتسلّطها ..

وأعني بالوجاهة تسلّط بعض الشخصيّات ذات الوزن والاعتبار على الدعوة والدعاة :

تسلّطهم على الدعوة بمنع انتشارها وامتدادها في محيط قوّتهم ، وفي مواطن نفوذهم ..

وتسلّطهم على الدعاة في ملاحقتهم ، واتهامهم ، وإيذائهم ، وصدّهم عن العمل في سبيل الله .

فكم من رئيس عشيرة وقف من رجالات الدعوة في محيط عشيرته موقف المستبدّ الظالم ، ومنع كل نشاط دعويّ يقوم به الدعاة ، ويتحمّس له الشباب .. إرضاءً للحكم العلماني ، وطمعًا بالدنيا ، وجريًا وراء مصالحه الشخصية ؟!! .

وكم من متنفّذ في حي بحكم تنفّذه وتسلّطه منع كلّ ما يتّصل بالنشاط الإسلامي في البيئة التي يقطنها ، والحيّ الذي نشأ فيه ، وعامل بقسوته وغلظته الدعاة والشباب أسوأ معاملة ، وآذاهم أشدّ الإيذاء .. كل ذلك إرضاءً للحزب اللاديني الذي ينتمي إليه ، وتحسّبًا من سقوط نفوذه الذي يتباهى به ؟!! .

وكم من مسؤول عن شؤون المساجد أمر أن تغلق مساجد البلد .. إلا في أوقات الصلاة ؛ حتى لا يتاح للدعاة ولا للشباب المسلم أن يجتمعوا في مسجد الحيّ على مدارسة كتاب الله ، أو إلقاء موعظة أو إعطاء درس شرعيّ ، أو التذاكر في شؤون الدعوة وأمور المسلمين ؟!! .

وماذاك إلاتنفيذ لمخطط أسياده من الحكام العلمانيّين في الصدّ عن سبيل الله ، والحيلولة دون امتداد دعوة الإسلام بين أبناء الجيل الإسلامي ، ولا سيما صنف الشباب والشابات .

وكم من إمام مسجد منع أبناء الحيّ من أن يجتمعوا في المسجد الذي يؤمّ فيه حلقات لمدارسة القرآن الكريم ، أو لتعليم العلوم الشرعيّة ، أو للتقوية في العلوم العربية والعصرية ؟!! وماذاك إلا لأنهم أتباع للسلطة يأتمرون بأمرها ، وينتهون بنهيها ، وينفذون لها كلّ ما تمليه عليهم من مقرّرات أو إن شئت قل : ما تمليه عليهم من مخطّطات معادية للدعوة والدعاة !!

وكم من حزبيّين لا دينيّين في البلد أو القرية أو الحيّ .. لهم نفوذ وسيطرة قاموا بدورهم الآثم في ملاحقة الشباب المسلم من أن يعملوا للإسلام ، أو أن يتنشّطوا للدعوة ، وأحيانًا يوجّهون إليهم كل تهمة باطلة تقدح بهم ، وتمسّ صدقهم وإخلاصهم ، للتشكيك بأشخاصهم ودعوتهم ، ليبتعد الناس عنهم ، وينفروا منهم ؟!!

وما ذاك إلا ليصدّوا عن سبيل اللّه ، ويقوموا بدورهم في تنفيذ مخططات أسيادهم أعداء الإسلام من المستعمرين أو الشيوعيّين أو اليهود المجرمين أو الماسونيّين المنتمين !!

من هذه الأمثلة التي استشهدنا بها يتبيّن أن **عامل الوجاهة** له نفوذه وسلطانه ، وبطشه وهيمنته .. وأن له التأثير الأكبر على من ينتمون للدعوة الإسلامية حديثًا ، وعلى من لم يخالط الإيمان بشاشة قلوبهم .. فهؤلاء سرعان ما ينكصون على أعقابهم ، ويتساقطون على درب الدعوة واحدًا بعد واحد .. لكونهم لم يعتادوا هذه الضغوط ، ولم يصبروا عليها ؛ وربما انحرفوا عقيديًّا وأخلاقيًّا ... من جرّاء هذا التسلط القاهر ، والنفوذ المستبد ؛ وربما انتموا إلى فئات الإلحاد ، وزُمَر اللادينيّين من جراء ردود الفعل التي أثّرت على نفسيّاتهم وحوّلت مسارهم !!!

ما علاج هذا العامل في المنتمين للدعوة ؟

أولا – أن يعتقد الشاب الداعية أن هذه الزمرة المتسلّطة الباغية في صدّها عن سبيل اللّه هي صنف من أصناف البلاء التي تصيب الدعاة إلى اللّه عادةً في صراعهم مع الباطل ، وفي مواجهتهم لمفاسد الجاهليّة ، ومبادئ الضلال ..

وهذا أمر طبيعي أن يمتحن الدعاة ، وأن يتصارعوا مع الباطل ، وأن يصيبهم الأذى والاضطهاد في سبيل اللّه ..

وهذا – كما ألمحنا من قبل – من سنّة الأنبياء والمصلحين والدعاة .. في كل زمان

ومكان . وهذا أمر قرّره القرآن الكريم في أكثر من آية :

– قال سبحانه : ﴿ الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [2] .

وقال جلّ جلاله : ﴿ يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [3] .

وقرّره النبي عليه الصلاة والسلام في أكثر من حديث :

روى الترمذي وابن ماجه وابن حبّان والحاكم عن سعد بن أبي وقاص – رضي اللّه عنه – قال : قلنا : يا رسول اللّه ! أيّ الناس أشدّ بلاءً ؟ قال : « **الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، يُبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان دينه صلبًا اشتدّ بلاؤه ، وإن كان في دينه رقّة ابتلاه اللّه على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة** » [4] .

وروى البخاري .. أنه لما اشتدّ إيذاء قريش على ضعفاء المؤمنين في مكة جاءوا إلى النبي ﷺ وهو متوسّد بردةً في ظل الكعبة يقولون : ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو لنا ؟ فقال لهم النبي ﷺ : « **قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل ، فيُحفر له في الأرض فيُجعل فيها ، فيؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين ، ويُمْشَط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ، فما يصرفه ذلك عن دينه ؛ واللّه ليتمنَّ اللّه هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا اللّه والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون !!** » [5] .

ولو استعرضنا الأمثلة والنماذج التي حكت ابتلاءات الدعاة مع أقوامهم ومَنْ هم في بيئتهم من رجال النفوذ والوجاهة .. لرأيناها كثيرة وكثيرة .. ولقد ذكرنا طرفًا منها في عدة مواضع في فصول هذه السلسلة فارجع إليها – أخي الشاب – تجد فيها السلوى والعزاء لكل ما يصيبك في الحياة من محن ، وما تتعرّض له من نكبات وأحداث ..

فاصبر – أخي الشاب – على ما أصابك ، وحذار من الهزيمة ، فليست الهزيمة

---

(1) سورة العنكبوت الآية : 1 - 3 .
(2) سورة البقرة الآية : 214 .
(3) سورة لقمان الآية : 17 .
(4 ، 5) سبق تخريجهما (1 / 143) .

من طباع الرجال ، وخصائل الشباب ؛ بل كن متأسّيًا بقدوتك المصطفى صلوات اللّه وسلامه عليه في صبره ، وتحمّله الأذى من قومه وعشيرته ، وكن مقتديًا بالجيل الأول من أصحابه الكرام ، فإنهم صبروا واحتملوا ، فما وهنوا وما ضعفوا وما استكانوا .. وأعطوا في ذلك قدوة للأجيال المسلمة المتعاقبة إلى يوم البعث والدين .

فأنت – أخي الشاب الداعية – لستَ أشرف ولا أفضل منهم ، ولا يمكن أن تصل إلى المنزلة العظيمة التي نالوها مهما نهجت نهجهم ، وسرت على طريقتهم .. ويكفيهم فخرًا وشرفًا أن عاينوا عصر الرسالة ، وتشرّفوا بصحبة النبي ﷺ ، وتربّوا في مدرسته ، وصُنِعوا على عينه .

وأخيرًا أقول لك : فاصبر وما صبرك إلا باللّه ، فإن اليسر مع العسر ، والفرج مع الكرب ، والنصر مع المحنة ؛ ولا يمكن لأمة الإسلام أن تنال المجد ، وتصل إلى العزة والنصر إلا بعد صبر طويل ، وجهاد مرير ، وشدائد مرهقات .. وهذا هو سنّة الإسلام .

ثانيًا – عليك – أخي الشاب الداعية – إذا ابتليت بضغط الوجاهة ، فعليك أن تنهج مع أي صادّ عن سبيل اللّه ، ومتسلّط على عباد اللّه النهج التالي :

أ – إن أمكن أن تقنع هذا الوجيه أو المتنفِّذ من أن الإسلام دين الحق ، ولا يكون المسلم مسلمًا إلا أن يلتزم هذا الإسلام عقيدة وعبادة وسلوكًا .. والدعاة حين يدعون ليس لهم من عمل سوى أن يعرّفوا المسلمين بالإسلام ، ويأمروهم بالعمل والتطبيق ؛ ليتجسّد الإسلام في سلوكهم ومعاملتهم ، فإذا رآهم الناس رأوا فيهم الإسلام ؛ كما عليه أن يقنعه أن الدعاة في عملهم هذا لا يبغون من عملهم أجرًا ولا شكورًا ، ولا يسعون من وراء دعوتهم إلى غاية شخصيّة ، ولا مصلحة ذاتيّة .. وشعارهم في تبليغ الدعوة شعار الأنبياء والرسل من قبل : ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [1] .

فإن اقتنع الوجيه أو المتنفذ بما أوضحه الشاب الداعية ، وبما أدلى به من حجج .. فقد استطاع أن يشقّ في البيئة التي يدعو إلى اللّه فيها طريق الدعوة ، فلا يجد من أحد ممانعة ، ولا من متنفذ معارضة . ولا من وجيه إيذاء .

ب – فإن لم يقتنع الوجيه أو المتنفّذ عقليًا أو وجدانيًا بالدعوة ولا بالدعاة .. فعلى الشاب الداعية ، أن ينهج مع أولئك **نهج المداراة** ، والمداراة معناها : « أن يداريهم باللسان أو الابتسامة على أن لا ينطوي قلبه على شيء من مودتهم اتّقاء شرّهم وفحشهم » .

(1) سورة هود الآية : 29 .

وهذا ما جاء به الهدي النبوي في الحديث الذي رواه البخاري عن عائشة – رضي اللّه عنها – أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فقال : « **ائذنوا له فبئس ابن العشيرة ، أو بئس أخو العشيرة ، فلما دخل ألان له الكلام** » .

فقلتُ له : يا رسول اللّه قلت ما قلت ، ثم ألنتَ له في القول ؟!!

فقال : « **أيْ عائشة : إن من شرّ الناس منزلة عند اللّه من تركه النّاس اتّقاء فحشه** » .

وروى البخاري عن أبي الدرداء – رضي اللّه عنه – قوله : « **إنّا لنكشّر (أي نبتسم) في وجوه أقوام ، وإن قلوبنا لتلعنهم** » [1] .

فالشاب الداعية الذكيّ الحصيف .. حين يرى من هؤلاء المتنفّذين شدّة وغلظة ، لا يألوا جهدًا في مداراتهم ، وقد تكون المداراة في زيارة ، أو تقديم هديّة ، أو لين في الكلام ، أو دعوة إلى مناسبة ...

فبهذه المداراة يملك قلوبهم ، ويجذب نفوسهم .. ويستطيع الشاب أن يتّقي شرّهم ويتجنّب تسلّطهم ، ويسير على درب الدعوة بأمان وسلام .

ج – فإن لم يمكن إقناعهم ، ولا التأثير عليهم بمداراتهم ، وظلّوا شاهرين سلاح التسلّط والبغي .. فإن الشاب الداعية في مثل هذه الحال ينهج الدعوة السرّية ، بلا ضجيج ولا مجاهرة ، وذلك عن طريق الاتصال الفردي ، والإقناع الشخصي ، وجعل اللقاءات في البيوت .. إلى أن يتاح له سبيل المجاهرة ، أو يجعل اللّه له فرجًا ومخرجًا .

د – وإذا لم تتح له الدعوة السرّية بسبب الضغوط الكثيرة المتلاحقة فالخير له ، والخير لهذه الدعوة أن **يهاجر في سبيل** اللّه إلى بيئة أخرى يجد فيها حريته الدعويّة ، وانطلاقته التبليغيّة ، واللّه سبحانه الهادي إلى سواء السبيل .

ثالثًا – أن يستشعر الشاب الداعية شخصيته الإسلاميّة بكل أبعادها وأحاسيسها ..

أن **يستشعر** أنه خلق في هذه الحياة لغرض العبوديّة للّه ، والإخلاص له ، والثقة به ، والاعتماد عليه .

أن **يستشعر** إعطاء الولاء للّه ولرسوله وللمؤمنين ، ولا تتحقّق هذه الموالاة إلا باتّباع منهج اللّه في قرآنه ، والتزام أوامر رسول اللّه ﷺ في سنّته ، والتعاون مع

(1) سبق تخريجه ص (1 / 398) .

المؤمنين في إقامة عزة الإسلام .

أن **يستشعر** أنه ما وجد في الدنيا عبثًا ، ولم يعش في الحياة هملاً ، وإنما وجد ليبلّغ رسالة ، ويؤدّي أمانة ، ويخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة اللّه ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن تحريف الأديان إلى أصالة الإسلام .

أن **يستشعر** أن حياة التسيّب ، والعزلة ، والانطوائية ، والقعود .. ليست من طبائع الرجال ، ولا من خصائص الشباب ، ولا من أخلاق الدعاة .

أن **يستشعر** أنه لا وزن له ولا اعتبار عند اللّه ، وعند المؤمنين .. إذا هو عاش عيشة المجون ، أو خالط رفاق السوء ، أو انحرف عن أصالة الإسلام .

فإذا استشعر الشاب الداعية معالم شخصيته الإسلاميّة المتكاملة بكل جوانبها وأبعادها ، وتحسّس في أعماق وجدانه بها .. لم يتأثر بتهديد طاغية ، ولم يعتزل لاستبداد ظالم ، ولم يتنحّ عن طريق الدعوة لتسلّط وجيه .. بل يتذرع بالصبر والمصابرة ، ويعمق في نفسه عقيدة الإيمان باللّه ، ويظلّ متابعًا مسيرته الدعويّة إلى أن يأذن اللّه بالعزّ والنصر أو يموت على ذلك ، ليلقى اللّه عز وجل وهو عنه راضٍ في مجمع من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا .

هل عرف الشباب الدعاة الذين تخلّوا عن دعوة الإسلام بسبب ضغط الوجاهة كيف يعالجون تأثير هذه الضغوط على أنفسهم ودعوتهم ؟

هل علموا أن من معالجات ضغط الوجاهة ، أن يوقنوا أنهم ليسوا وحدهم في هذه الابتلاءات ، بل هو من سنّة الأنبياء والمصلحين والدعاة الصادقين في كل زمان ومكان ، وفي ذلك تثبيت لهم على الاستمرار في دعوتهم ، وسلوى وعزاء لما يصيبهم في سبيل نشر دينهم ؟

وهل أدركوا أن من إيجابيّات هذه المعالجة أن يتدرّجوا مع هؤلاء المتنفّذين على مراحل من التعامل : بدءًا بالقناعة ، فإن لم تُجدِ فالمداراة ، فإن لم تُجْدِ فبالدعوة السرّية ، فإن لم تُجْدِ فبالهجرة في سبيل اللّه ؟!!

وهل أيقنوا أن من أسباب ثباتهم على درب الدعوة هو استشعارهم بالشخصية الإسلامية المتكاملة ، من إعطاء الولاء للّه .. وأنهم ما خُلقوا في الحياة عبثًا .. وأن حياة العزلة والتسيّب ليست من خصائص الشباب .. وأنهم لا وزن لهم ولا اعتبار

في ميزان الإسلام إذا عاشوا عيشة المجون والانحراف والتّسيّب .

إذا عرفوا ذلك جيدًا فليقوموا بدورهم ، وليضطلعوا بمسؤولياتهم ، وليستقيموا على الدعوة والإسلام ، واللّه سبحانه دائمًا مع العاملين المخلصين .

* * *

4 - **عامل التمزّق في الجماعات** :

ومن العوامل الاجتماعية الكبرى التي جمّدت كثيرًا من العاملين للإسلام عن استمرارهم في طريق الدعوة ، وأقعدتهم عن بناء العزّ لأمة المسلمين : عامل التمزّق في الجماعات الإسلامية .. وهذا يعود سببه إلى الاختلاف في المنهج ، والتباين في منطقيّة المرحلة ، وأحيانًا يعود السبب إلى الصراع على زعامة المسلمين وقيادتهم !!

لذا نشأ في المسلمين مدارس متعدّدة ، وجماعات مختلفة ، وفئات متعادية متناحرة .

يقول الأستاذ الداعية الكبير الشيخ مناع القطان في جريدة « المسلمون » في عددها الثاني والثمانين ، حين سئل عن **الصحوة الإسلامية مالها وما عليها في العصر الحديث** أجاب : « إن من جملة ما يعوق الصحوة الإسلامية « **تباين الاتجاهات** » ، ففي غيبة القيادة الحكيمة ، نشأت في الصحوة الإسلاميّة عدة مدارس (دعويّة) ، لكل مدرسة فكرها ومنهجها ، فكانت الجماعات الإسلاميّة المتباينة في اتجاهاتها ومفاهيمها ونظرتها وأساليبها .. فمنها المغالي ، ومنها المعتدل ، ومنها المتهاون .. بل إن بعضها يكفّر بعضًا ، وأخفّها من يتّهم الآخرين بالتقصير ، وهيهات أن يجتمع هؤلاء على قلب رجل واحد ، ولذا تذهب كثير من الجهود أدراج الرياح، أو يكون الصّدام الذي يعوق العمل ، أو القوّة التي تستخدم العنف بما يعطي السلطة مبرّرًا لضرب العاملين في الحركة الإسلاميّة دون تمييز ، وتضييق الخناق عليهم جميعًا ، وإلصاق التّهم بهم ، والإساءة إليهم » ا هـ .

لاشك أن لهذا العامل في تباين الجماعات الإسلامية وتمزّقها .. الأثر الاجتماعي الأكبر في اختلاف كلمة المسلمين ، وفي تشتيت وحدتهم .. كما أن له الأثر العظيم في **قعود كثير من العاملين للإسلام** عن مسيرتهم في طريق الدعوة ، وعن اهتمامهم بشؤون المسلمين ، وعن بناء العزّ المستقبلي لأمة الإسلام .. ولكن هل يجوز للعاملين على درب الدعوة شرعًا أن يعتزلوا العمل الدعوي ، بحجّة أن الجماعات الإسلامية متمزّقة ، وأن

القيادات الدعويّة غير متّفقة ، وأن قعود بعض الدعاة عن العمل مستمرّ ومطّرد ؟

أقول : لا يجوز لهم ذلك ، ولا يصح لهم أبدًا أن يعتريهم يأس ، ولا أن يصيبهم جمود ، وهذا ما سنبيّنه في المعالجة الإيجابية لظاهرة العزلة والتجميد والانطوائيّة في الدعاة .

وإليكم بيان هذه المعالجة :

سبق أن تكلمنا في بحث « **المؤثّرات التيئيسيّة** » في الدعاة أن دعوى بعض العاملين للإسلام في تركهم العمل .. بحجّة تمزّق الجماعات الإسلامية وتناحرها لا تستند على دليل ولا برهان ، وفي هذا المجال **نستعرض ما ذكرناه اختصارًا للربط والاستذكار** :

● لأن اللّه سبحانه أمر المسلمين بالاعتصام بحبل اللّه المتين ، وحذّرهم من المنازعة والفرقة ، وما تآلف الأوس والخزرج تحت مظلّة الإسلام ، والاعتصام بحبل اللّه عن الأذهان ببعيد !!

● لأن هناك عوامل وأسباب للفرقة والخلاف ، فإذا زالت هذه العوامل والأسباب ، استطاع المسلمون أن يقيموا في المجتمع جبهة إسلامية واحدة متماسكة متراصّة .. تتحطّم على صخرتها قرون البغي والفساد ، وأن يعود المسلمون كما كانوا عباد اللّه إخوانًا .

● لأن التاريخ الإسلامي برهن بشكلٍ قاطع أنه كان يقع بين المسلمين خلافات مذهبيّة ، وصراعات سياسية .. فكان الشمل يلتئم ، والقلوب تلتقي ، والتفاهم الأخوي الوثيق يعود ؛ .. **مما يدل على هذا** .. أن الإمام الحسن بن علي – رضي اللّه عنه – لما تنازل عن الخلافة للصحابي معاوية– رضي اللّه عنه – رجعت وحدة المسلمين أقوى ما تكون عزًّا وتماسكًا وقوة .. بل امتدّ كيان المسلمين في الآفاق حتى وصل إلى آخر الصين شرقًا ، وآخر الأندلس في أوربة غربًا ..

● هذا بالإضافة إلى ما ذكرناه من **ظهور الصحوة الإسلامية في بلاد الإسلام** ، **وانبثاق الجماعة الإسلامية العالمية في العالم الإسلامي** التي أصبح لها في كلّ مكان فروع ، وفي كل قطر من الأقطار تنظيم .. ولها من شمول مناهجها ، وسموّ أهدافها ، ومنطقيّة مراحلها تميّز واختصاص .

هذا كلّه مما يؤكّد إمكانيّة التلاقي على كلمة سواء ، وعلى التجمّع تحت مظلّة

الاعتصام بحبل اللّه .

فلا حجة إذن ولا عذر لدى القاعدين ، واليائسين في نكوصهم عن متابعة المسيرة الدعوية للحجج التي أدلينا بها ، والبراهين التي فصّلنا فيها .

وفي الختام أريد أن أبين لكل داعية هذه الحقيقة :

لا يشترط في حقّ الداعية أبدًا أن لا يعمل للإسلام إلا إذا وجد جمع المسلمين مشتملاً ، وكلمة الجماعات الإسلامية متفقة .. لو كان الأمر كذلك لكان المسلمون في خير ، وجبهتهم أمام أعداء الإسلام متراصّة .. بل لو كانوا منضوين جميعًا تحت قيادة واحدة ، لوصلوا إلى غرضهم النّبيل في إقامة الكيان الكبير تحت مظلّة الوحدة الإسلامية ، ولحقّقوا مقصدهم الأسمى في استعادة الأمجاد ، واسترجاع الخلافة ، وإظهار الإسلام على الدين كلّه !!

ولكن هم في الواقع غير كذلك ، فالأمر إذن يتطلّب جهادًا ومجاهدة ، وصبرًا ومصابرة .. إلى أن يصل عقلاؤهم ، ورجال الدعوة المخلصين فيهم إلى التئام الصفّ ، ورأب الصّدع ، وجمع الشمل ، واتفاق الكلمة على الحق والهدى .. وهذا ليس بمحال – كما يتوهّم البعض – وليس بالأمر الصعب الذي دونه خرق القتاد كما أوضحنا واستشهدنا .

نعم في حال أن العاملين للإسلام **عجزوا** عن انضواء الجماعات الإسلامية كلها تحت قيادة واحدة ، فيمكنهم أن يسعوا إلى إيجاد تنسيق بين قيادات هذه الجماعات ، **ومفاده** : أن تعمل كل جماعة في مجال اختصاصها في تربية الجيل المسلم وتعليمه وتكوينه .. حيث تستفيد هذه الجماعات من بعضها بعضًا تربيةً وتعليمًا وتوعيةً .. وحيث يكون تفاهم وتعاون بين رجالات هذه القيادات ومسؤوليها في تنشئة الجيل ، وإعداد الشباب .

وفي حال أنهم **فشلوا** عن إيجاد التنسيق والتعاون بين هذه القيادات ، فأضعف الإيمان أن يسعوا إلى إيجاد ميثاق يتعاهدون عليه جميعًا على أن **يعملوا فيما اتفقوا عليه ، ويعذر بعضهم بعضًا فيما اختلفوا فيه ، وعلى أن لا يكون بين أبناء هذه الجماعات خصومات ولا تنافر ، ولا اتهامات ولا تناحر .. ، وعلى أن تمضي كل جماعة في مجال اختصاصها دون توقّف** .. عسى اللّه سبحانه أن يؤلّف في المستقبل القلوب ، ويوحّد

القيادات ، ويجمع الجميع على بناء عزة الإسلام .. وما ذلك على اللّه بعزيز .

مما ذكرناه يتبيّن أنه لا يجوز شرعًا أن يعتزل أيّ داعية إلى اللّه العمل الإسلامي بحجّة أن الجماعات الإسلامية في العالم الإسلامي متمزّقة متناحرة مادام أن الالتقاء على صفاء القلوب ، ورأب الصدع .. ممكن ، وما دام أن الجماعة الإسلامية العالميّة في بلاد الإسلام قائمة ومستمرة .. ومادامت الصحوة الإسلامية بين الشباب والشابّات تشقّ طريقها ، ويمتد في العالم ظلّها .

ومن الأمور التي يجب على كلّ داعية أن يعلمها : أن المسلم مكلّف شرعًا أن يدعو ويبلّغ ، وأن يقوم بدوره في هداية الناس وإصلاحهم ، فإن وفّق فحسبه أنه وصل إلى الغاية وقطف الثمرة .. وإن عجز فحسبه أنه امتثل أمر الشرع ، وأجره على اللّه في كلّ ما احتمله وصبر عليه ، والمولى جلّ جلاله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

هل عرف المعتزلون القاعدون أن عامل التمزّق في الجماعات الإسلامية لا ينهض حجة على ترك الدعوة ، والتخلّي عن العمل للإسلام .

وهل علموا كيف يعالجون هذه الظاهرة من نفوسهم ؟ وكيف يتحقّقون بالإيجابيّات في متابعة مسيرتهم ؟

إذا عرفوا ذلك جيدًا فليقوموا بدورهم ، وليضطلعوا بمسؤولياتهم ، وليستمرّوا مبلّغين داعين على درب الدعوة ، واللّه سبحانه دائمًا مع العاملين المخلصين .

* * *

5 - **عامل الطابور الخامس :**

ومن العوامل الاجتماعية الخطيرة التي أسقطت صنفًا من الدعاة الضعفاء على طريق الدعوة ، ودفعت بهم نحو العزلة والانطوائية ، وأحيانًا نحو الانحراف .. عامل الطابور الخامس ، **وأعني بالطابور الخامس** : تحرّك فئات من أعداء الإسلام في داخل المجتمعات الإسلامية وخارجها لمحاربة الدعوة الإسلامية نفسيًّا ، والتشكيك بها فكريًّا ، والحدّ من امتدادها شعبيًّا .. وذلك بإطلاق الشائعات المغرضة ، وترويج الاتهامات الكاذبة .. على نبيّ الإسلام ، ونظام الإسلام ، ودعاة الإسلام ، والجماعات المخلصة التي تدعو إلى الإسلام .

والهدف من ذلك : صرف الجيل المسلم ، وشباب الدعوة .. عن متابعة المسيرة الدعويّة في تحقيق العز والنصر ، وترسيخ البلبلة التشكيكيّة في فكر أبناء الأمة الإسلامية ونفسيّتهم ، حتى يقفوا من صاحب الرسالة الخاتمة ، والدعوة الإسلامية الخالدة موقف المعاداة والمجافاة ، وفي ذلك فساد لعقيدتهم ، وقتل لشخصيتهم ، وهدر لقيمهم وأخلاقهم ومثُلهم !!

من فئات هذا الطابور ؟

هم في الداخل :

● **فئة الماسونية** [1] المرتبطة باليهودية والاستعمار ، وقد تتسمّى هذه الفئة بأسمائنا ، وتتكلم بلغتنا ، وتعتنق في الظاهر ديانتنا .. فهي في الحقيقة أشدّ الفئات خطرًا على الإسلام ، وأعظمها كيدًا ، وأمكرها تآمرًا ومحاربة ..

وهذه الفئة لا تعمل إلا في الظلام ، ولا تتحرّك إلا في الخفاء ، فلها أقنيتها الخاصة بها حين تنطلق ، ولها دعاتها المدرّبون حين تحارب .. وتسترّها ببرقع النفاق هو الأصل ، وظهورها بمظهر المراءاة هو الطريقة .. فلا تكلّ ولا تملّ في كيدها ومكرها ، ولا تتوانى ولا تهدأ في تشكيكها وتنفيذ مخطّطاتها !!

● **فئة الأحزاب الهدامة** المرتبطة بالفكر الشيوعي ، أو الاشتراكي ، أو الغربي الاستعماري .. وهذه الفئة هي أيضًا تتسمّى بأسمائنا ، وتتكلّم بلغتنا ، وقد تتظاهر نفاقًا بأنها من ملّتنا ، فهي في الحقيقة وقحة في ادعائها ، شرسة في معاداتها ، جريئة في تصريحاتها وتشويشاتها ..

لا تألو جهدًا في كيل التّهم ، وبثّ الإشاعات .. على كلّ جماعة إسلاميّة متنشّطة ، وعلى كلّ فئة دعويّة منطلقة .. دون أن ترعى في مؤمن إلًّا ولا ذمّة ، ودون أن تحفظ لأبناء وطنها كرامة ولا حرمة !!

---

(1) هي جمعيات سرّية مرتبطة باليهودية ، وهي منبثة منتشرة في العالم في كل مكان ، وهي تستقطب في دعوتها للانتماء إليها أصحاب النفوذ والغنى والجاه .. لتستخدمهم آلة في تنفيذ مخططاتها وأهدافها .

ومن أهم أهدافها : تنفيذ مخططاتها اليهودية في تكوين دولة لهم تمتد من الفرات إلى النيل ، وهدم الأديان غير اليهودية ، وهدر القيم والفضائل التي جاءت بها الأديان والشرائع .

ومن مبادئها : « سوف نتخذ الماسونية غاية من دون اللّه » ، « يجب خلق جيل لا يستحيي من كشف عورته » ، « إن النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته إلا بعد فصل الدين عن الدولة » ...

● **فئة الحكومات اللادينيّة** المرتبطة بالماركسيّة أو الاشتراكية أو الماسونيّة أو الاستعمار .. فهذه الفئة عدا أنها تتسمّى بأسماء إسلاميّة ، وتتكلّم بلغة المسلمين ... فإنها أيضًا تدّعي الإسلام نفاقًا وزورًا ، وتظهر في المناسبات الإسلامية رياءً وخداعًا .. هذه الفئة لا تألوا جهدًا في تسخير أجهزة إعلامها في النيل من دعاة الإسلام الصادقين ، وعلمائه العاملين ، وشبابه المخلصين .. كما أنها لا تهدأ ولا تفتأ أبدًا في الطعن بكل جماعة إسلامية حركيّة تحمل رسالة الإسلام إلى الناس بصدق وإخلاص ، وعزم ومضاء .. تفعل كل هذا دون أن ترعى للمواطن كرامته ، ولابن الأمّة عدالته ، وللفرد في المجتمع أمنه واستقراره ..

● **فئة الحركات الباطنية المضلّلة** من : إسماعيليّة التي تؤلّه أغاخان ، ونصيريّة التي تؤلّه الخليفة الراشد عليًّا رضي اللّه عنه ، ودرزيّة التي تؤلّه الحاكم بأمر اللّه ، وبهائيّة التي تؤلّه بهاء ، وشيعية مغالية التي تقول بالإمام المعصوم وتلعن كبار الصحابة .

هذه الفئات وما كان على شاكلتها منتشرة في المجتمعات الإسلامية هنا وهناك .. وهي لا تفتأ أبدًا في بثّ الدعايات المغرضة ، والإشاعات الكاذبة على التديّن والمتدينين من أهل السنّة ، ولا تتوانى ليلا نهارًا في أن توجّه سهام بغيها واتّهامها على الجماعات الإسلامية المخلصة ، ورجالها العاملين الصادقين ..

ومن المعروف عن هذه الفئات في حال ضعفها والضغط عليها تظهر أمام المسلمين بمظهر التقيّة ، وذلك أن تبطن في نفسها من مبادئ الكفر والضلال خلاف ما تظهره خوفًا وتقيّة .. وفي حال قوّتها وسيطرتها تكشر عن أنياب الحقد ، وتُشهر سلاح العداوة لسحق الإسلاميّين ، واستئصال دعاتهم .. دون أن يرعوا في مؤمن إلًّا ولا ذمّة ، ودون أن يحفظوا لهم كرامة ولا سمعة !! ..

● **فئة اللامنتمين الملحدين** .. وهي مجموعات منبثّة في المجتمعات الإسلامية في كل مكان ، لا تنتمي لمبدأ أو عقيدة ولا تلتزم بدين ولا قيم . يتركون لنفوسهم حرياتها في الفساد والانحراف والإباحيّة ، بل يقفون موقف المعاداة والمجافاة من كل إنسان يدعو إلى مبدأ ، أو يتمسك بدين ، أو يسعى إلى فضيلة ، أو يُنشد في حياته مثلاً أعلى !!

هذه المجموعات الملحدة اللامنتمية ، استقت إلحادها ولا انتماءها من طبقة فاجرة باغية إباحيّة معروفة في ديار الغرب **بأفواج الهيب** ، **والخنفس** ، **والبوب** .. هذه

الأفواج مرة تلبس القصير الضيّق ، وأخرى تلبس الفضفاض الطويل ، وحينًا تطيل شعرها حتى يبلغ ظهرها ، وأحيانًا تحلقه من أصله ، وخامسة تحاكي الحشرات في شكلها ، وسادسة تقلّد الحيوانات في صوتها .. وهكذا تسير في الحياة بلا ضابط ، ولا عُرْف ، ولا قِيم ولا مثل أعلى .. هذا عدا عن انخراطها في أتون الإباحيّة ، والجنس ، والخمرة ، واللذة .. بشكل همجيّ وطبيعة بهيميّة !!

ولا تكتفي هذه الفئات الملحدة اللامنتمية التي فرضت وجودها في البلاد الإسلامية أن تنهج في معتقدها وسلوكها هذا المنهج الفاضح المزري ، وإنما قامت تدعو إلى فكرتها الآثمة في محاربة الدين والأخلاق والقيم .. وفي الدعوة إلى اللاانتمائية ، والإباحيّة .. ليتأثر الشباب بها ، ويسيروا على منوالها بلا إيمان بدين ، ولا ضابط من أخلاق ، ولا استشراف لمثل أعلى !!

● إلى غير ذلك من هذه الفئات المضلّلة الملحدة التي تعمل في داخل المجتمعات الإسلامية ، والمعروفة باسم الطابور الخامس .. لتقوم برسالة الهدم والتشكيك لدعوة الإسلام ، ونبيّ الإسلام ، ودعاة الإسلام ..

أما فئات الطابور الخامس في الخارج :

فهي قوى عالميّة متخصّصة لاتفتأ ولا تكلّ في مهاجمة الدعوة الإسلامية ، والطعن بشخصيّة مَنْ تنزّلت عليه ﷺ ، ومحاربة الجماعات الإسلامية المخلصة ، ودعاتها الصادقين العاملين ..

ولا بأس أن نعطي فكرة واضحة عن فئات هذا الطابور واحدة بعد واحدة ، ليعلم الشاب الداعية من هي هذه الفئات ؟ وماذا تريد ؟ وما هي أهم مخطّطاتها في محاربة الإسلام ونبيّه ودعاته ؟

وإليكم أهم هذه الفئات :

● **الشيوعية الملحدة** التي أعلنت عن نفسها بصراحة ووقاحة أنها العدوّة الأولى لعقيدة الألوهية ، والقيم والمبادئ التي جاءت بها الأديان والشرائع ..

فمن شعاراتها : لا إله في الكون والحياة مادة ، الدين أفيون الشعوب ، الأنبياء لصوص كذّابون .. ولاشك أنهم يستهدفون العقيدة الإسلامية ؛ لأن عقيدة

الإسلام – في نظر دعاتها – لها الدور العظيم في بناء المجتمعات ، وقوة الانتشار .. لذا لا يألون جهدًا في أن يحاصروا الإسلام من كل الجهات ، ويلصقوا التّهم به ، وينفّروا الناس من دعاته ، وأن يقتلوا الضمير الديني الذي يكمن في ضمير الجيل المسلم بشتى الوسائل والأساليب ..

في إحدى الوثائق السرّية التي نشرتها « مجلّة الحق » [1] **سنة / 1967 / م المخطط الرهيب للقضاء على الإسلام ودعاته .. وها نحن أولاء ننقل بأمانة بعض ما يحتويه هذا المخطط :**

– « تشويه سمعة رجال الدين ، والحكام المتدينين ، واتهامهم بالعمالة للاستعمار والصهيونية » .

– « الحيلولة دون قيام حركات دينيّة في البلاد مهما كان شأنها ضعيفًا ، والعمل الدائب بيقظة نحو أيّ انبعاث ديني ، والضرب بعنف لا رحمة فيه كل من يدعو إلى الدين ولو أدى إلى الموت » .

– « ومع هذا لا يغيب عنا أن للدين دوره الخطير في بناء المجتمعات ، ولذا وجب أن نحاصره من كل الجهات وفي كل مكان ، وإلصاق التهم به ، وتنفير الناس منه بالأسلوب الذي لا ينمّ عن معاداة الإسلام » .

– « تشجيع الكتّاب الملحدين وإعطاؤهم الحرية كلّها في مهاجمة الدين ، والشعور الديني ، والضمير الديني ، والعبقريّة الدينيّة .. والتركيز في الأذهان أن الإسلام انتهى عصره ، ولم يبق منه اليوم إلا العبادات الشكليّة التي هي الصوم والصلاة والحج ، وعقود الزواج والطلاق ، وسنخضع هذه العقود للنظم الاشتراكية » .

– « قطع الروابط الدينية بين الشعوب الإسلامية قطعًا تامًّا ، وإحلال الرابطة الاشتراكيّة محلّ الرابطة الإسلاميّة ، التي هي أكبر خطر على اشتراكيتنا العلميّة » .

هذا غيض من فيض مما جاء في الوثيقة في محاربة الإسلام وأهله ، وعلمائه ودعاته .

● **الصليبيّة الحاقدة** المتمثّلة بالاستعمار والتبشير والاستشراق .. فكلّ هذه الفئات متعاونة متضافرة في محاربة الإسلام وأهله ، ومحاصرة دعاته وجماعاته ، وإخراج

---

(1) ارجع إلى كتاب « الإسلام والشيوعية » للأستاذين : العقاد ، والعطار تجد نص الوثيقة السرّية كاملة نقلاً عن مجلة الحق ص 123 .

المسلم من عقيدته وقِيمَه » .

– يقول القسّ « **زويمر** » المبشّر الصليبي كما جاء في كتاب « الغارة على العالم الإسلامي » :

(إن للتبشير بالنسبة للحضارة الغربية مزيّتين : مزيّة هدم ، ومزيّة بناء .

أما الهدم فنعني به : انتزاع المسلم من دينه ولو بدفعه إلى الإلحاد .

وأما البناء فنعني به : تنصير المسلم – إن أمكن – ليقف مع الحضارة ضدّ قومه) .

– ويقول المبشّر « **وليم جيفورد بالكراف** » كما جاء في كتاب « جذور البلاء » :

(متى توارى القرآن ، ومدينة مكة عن بلاد العرب ، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيدًا عن محمد وكتابه) .

– ويقول المبشر الحاقد « **هنرى جيسب** » كما جاء في كتاب « التبشير والاستعمار » :

« المسلمون لا يفهمون الأديان ، ولا يقدّرونها ، إنهم لصوص ، وقَتَلَة ، ومتأخّرون ، وإن التبشير سيعمل على تمدينهم » .

– ويقول الحاقد الصليبي « **جوليمين** » في كتابه « تاريخ فرنسا » : « إن محمدًا مؤسّس دين المسلمين قد أمر أتباعه أن يُخضعوا العالم ، وأن يبدّلوا جميع الأديان بدينه ، وما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين (يقصد المسلمين) وبين النصارى !! إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة ، وقالوا للناس : أسلموا أو موتوا ، بينما أتباع المسيح ربحوا النفوس ببرّهم وإحسانهم .. » .

هذا عدا عن غمز هؤلاء المبشرين الحاقدين بتعدد زوجات النبي ﷺ ، والطعن بشخصيته ، ودعوته ، والتشكيك بنبوّته ورسالته .. وعدا عن توجيه الدسائس والافتراءات على أنظمة الإسلام في كونها غير صالحة لمناهج الحياة .. وعدا عن الاتهام الفاضح لدعاة الإسلام ، وعلماء الإسلام ، والحركات الحركيّة المنبثقة من دعوة الإسلام .. الاتهام لهم بالرجعية والجمود ، والحيلولة دون التكيّف الحضاري ، والتقدم العلمي ، ومعطيات النهضة الحديثة !! .

هذا الذي ذكرناه ما هو في الحقيقة إلا قليل من كثير مما تنفثه الصليبيّة من حقد دفين على الإسلام ، ونبيّه ، ودعاته .. وما ذاك إلا صرف للجيل المسلم عن الإيمان بمعتقداته ، والاعتزاز بمقدساته .. وصرفه أيضًا عن كل عمل وتحرّك وجهاد في سبيل

إعلاء كلمة اللّه .. وتوجيهه في الوقت نفسه أن ينصرف إلى حياة التحلّل والميوعة والمجون .. حتى لا يبقى عنده شيء مقدس ، ولا ينشد في الحياة مثلاً أعلى !! ..

● **اليهودية الماكرة** التي تستهدف أول ما تستهدف إفساد عقائد الأمم ، وتحطيم مفاهيمها ، وتمييع أخلاقها ، وإبعادها عن منهج اللّه .. وتستهدف أيضًا إقامة دولة يهودية من الفرات إلى النيل في قلب بلاد الإسلام ..

ومن أمكر أساليبها : إقامة المنظمات السرّية وعلى رأسها : **المنظمة الماسونية** ، وما الماسونية في حد ذاتها إلا هدم للأديان غير اليهودية ، واستقطاب أصحاب الجاه والنفوذ والسلطان .. في كل مكان لتسخيرهم لتنفيذ أهدافها ومخططاتها في محاربة الدين ، وإفساد الضمائر ، وإقامة دولة إسرائيل ..

ولقد استطاعت الماسونية أن تخدع كثيرًا من الشخصيات الإسلامية وغير الإسلامية ببريق شعاراتها الزائفة **باسم الحرية ، والإخاء ، والمساواة .. حينًا ، وباسم الوطنية ، والقومية ، والإنسانية .. أحيانًا** ، بل استطاعت الماسونية أن تطرح مبدأها الهدام الذي يقول : « إن المسلمين ، والنصارى ، واليهود ، والمجوس ، والوثنيّين .. إخوة في الوطن والإنسانية ، لادين يفرّقهم ، ولا عقيدة سماوية تحول دون إخائهم .. » .

فبعد أن تخدع من ينتمي إليها بهذه الشعارات المضلّلة تكاشفهم في احترام اليهوديّة ، ومحاربة ما عداها من ديانات ومعتقدات !! .

جاء في كتاب « أساليب الغزو الفكري » ص 175 : وقد جاهر حاخام إسرائيل في حفل وضع الحجر الأساسي للمحفل الماسوني في « تل أبيب » سنة 1959 بقوله : « إننا نعمل جميعًا لهدف واحد هو العودة لكل الشعوب إلى أول دين محترم أنزله اللّه على ظهر هذه الأرض (ويقصد اليهودية) ، وما عدا ذلك فهي أديان باطلة ، أديان أوجدت الفرقة بين أهل البلد الواحد .. ونتيجة لمجهوداتكم سيأتي يوم يتحطّم فيه الدين المسيحي ، والدين الإسلامي ، ويتخلص المسلمون والمسيحيون من معتقداتهم المتعفّنة ، ويصل جميع البشر لنور الحق والحقيقة » .

واليهوديّة كما كرّست نشاطها في تحريف الديانة المسيحية عبر التاريخ ، فإنها أيضًا تكرّس نشاطها في محاربة نبيّ الإسلام ، ودعوة الإسلام .. مما يؤكد هذا ما جاء في التلمود قوله : « حيث إن المسيح كذّاب ، وحيث إن محمدًا اعترف به ، والمعترف

بالكذّاب كذّاب مثله ، فيجب أن نقاتل الكذاب الثاني كما قاتلنا الكذّاب الأول »[1] .

واليهود - لعنهم الله - لا يفتؤون ولا يكلّون منذ أن قامت دولة الإسلام .. وحتى اليوم في إفساد شرائع الإسلام ، وتشويه مصادره وأحكامه ، والتشكيك بنبوّة النبي ﷺ ورسالته ..

وقد وُجِدَ من اليهود من انتحل الإسلام نفاقًا ورياءً ، ليوقعوا الفتن في المسلمين ، ويورثوا فيهم معتقدات فاسدة ، ومذاهب باطنيّة باطلة ، وقد وصلوا إلى غرضهم الخبيث في تكوين الفرق السرّية الضالّة في المجتمعات الإسلامية ، لتقوم بدورها في التضليل ، والبلبلة ، وتشويه حقائق الإسلام !! .

وقد سبق أن ألمحنا عن معتقدات هذه الفرق ، وهدفها في محاربة الإسلام وأهله ، ونزيد الآن : أن من وسائل هذه المحاربة تفسيرها لمعاني القرآن الكريم على خلاف وجهها ، وعلى غير ما تحتمل .. ودسّ الأحاديث الموضوعة على النبي ﷺ ، ليحرّفوا في الدين ، ويوهموا العامّة أنها من السّنة وليست من السنّة !! .

ولكنّ علماء الإسلام في كلّ زمان ومكان تصدّوا بشدّة وحزم لمعتقدات هذه الفرق الضالّة ، فكشفوا عن زيفها ، وأوضحوا للعامّة بطلانها ، وبيّنوا للقاصي والداني وجه الدسّ ، والافتراء ، والإرجاف التي ضلّلوا بعض النفوس الضعيفة بها .. وهكذا بقيت الدعوة الإسلامية كما نزلت نقيّة صافية محافظة على حقيقتها وأصالتها .. دون أن يشوبها شائبة ، أو يحوم حولها شبهة ، والله متمّ نوره ولو كره المجرمون الملحدون .

تلكم أهمّ مخطّطات اليهوديّة ، وصنيعتها الماسونيّة **في العالميْن : الإنساني ، والإسلامي** ، وهي مخطّطات خطيرة ، وشعارات مزيّفة ، لا يقصد منها إلا تنفيذ مخطّط دولتهم من الفرات إلى النيل ، وتشكيك المتديّنين بدينهم ، وإخراجهم من عقيدتهم ، وجعل العالم كلّه تحت نفوذهم وسلطانهم .. وهكذا يفعلون !! .

وإن نسينا فلا ننسى تركيزهم الأكبر على محاربة الإسلام ، وتشكيك جيل الإسلام والطعن بدعاة الإسلام ، والاتهام بالغباء والرجعيّة كلّ متديّن من أبناء الإسلام .. عسى الجيل بكلّيته بعد تمييعه وتشكيكه ينصرف إلى حياة الترهّل والفجور ،

(1) من كتاب « دفائن النفسيّة اليهودية » للدكتور محمد الزعبي ص : 128 .

والزيغ والمجون .. فلا ينتصر لدين ، ولا يدافع عن حقّ ، ولا يتطلّع إلى مثل أعلى !! .

ولاشك أن الجيل المسلم حين يصل إلى هذه الحالة من الانهزام النّفسي ، والتشكّك العقيدي ، والانحلال الخُلقي .. فإنه يسهل على العدوّ اليهودي تنفيذ مخطّطه ، والوصول إلى هدفه .. بل يصبح شباب الأمة الإسلامية هدفًا لكل طامع ، وغاية لكل مريد !! .

هذا أهمّ ما ذكرناه عن تحرّك الطابور الخامس في شتى أشكاله ، وأصناف فئاته .. في داخل المجتمعات الإسلامية وخارجها في نفث حنقه وحقده على دعوة الإسلام ، ونبيّ الإسلام ، ودعاة الإسلام .

حانق حاقد على دعوة الإسلام في اتّهامه لها بالجمود والتأخر ، وأنها أصبحت غير صالحة لمسايرة ركب الحياة !! ..

وحانق حاقد على نبيّ الإسلام في اتّهامه له بالشهوانية ، وأنه رئيس عصابات إجراميّة ليس لها من مهمة سوى تهديد الأمن ، وسفك الدماء ، وسلب الأموال .. !!

وحانق حاقد على دعاة الإسلام في اتّهامه لهم بالإرهاب ، والتطرّف ، والارتباط بعجلة الاستعمار !! ..

﴿ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (1) .

وهذا الطابور مجنّد اليوم لمحاربة الإسلام وأهله ، وهو لا يكلّ ولا يملّ في تلفيق الإشاعات الكاذبة ، وفي تأليف الافتراءات الظالمة .. على كلّ من يدعو إلى اللّه ، ويحمل بصدق وإخلاص لواء الدعوة الإسلامية إلى الدنيا .. **من أجل ماذا ؟**

من أجل أن يُجهضوا الصحوة الإسلامية التي تطلّ برأسها على العالم الإسلامي هنا وهناك ..

من أجل أن يصرفوا الجيل المسلم عن الجبهات المرسومة لإعلاء كلمة اللّه ..

من أجل أن يكفر الشباب بالحقّ الإسلامي ، ويؤمنون بمبادئ ما أنزل اللّه بها من سلطان ..

---

(1) سورة التوبة الآية : 30 .

من أجل أن لا تقوم للمسلمين قائمة ، وأن لا يتحقّق لهم كيان ولا سيادة في ربوع هذه الحياة ..

من أجل السيطرة وفرض النّفوذ على خيرات البلاد الإسلامية ، وموادّها الخام ، ومواقعها الاستراتيجيّة ..

من أجل أن يكون المسلمون موالين دائمًا للغرب في استعماره ، أو للشرق في إلحاده ، أو للماسونيّة اليهوديّة في كفرها وإباحيّتها ..

وعلى العموم من أجل أن لا يبقى عند المسلم بقيّة من إيمان ، ولا مسحة من حياء ، ولا شعور بإسلام ، ولا تطلّع إلى مثل أعلى !! .

وهذا الذي ألمحنا عنه ، وأشرنا إليه ماحدا ببعض النفوس الضعيفة من شباب الدعوة أن يتساقطوا على درب العمل الإسلامي ، وأن يتأثّروا بالطابور الخامس في إشاعاته وأكاذيبه ، وأن يقعدوا عن الجهاد الدعوي مع القاعدين .

ما علاج مؤثّرات الطابور الخامس في النفوس الخائرة ؟

نعم قد يوجد في الدعاة بعض النفوس الخائرة الضعيفة التي تتأثّر بما تروّجه فئات أعداء الإسلام على الإسلام ودعاته ، ولكن أيّ داعية إذا وضع في حسبانه **هذه النقاط التي سيأتي ذكرها** فإنه بعون اللّه يأمن من السقوط ، وينجو من الخور والقعود ، ويكون عند حسن الظنّ في تفتّح حركيّته ، ومتابعة مسيرته ، والعمل من أجل دعوته إلى أن يقضي اللّه أمرًا كان مفعولا :

أولا – أن يعلم الداعية من هي هذه الفئات التي تُروّج الإشاعات ، وتبثّ الأكاذيب ؟ .. هل هي عدوّة أم صديقة ؟ هل هي ناصحة أم مفترية ؟ هل هي صادقة أم كاذبة ؟ فإذا نظر ووجد أنها من فئات الكفر والضلال ، ومن أصناف المفسدين في الأرض والأعداء ، ومن زُمَر الذين يرفعون شعار العداوة للإسلام ولسائر الأديان .. فإنّه – ولا شك – لا يتأثّر بأضاليلهم ومفترياتهم ، ولا يكترث بدعاويهم وأكاذيبهم ، ولا يحسب أيّ حساب لاتهاماتهم وإشاعاتهم ... بل لا يتوقّع منهم إلا الافتراء والدسّ والكذب والإرجاف .. ورحم اللّه من قال :

وهذه العصا من العُصَيّةْ   هل تلد الحيّةُ إلا الحيّةْ

ثانيًا – ليس الداعية وحده في التعرّض لهذه الاتّهامات والأكاذيب ، بل سبقه إلى ذلك مَنْ هو أشرف منه وأكرم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين ... فهؤلاء تعرّضوا لوابل من الإشاعات الكاذبة ، والافتراءات الحاقدة .. والقرآن الكريم قصّ علينا كثيرًا من أخبار المرسلين في صراعهم مع أقوامهم ، وفي ابتلاءاتهم مع بني عشائرهم ، وفي تعرّضهم للاتّهام والدسّ والإرجاف .. من أقرب النّاس إليهم ؛ والسّيرة النبوية قصّت علينا الكثير والكثير مما عاناه النبي ﷺ من اتّهام المشركين ، وإشاعات المنافقين ، وأكاذيب اليهود .. فإنّهم قالوا عنه كلّ كذب من القول وزور ، قالوا عنه : إنه ساحر ، وإنه شاعر ، وإنه كذّاب ، وإنه عَلّمَه رجل ، وإن ما أتى به هو أساطير الأوّلين ، وأخيرًا اتّهموه بعرضِ أهله عائشة رضي اللّه عنها .. ومع كلّ هذا فإنه ﷺ صبر وصابر ، وتحمّل واحتسب ذلك في جنب اللّه .. وأعطى لأصحابه ، وللأجيال المسلمة من بعده ، وللدعاة والعلماء الذين حملوا أمانة الدعوة عبر التاريخ .. أعطاهم قدوة في التحمّل والثبات وعدم الالتفات إلى الإشاعة ، لينهجوا نهجه ، ويسيروا على منواله ، ويتابعوا المسيرة على درب الدعاة العاملين المخلصين .

فلماذا التبرّم من الإشاعة ؟ ولماذا التخوّف منها ؟ ولماذا يحسب لها الداعية حسابها ، وهي من المصائب التي تصيب كلّ من يدعو إلى اللّه على هدىً وبصيرة ، وهي من سُنّةِ الأنبياء والدّعاة والمصلحين .. عبر التاريخ ، وهي تمسّ أشرف المخلوقين وأكرمهم عند اللّه ، وهي من طبيعة الصّراع مع الباطل ، ومجابهة أهل الكفر والضلال ؟ ..

ألا فلتعلم النفوس الضعيفة الخوّارة هذه الحقيقة ، ولتراجع موقفها الانطوائي قبل فوات الأوان ، ولتعاهد اللّه على متابعة المسيرة الدعويّة .. واللّه دائمًا مع العاملين المخلصين .

ثالثًا – يخطئ الداعية حين يظنّ أن طريق الدّعوة مفروش بالورود والرياحين ، وأنّه مكلّل دائمًا بأقواس النصر ، وتيجان العزّة والمجد .. إذا ظنّ هذا فإنّه واهم ، بل يوصم نفسه بالجهل بطبيعة هذا الدّين ، وبحقيقة تاريخ هذه الأمّة !! .

يوصم نفسه بالجهل بطبيعة هذا الدين ؛ لأن دين الإسلام هو دين الدعوة العالمية إلى أقطار الأرض وشعوبها .. فما على المسلمين إلا أن يقوموا بدورهم في تبليغ الدعوة ، ونشر الإسلام .. ولأنّ طبيعة الدعوة إلى اللّه تتطلّب من المسلم جهادًا ومجاهدة ، وصبرًا ومصابرة ، وتضحية وثباتًا .. ولأنّ طبيعة الجهاد والصبر

والتضحية تتطلّب من كلّ عامل للإسلام ، مجاهد في سبيله أن يتحمّل أصناف الأذى ، وأنواع الابتلاء ، وتقلّبات المحنة على درب الدعوة والجهاد إلى أن يأذن اللّه بالنصر ، أو يلقى اللّه مجاهدًا أو شهيدًا .

ويوصم نفسه بالجهل بحقيقة تاريخ هذه الأمة ، لأن تاريخ أمّة الإسلام حافل بسيرة أجيال لم يأتهم النصر على أرض مفروشة بالورود والرياحين ، وإنما انتصروا على جسر من التّعب ، وعلى طريق مملوء بالأشواك والعقبات ، وعلى أشلاء من الضحايا ، ومواكب من الشهداء .. وانتصروا على الجراءة بالحق ، وتحمّل الأذى في سبيل اللّه ، والصبر على مجاهدة الأعداء .. وانتصروا بعد أن هجروا الراحة ، وطيب المنام ، وافترشوا الأرض ، والتحفوا السّماء .. ليروا في نهاية المطاف راية الإسلام ارتفعت على كلّ الرايات ، ودين محمّد ﷺ ظهر على الدين كلّه .. وقد رأوا الراية مرفوعة فقرّتْ أعينهم ، وأظهروا هذا الدين فارتاحت نفوسهم .. وكأن المتنبي فيما لاقوه من نصب وابتلاء وأذى ، وما عشقوه من المعالي ، ومدارج الطموح .. يُحاكي نفسيّاتهم الكبيرة حين قال :

ذريني أنلْ ما لا يُنال من العلا ... فصعب العلا في الصعب والسّهل في السهلِ

تريدين إدراك المعالي رخيصة ... ولابدّ دون الشهد من إبَرِ النّحْلِ

وهو القائل أيضًا :

إذا كانت النفوس كبارًا ... تعبتْ في مرادها الأجسام

ألا فليعلم الذين يسيرون على درب العمل الإسلامي طبيعة هذا الدين ، وحقيقة تاريخ الإسلام .. إن أرادوا أن يبنوا لأمتهم مجدًا ، ولدينهم عزًّا ، وللمسلمين جميعًا وحدة .

هل عرف الدّعاة أن معالجة مؤثّرات الطابور الخامس في المنهزمين نفسيًا ، والقاعدين دعويًا .. لا يتأتّى إلا :

* **أن يعلموا** أن الذين يروّجون للإشاعات ، ويبثّون الأكاذيب .. هم أعداء ، ومفترون ، وكذّابون .. لا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمّة ، ولا يحفظون له كرامة ولا حرمة ..

* **وأن يُوقنوا** أنّهم ليسوا وحدهم فيما ينسب إليهم من أباطيل وأقاويل .. وإنما سبقهم إلى ذلك من هم أشرف منهم وأكرم من النبيّن والصدّيقين والشهداء والصالحين ..

وأن يعتقدوا أنّ من طبيعة هذا الدين الجهاد والمجاهدة ، والصبر والمصابرة .. وأنّ من حقائق تاريخ الإسلام أخبار أجيال صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً ، وأنّهم لم يصلوا إلى النّصر إلا بعد أن مرّوا على أرض مفروشة بالأشواك والعقبات ، وبعد أن اجتازوا جسورًا من التعب والنّصب والابتلاء ..

إذا عرفوا ذلك وأيقنوه واعتقدوه .. فإنهم يقومون بدورهم ، ويضطلعون بمسؤوليّاتهم ، ويستمرّون داعين مبلّغين على درب الدعوة .. دون أن يصيبهم وهن ، أو يعتريهم يأس ، أو يفكّرون بانهزام .. واللّه معهم هو مولاهم وناصرهم فنعم المولى ونعم النصير .

* * *

مما سبق يتبينّ أيها الإخوة الدعاة :

أن العوامل الاجتماعية التي أثّرت ببعض النفوس الضعيفة روحيًا ، وأقعدتهم دعويًا ، ورمت بهم إلى حياة التقوقع والعزلة والانطوائية .. هي **عوامل خمسة** :

الأول – عامل القرابة : ولقد رأيتم أنه عامل اجتماعي مؤثّر على كثير من الشباب الذين دخلوا في الدعوة حديثًا .. فكم منهم سقطوا على درب الدعوة بضغط أبوين ، أو تأثير قرابة .

الثاني – عامل البيئة : ولقد رأيتم أنه من العوامل الاجتماعية المؤثّرة التي دفعت كثيرًا ممن كانوا يعملون في رحاب الدعوة أن يتسيّبوا أو ينحرفوا .. بسبب ضغط الاستهزاء ، أو ضغط الاتهام ، أو ضغط الغربة في بيئة متحلّلة أو كافرة محاربة !!

الثالث – عامل الوجاهة : ولقد رأيتم أنه من العوامل الاجتماعية الخطيرة التي صرفت بعض العاملين للإسلام إلى حياة التسيّب أو العزلة أو الانحراف .. بسبب ضغط متنفّذ على حيّ ، أو متسلط على بلد ، أو متحكّم في مسجد ، أو مستبدّ بعشيرة !!

الرابع – عامل التمزق في الجماعات الإسلاميّة : ولقد رأيتم أنه من العوامل الاجتماعيّة الكبرى التي جمّدت كثيرًا من الداعين إلى اللّه عن استمراريّتهم في طريق

الدّعوة ، وأقعدتْهم عن بناء المجد لأمة الإسلام حين رأوا حال الجماعات في اختلاف ، والدعاة في تشتّت ، والأتباع في تعصّب وتشدّد !!

الخامس – عامل الطابور الخامس في إشاعاته : ولقد رأيتم أنه من العوامل الاجتماعية المؤثّرة المثيرة التي هزمت بعض النفوس الخائرة الهزيلة نفسيًّا ، وأقعدتهم جهاديًّا ودعويًّا ، وربما جنحت بهم في بعض الأحيان إلى الانحراف .. بسبب ترويج إشاعة من عدوّ ، أو تلفيق افتراء من حاقد متآمر !!

وكما اطّلعتم وقرأتم أني لم أقتصر على تعداد العوامل ، وبيان المراد منها ، إنما عرّجت إلى ذكر الحلول والإيجابيّات في معالجة كلّ عامل من هذه العوامل الاجتماعية التي سبق الكلام عنها ، والتفصيل فيها ..

وفي تقديري أن أيّ داعية إلى اللّه حين تعتريه حالة ضعف ، أو تلفحه رياح يأس ، أو يستشعر روح انهزامية .. حين يتمعّن هذه الحلول ، وينفّذ ما علمه من إيجابيّات .... فإنه – ولاشك – يثبت على الإيمان والحقّ ، ويحسّ في قرارة وجدانه أنه مسؤول أمام اللّه ، وأمام الإسلام ، وأمام الأجيال .. عن تبليغ هذه الدعوة ، وعن حملها إلى النّاس ، وعن أداء رسالته في الإصلاح والتربية والتّغيير .. إلى أن يأذن اللّه له ولدعوته بالنصر المبين ، أو يقضي نحبه وقد سلّم راية الدعوة والإصلاح إلى الجيل الذي يأتي من بعده حتى يقضي اللّه أمرًا كان مفعولاً .

هل عرف المتأثرون بالعوامل الاجتماعية من دعاة الإسلام أن لا حجّة لهم ، ولا عذر يُسمع منهم .. في قعودهم عن العمل الإسلامي بسبب ضغط قرابة ، أو تأثير بيئة ، أو تسلّط وجاهة ، أو تمزّق جماعة ، أو بثّ إشاعة ..

إذا عرفوا ذلك فليُعاهدوا اللّه عز وجل على الانطلاقة الكبرى في طريق الدعوة والجهاد ، دون أن يعوقهم عائق ، ودون أن يثبّطهم مثبّط ، ودون أن ينزغنّهم شيطان .. واللّه غالب على أمره ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون .

* * *



سلسلة
مدرسة الدعاة
فصول هادفة في فقه الدعوة والداعية
(11)

عقبات في طريق الدعاة

وطرق معالجتها في ضوء الإسلام

« القسم الثاني »

عبد الله ناصح علوان
أستاذ الدراسات الإسلامية
بجامعة الملك عبد العزيز بجدة

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة





الحمد للّه رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتمُّ التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى من دعا بدعوته ، واهتدى بهديه بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد : فهذا هو القسم الثاني من فصل « **عقبات في طريق الدعاة** » ويضمّ هذا القسم البحوث التالية : المعوّقات السياسيّة ، والظّروف الاقتصاديّة ، والأسباب التربويّة ، والأخطاء التّنظيميّة .

وبكتابة هذه البحوث نكون قد انتهينا من سلسلة « **مدرسة الدعاة** » وباللّه التوفيق .

واللّه أسأل أن يمدّنا بالقوة والعافية ، لنتابع مسيرة الدعوة إلى نهاية الشوط ، واللّه يتولّى العاملين المخلصين .

المؤلف

عبد اللّه ناصح علوان



الفصل الحادي عشر
عقبات في طريق الدعاة
وطرق معالجتها في ضوء الإسلام
« القسم الثاني »

ومن العقبات المؤثّرة والخطيرة التي تعترض بعض الدعاة على طريق الدعوة ، وتجنح بهم إلى انهزاميّة قاتلة ، وقعود جامد ، واعتزال بغيض ... أو ترمي بهم إلى انحراف شائن وجنوح آثم ، وضلال بين .. عقبة « **المعوّقات السّياسيّة** » .

وأعني بالمعوّقات السياسيّة تسلّط الحكومات العقائديّة اللادينيّة ، أو الحكومات العلمانيّة المعرضة عن منهج اللّه .. تسلّطها على الجماعات الإسلاميّة المخلصة ، والدعاة العاملين المخلصين في بلاد الإسلام .. لإخماد حركاتهم ، والحدّ من نشاطهم وكتم أنفاسهم .. حتى لا يرتفع لهم رأس ، أو تقوم لهم قائمة !! .

ونحن نعلم أنه على أعقاب إلغاء الخلافة ، وتفتيت الدولة الإسلامية إلى دويلات صغيرة عام / 1924 / م بتدبير من اليهودية والماسونية والاستعمار .. تكوّنت في العالم الإسلامي حكومات لا دينيّة سواء كانت عقائديّة أو علمانيّة .. وصلت إلى الحكم **بتخطيط ماسوني استعماري يهودي** ، لتنفيذ أغراضهم ومخطّطاتهم في بلاد الإسلام !! ..

ولا يخفى أن للشّيوعية الملحدة دورها الكبير في فرض سلطانها ، وبسط نفوذها على كثير من المجتمعات الإسلامية ، وكلّ هذه القوى الاستعماريّة أو الشّيوعيّة متّفقة كلمتها على إجهاض الحركات الإسلاميّة ، وكتم أنفاس الإسلاميّين في كل مكان ..

والدافع لهذا العداء والمحاربة :

● حتى لا تصل هذه الحركات الإسلامية إلى أهدافها في استعادة أمجاد الإسلام ، وإقامة حكم اللّه في الأرض ..

● حتى لا تفقد هذه الحكومات اللادينيّة وجودها وسيطرتها في حال وصول الإسلاميّين إلى سدّة الحكم ..

● حتى لا تفقد القوى الدوليّة العالمية المتصارعة مصالحها السياسية والاقتصاديّة والعسكرية .. على أرض الإسلام ..

● حتى لا تعود للمسلمين وحدتهم الإسلاميّة المتراصّة ، وريادتهم الدوليّة العالميّة ، وكيانهم السّياسي العريض ..

● حتى لا تسري الصحوة الإسلامية في الجيل المسلم ، ولا تمتدّ في شرق البلاد الإسلامية وغربها ..

● حتى تتقبّل أمّة الإسلام مبادئ الغرب أو الشرق في فسادها وانحرافها بلا وعي ، ولا فهم ، ولا نقد ، ولا معارضة ..

من أجل هذا كلّه تندفع هذه الحكومات العلمانيّة اللادينيّة بعزم وتصميم في محاربة الدعاة إلى اللّه ، واستئصال الجماعات الإسلاميّة الحركيّة التي تنادي بحاكميّة الإسلام ، وعودة الدولة الإسلاميّة .. وتتّخذ كلّ الأساليب والوسائل في قمعها ، والقضاء عليها ..

ومن أعظم هذه الوسائل التي ينتهجونها في المحاربة والتعامل **وسيلة الاتهام ، وأسلوب التشهير** ، (وقد سبق أن ذكرنا في **عامل الطابور الخامس في محاربة الدعاة**) أن اتّهام الحركات الإسلاميّة ، والتّشهير بها متنوّع متعدّد : فحينًا تتّهمهم بالتآمر على نظام الحكم ، وأحيانًا تنسب إليهم الغلوّ في الدين والتطرّف ، وتارة تتّهمهم بالعمالة للأجنبي ، وأخرى تُلصق بهم تهمة الجرائم والإفساد في الأرض ، كلّ ذلك من أجل أن تتخذ المبرّرات ، والحجج لاعتقالهم أو لإعدامهم ، أو للتجريد من وظائفهم ، أو لنفيهم عن أوطانهم !! .

[**والغرض من هذا كلّه** هو استئصال حركتهم ، وشلّ نشاطهم ، وكتم أنفاسهم ، وإخماد دعوتهم .. حتى لا يرتفع لهم رأس ، ولا تقوم لهم في بلاد الإسلام قائمة !!] [1] وكثيرٌ من رجال الإصلاح ، والدعاة الكبار ، والعلماء الغيورين .. لا ينكرون أن الحكومات اللادينيّة في العالم الإسلامي تقف دائمًا من أيّ جماعة إسلاميّة حركيّة لها شباب وأتباع ، ومناهج وأهداف ، وخطوات ومراحل .. موقف الكيد والمعاداة والمحاربة ، ولكن الّذي ينكرونه أن يقف شباب هذه الجماعات أمام ضغط الحكومات موقف الاستخذاء والاستسلام ، أو موقف المجابهة والمناهضة !! ..

---

(1) من كتاب « الشباب المسلم في مواجهة التحدّيات » للمؤلف في فصل « تحديّ الحكومات العلمانية » مع بعض التصرّف .

أن يقفوا موقف الاستخذاء والاستسلام ، وذلك بإصابتهم بأحوال من الذعر والخوف ، والعزلة والانطوائيّة .. خشية تعرّضهم لبطش هذه الحكومات وتنكيلها ، ومخافة وقوعهم في حبائل سجنها واضطهادها !!.

وأن يقفوا موقف المجابهة والمناهضة ، وذلك في سلوكهم طرق المقاومة وهم في أول الطريق ، وفي انتهاجهم سبُل المحاربة وهم لم يُسْتَكْمَلُوا بعد عددًا ولا عدّة !! ..

فعقلاء العاملين للإسلام يستنكرون هذا وذاك ، يستنكرون من الشباب استخذاءهم وتساقطهم .. ويستنكرون منهم مجابهتهم ومناوأتهم .. بل يطالبونهم دائمًا أن يكونوا منضبطين متعقّلين مطيعين .. لا يتجاوزون مرحلة هم فيها إلى غيرها إلا بعد استكمالها ، ولا يتحرّكون إلا بناءً على تنفيذ ورقة عمل يسيرون على موجبها ، ولا يتصرّفون في أمر ذي خطورة وذي بال إلا بأمر من الجماعة التي انتموا إليها ...

وفي ذلك – فيما يستنكرون ويطالبون – مصلحة الدعوة ، وإحكام للخطّة ، وتنفيذ للمرحلة ، وانضباط في صفّ الجماعة ، واستكمال للإعداد ، والسير بالعمل الإسلامي بحكمة وتعقُّل وموضوعيّة ، وتحرّر من الحماس والاندفاع والتهوّر ، وفي الوقت نفسه انسلاخ من مؤثرات الجبن والخوف والاستخذاء !! ..

فإذا كان الشباب الدعويّ بين طرفي نقيض في مواقفهم أمام ضغط الحكومات اللادينيّة في كيدها ومعاداتها ومحاربتها : بين موقفٍ مستخذٍ ومُسْتَسْلم وخائف .. وبين موقفٍ مجابهٍ ومناهضٍ ومتهوّر .. فما هو علاج هذا ؟ وما هو علاج ذاك ؟

وسوف نفصّل إن شاء اللّه في علاج هذين الموقفين المتضادّيْن المتناقضين في شباب الإسلام ولاسيما الذين ارتبطوا بالدعوة الإسلامية منهم ، وحملوا إلى الناس لواءها ..

*** أما علاج الاستخذاء والاستسلام :**

1 - فقد ذكرنا مرارًا وتكرارًا في عقبة « **المؤثّرات النفسيّة** » التي تعترض الدعاة أنّ الإسلام بنى حقيقة التوحيد على الإيمان باللّه ، والرضى بقضائه وقدره ، والاستسلام لحكمه وأمره .. وأن ما يصيب الإنسان من مصائب لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه منها لم يكن ليُصيبه ، وأن الأمّة لو اجتمعت على أن تنفعه بشيء لم تنفعه إلا بشيء قد كتبه اللّه له ، وإن اجتمعت على أن تضرّه بشيء (لم تضرّه إلا بشيء) قد كتبه

اللّه عليه . وأن مما قرّره القرآن الكريم في محكم آياته :

- ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (1) .

- ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (2) .

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ (3) .

فإذا كان كلّ شيء في الحياة يجري للإنسان بقضاء وقدر .. وإذا كان كلّ ما يصيبه مكتوبًا له ، ومقسومًا عليه .. وإذا كان كلّ ما نزل بساحته وابتُلي به ردّه إلى خالق القُوى ، ومقدّر الأقدار .. فلماذا يستخذي المؤمن أمام الأحداث وينهار أمامها ؟ ولماذا يخاف من المصائب ويطير قلبه شعاعًا منها ؟ ولماذا يحسب حسابًا للمنايا إذا نشبت عليه أظفارها ؟

فما على الدّاعية الشاب إلا أن يخاطب نفسه بهذه المعاني التي أرادها الشاعر ، كلما حدّثته نفسه أن يهرب من الأحداث ، ويستخذي أمام الجبّارين ، ويفرّ من الأجل المحتوم :

أقول لها وقد طارت شَعَاعًا ... من الأبطال ويحك لن تُراعي
فإنّكِ لو سألتِ بقاء يوم ... على الأجل الذي لك لن تطاعي
فصبرًا في مجال الموت صبرًا ... فما نيل الخلود بمستطاع

وقول الشاعر :

وإذا لم يكن من الموت بدٌّ ... فمن العجز أن تكون جبانًا

2 - ومما ذكرناه في أكثر من موضع من هذا الكتاب ؛ أن المؤمن عندما تنزل بساحته المصيبة ، ويتجلّد أمامها ، ويصبر عليها ، ولا يكترث بها .. فإن اللّه سبحانه يأجره بسببها ، ويحطّ من خطاياه بالصبر عليها ، ويدخله جنّات النعيم بعد الذي احتسبه منها ..

● **أما أن اللّه يأجره بالصبر عليها** فلقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم :

(1) سورة التوبة الآية : 51 . (2) سورة الحديد الآية : 22 . (3) سورة البقرة الآيات : 155 - 156 .

« عجبًا لأمر المؤمن إنّ أمره كلّه خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إذا أصابته سرّاء شكر فكان خيرًا له ، وإذا أصابته ضرّاء صبر فكان خيرًا له »[1] .

ولقوله جلّ جلاله : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾[2] .

ولقول عمر الفاروق رضي الله عنه : « ما أصبتُ بمصيبة إلا وحمدتُ الله لثلاثة أمور : إنّها لم تكن مصيبة بالدّين ، وإنها لم تكن أعظم مما كانت ، وإني أحتسب الأجر بالصبر عليها » .

وأما أن الله يكفّر من خطاياه ، ويُدخله الجنّة بالتجلّد أمامها فلقوله سبحانه : ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴾[3] .

فما على الشابّ الداعية إلا أن يعلم حقيقة التجلّد على المصيبة والصبر عليها ، وما أعدّ الله للمتجلّدين الصابرين من مثوبة وأجر ، وتكفير للخطايا ، وجنّات عدن في مقعد صدق عند مليك مقتدر .. حتى يصبر على ما أصابه ، وحتى يتجلّد أمام الأحداث ، وحتى يتحلّى دائمًا بالإيمان الرّاسخ ، والعزيمة الصّادقة دون أن تقعده مصيبة ، ودون أن يستخذي أمام طاغية ، ودون أن يعتريه سقوط .

3 - وعلى الداعية أن يعلم أن من خصائص الرجولة في الإسلام ؛ أن الرجل الحقيقي الذي نشأ على التزام المنهج الرّباني ، وتربّى على معاني الإيمان بالله .. فإنّه لا يتساهل في عبادة ، ولا يخيس بعهد ، ولا ينهزم من مصيبة ، ولا يستسلم لطغيان ، ولا يميل إلى دنيا ، ولا يتأثّر بإغراء . وهذه المواصفات الرجوليّة ، والمعاني الإيمانيّة .. هي ما تتّفق مع تربية القرآن ، وتكوين الإسلام للإنسان :

– قال تعالى : ﴿ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾[4] .

– وقال سبحانه : ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن

---

(1) صحيح مسلم كتاب الزهد ب (13) رقم (64) .
(2) سورة البقرة الآيات : 155 - 157 .
(3) سورة آل عمران الآية : 195 .
(4) سورة النور الآية : 37 .

قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾ [1] .

– وقال جلّ جلاله : ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [2] .

إلى غير ذلك من هذه الآيات القرآنية التي تكشف عن معادن الرجال ، وتُظهر خصائص الأبطال ، وتفصح عن أناس ساروا في طريق الجهاد ، والدعوة إلى اللّه .. فما وهنوا لما أصابهم في سبيل اللّه وما ضعفوا وما استكانوا .. حتى حقّقوا لدينهم الحاكميّة ، ولأمّتهم السّيادة ، ولبلادهم الكيان العظيم ..

فما على الشابّ الداعية إلا أن يتحلّى بخصائص الرجولة ، ومواصفات البطولة ، وخصال الصمود والثبات .. حتى إذا ركب صهوة الجهاد ، وتابع مسيرة الدعوة ، وخاض معمعة الإصلاح .. كان رجلاً بحق ، وبطلاً بصدق .. صابرًا على محن الأيّام .. محتسبًا ما أصابه الأجر من اللّه .. لا يصيبه وهن ، ولا يعتريه ضعف ، ولا تنتابه استكانة ..

فعلاج الاستخذاء والاستسلام أمام تحدّيات الحكومات اللادينيّة في بعض النّفوس الضّعيفة إذن هو كما يلي :

● أن يعمّق الداعية في نفسه حقيقة الإيمان باللّه ، وعقيدة القضاء والقدر .. ليقابل الاستخذاء بالعزيمة ، والاستسلام بالجراءة ، والقعود بالعمل ، والمصيبة بالصبر ..

● أن يوقن أنّ اللّه سبحانه يُؤْجِرُه بالصبر على ما أصابه ، ويكفّر من خطاياه ويدخله جنّات عدن في مقعد صدق عند مليك مقتدر ..

● أن يعلم أنّه إذا ابتسم للمصائب ، وتجلّد أمام الأحداث ، وبقي محافظًا على العهد .. فإنّه يكون قد تحلّى بالرجولة ، واتّصف بالبطولة ، وسار قدُمًا في طريق الدعوة والجهاد ..

ألا فليعالج الدعاة نفوسهم بهذه المعاني الإيجابيّة ، والخصائص الإيمانيّة .. إذا اعتراهم ضعف بشري ، أو وقعوا في حبائل الاستخذاء والاستسلام ؟

وفي ذلك تربيةٌ لنفوسهم ، وقوّة لإيمانهم ، ودفع لمسيرتهم ، وتجديد للحفاظ على عهدهم .. ويظلّون على ذلك إلى أن يأذن اللّه لهم بالنصر ، أو أن يَقْضُوا بعد أن سلّموا راية العمل الإسلامي إلى الأجيال التي سوف تأتي بعدهم حتى تتابع المسيرة

(1) سورة الأحزاب الآية : 23 .
(2) سورة التوبة الآية : 108 .

إلى النّصر على درب الدعوة والجهاد .

* **وأمّا علاج المجابهة والتهوّر في العاملين الشباب :**

فأريد قبل أن أذكر خطوات هذه المعالجة أن أهمس في أذن الشّباب المسلم المتحمّس المندفع .. هذه الحقيقة : (ينبغي أن نميّز بين **طبيعة جماعة** التقت على الإسلام والدعوة إلى اللّه في مجتمع جاهليّ يعتنق حكّامه الفكر اللاديني ، ويلاحقون الدّعاة ، وينكّلون بهم ، ويكتمون أنفاسهم .. وبين **طبيعة مجتمع** دان أبناؤه للإسلام ، وأعطوا البيعة للأمير ، وتربّوا على العقيدة ، ومبادئ التربية الفاضلة ، وهم ينتظرون لحظة الحسم لإقامة دولة الإسلام ..

فيمكن أن نقول : إن وضع الجماعة الإسلاميّة في مجتمع جاهليّ كالجماعة المؤمنة التي كان يقودها النبي ﷺ في الفترة المكّية ..

وإنّ وضع المجتمع الذي دان أبناؤه للإسلام .. كوضع المجتمع الذي كان يقوده النّبي صلوات اللّه وسلامه عليه في الفترة المدنيّة ..

وإذا اتّضح هذا فينبغي أن نفرّق بين مواجهة مجتمع لمجتمع ، وبين مواجهة جماعة لمجتمع . **الجماعة في المجتمع** مهما كانت قويّة في العدد والعدّة لا تستطيع أن تواجه مجتمعًا ضخمًا بحكّامه ونظامه ، وعتاده وسلاحه ، وطغيانه وعنفوانه ..

أما المجتمع إذا دان أفراده جميعًا للإسلام ، وتحسّس في سائر فئاته معنى التغيير ، وأعطى البيعة على العمل والجهاد للأمير .. فإنّه يستطيع أن يواجه حكمًا ، ويغيّر نظامًا ، ويقيم دولة ، ويحكم بشريعة اللّه ..

وتطبيقًا لهذا المبدأ : فإن الرسول ﷺ لم يوافق بعض الأنصار في بيعة العقبة الثانية **عندما استأذنوه في أن يميلوا على أهل منى بأسيافهم** ، وذلك بعد أن فهموا أن البيعة على حرب الأحمر والأسود .

جاء في كتاب « إمتاع الأسماع » ص : 37 : « وكانت هذه البيعة على حرب الأحمر والأسود فلما تمّت بيعتهم استأذنوا رسول اللّه ﷺ في أن يميلوا على أهل منى بأسيافهم ، فقال عليه الصلاة السلام : « **لم نؤمر بذلك** » ، فرجعوا وعادوا إلى المدينة ا هـ .

ولو كان هدف الدعوة في المرحلة المكّية مجرّد استئصال رؤوس الكفر والشرك

لأَمَرَ رسول اللّه ﷺ أتْباعَه بقتلهم واستئصالهم !!..

ولو كان الهدف من الدّخول في الإسلام أن يقحم المسلم نفسه في ميدان الاستشهاد في سبيل اللّه لنفّذ النّبي صلوات اللّه وسلامه عليه هذا الهدف عندما تمّت البيعة له وهم في طور الجماعة !!..

أما المرحلة المدنيّة : فإنها تختلف كل الاختلاف عن المرحلة المكّية ، ففي المرحلة المدنيّة دخل الإسلام كلّ بيت ، وكلّ حيّ ، وكلّ قبيلة .. فإذا المدينة وما فيها من شيب وشبّان ، ورجال ونساء ، وكبار وصغار .. قد أعطت بيعتها وولاءها للرسول ﷺ .

ومن هنا ندرك **سرّ مشروعيّة الإسلام للقتال في مجتمع المدينة** ، وذلك حين أصبح للمسلمين دولة وكيان ، وقوّة وسلطان ، بقيادة النبيّ صلوات الله وسلامه عليه .. ولا عجب أن نرى النّبي ﷺ في المرحلة المدنيّة – بعد أن أذن اللّه له بالجهاد – أن يستأصل شأفة الشرك والوثنيّة في الجزيرة العربيّة كلّها ، وأن يجعل العبوديّة للّه وحده ، والحاكميّة لشريعة الإسلام ..

ومن هنا نعلم :

أنّ ما فعله النّبي ﷺ في الفترة المكية ، ثم ما فعله في المرحلة المدنيّة **هو القدوة العمليّة** للدّعاة ، ولكلّ من يسير في طريق العمل الإسلامي ..

فلا يجوز للعاملين للإسلام شرعًا – وهم في مرحلة الضعف والإعداد – أن يلجؤوا إلى استخدام القوّة حتى لا يتعرّضوا لحرب الإبادة ، ومحنة التّنكيل والاضطهاد !!. أما حين يقوى عودهم ، وتمتدّ قاعدتهم ، وتصل ثمرة سعيهم كلّ بيت ، وكلّ حيّ ، وكلّ قرية ، وكلّ بلد ، وكل فئة من الأمّة .. فيجوز لهم شرعًا وعقلاً أن يسيروا في طريق العمل المركّز ليصلوا في نهاية المطاف إلى استئصال شأفة الكفر والإلحاد وإزالة حكم الطواغيت في بلاد الإسلام ، وإقامة حكم اللّه في الأرض !!

لاشكّ أنّ للواقع الذي يعيشه المسلمون تحت سيطرة الحكم اللاديني تأثيرًا كبيرًا على اتّزانهم ، ومرحليّة دعوتهم .. وأحيانًا يصل ضغط الواقع ، وتحدّي السلطة إلى درجة يفقد المسلم معها قدرته على ممارسة الخطّ المنهجي ، ومنطقيّة مرحليّة الدعوة ..

وهنا يتساءل الشباب : إلى متى نبقى تحت ضغط السّلطة ؟ إلى متى نظلّ تحت

وطأة الظّلم والتحدّي ؟ إلى متى نسكت على مخطّطات أعداء الإسلام في محاربة الإسلام وأهله ؟ إلى متى ؟ .. إلى متى ؟ .. أليس هناك شيء غير الصبر والمصابرة ؟ أليس هناك عمل يستأصل هذا الواقع المرير ؟

وعندما يجيب الشباب الدعوي المتحمّس المتعجّل للنّصر على هذه التساؤلات بقولهم : إنّ الحلّ العملي للتخلّص من هذا كلّه هو حمل السلاح ، ومواجهة الطغاة ، واستئصال الكفر والإلحاد ..

فهذا هو الاندفاع غير الواعي بعينه ، والتهوّر اللامصلحي بذاته ..

والأقبح من ذلك أن ينجرّ معهم ، وينساق في تيّارهم المربي ، والموجّه ، والقائد ، والمفكّر .

بل يفقد هؤلاء قدرتهم على السيطرة على زمام الشباب ، والحدّ من عنفهم وغُلُوائهم ..

هذا – ولاشك – مجاراة خَطِرَة ، واستجابة متهوّرة .. يدركون فيما بعد مغبّتها ونتائجها ، ويتعقّلون في المستقبل أضرارها وأخطارها .. وكم يعضّون أيديهم ندمًا حين يرون الحالة المخزية المؤلمة التي أصابت الدعوة والدعاة ، ودمّرت البلاد والعباد ؟!!.

إن القائد الذي تولّى مسؤوليّة الدّعوة حين ينساق في تيار الانفعال المتهوّر ، ويسير في طريق المجابهة المهلكة .. مسؤول أمام اللّه ، وأمام التاريخ ، وأمام الأجيال .. عن نتائج الحماس والتعجّل أكثر من المتهوّرين والمتعجّلين ، ولا سيما إذا كانت النتائج خراب مدن ، وقتل رجال ، وتيتيم أطفال ، وترميل نساء ، وانتهاك أعراض ، وسلب أموال ، وتشريد أُسَر .. فالمسؤوليّة – ولاشك – كبيرة ، والمحاسبة أليمة ، والحساب عسير !!..

إن أعداء الإسلام يطمعون كلّ الطّمع في أن تخرج الجماعة الإسلامية عن خطّها ، وتفقد سيطرتها وتوازنها .. فتتحمّس للجهاد ، وتستعجل النصر ، وتقف موقف المجابهة .. فتتّخذ الحكومات اللادينيّة من ذلك ذريعة تنتهي بالبطش والتّنكيل بالعاملين للإسلام ، وسحقهم ، واستئصال دعوتهم .. عدا عن جانب النّتائج السلبيّة التي يتركها التهوّر والتعجّل .. على مصير الجماعة ، وتحقيق أهدافها ، وتفشيل خططها ، والقضاء على مستقبلها !!..

نعم ، إن ضغط الواقع ، وتحكُّم الطغاة .. ينبغي أن لا يسوق الحركة الإسلاميّة ، أو بعض المتعجّلين من شبابها إلى المصير المؤلم ، والنتيجة المرّة ، ومهما طال انتظار

الحلّ المركّز والمراحل الإيجابيّة في الوصول إلى النّصر .. فإنه في الحقيقة هو عين الصواب والحكمة ، وطول الزمن لا يفقد الحلّ الصحيح المركّز أهمّيته وإيجابيّته ؛ وقصر الزمن ، واستبداد الطغاة لا يعطي العمل المتهوّر المدمّر صفة الحقّ والصّواب !!..

إن العمل المركّز ، والمراحل الإيجابيّة في صعيد العمل الإسلامي مع المعاناة والشدّة ، وضغط الواقع والصّبر والمصابرة على طريق المحنة ، والسير في مجالات التبليغ والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وحشد الطاقات في كافّة طبقات الشّعب وفئاته وأفراده .. هو من أعظم ما ينبغي أن تحرص عليه الحركة الإسلاميّة في شتّى البلاد ، وسائر الأقطار في العصر الحديث ..

وهو الذي يُوجِدُ في الأمّة القاعدة الشعبيّة الصّلبة التي على يديها يقوم بناء الدّولة الإسلاميّة ، وبجهودها يتحقّق للشعوب المسلمة عزّ الإسلام !!..

وحين يصل المسلمون إلى **مرحلة إيجاد القاعدة الشعبيّة الصُّلبة** ، وتمتدّ حركتهم في الجموع الزّاخرة من أبناء الأمة الإسلامية ، وتتغلغل في الشعوب المؤمنة في كل مكان فعندئذٍ تأتي **مرحلة التّنفيذ ولحظة الحسم** .. ولاشكّ أن الأمة الإسلامية ، في هذه المرحلة ستدفع الثمن غاليًا من الضحايا والدّماء والأشلاء .. بل في هذه المرحلة يُشرع الجهاد ، وتحلو الفدائيّة ، ويطيب الاستشهاد .. ولكن سوف يجد المسلمون ثمرة جهادهم وفدائيّتهم واستشهادهم .. ويفرحون بنصر اللّه ، وعزّة الإسلام .

أما أن يخوض شباب الدعوة المعارك بلا هدف ، ويتطلّعون إلى الشّهادة بلا غاية ، ويسقطوا في ميادين الشّرف بلا ثمن .. فهذا – واللّه – هو التهوّر بعينه ، والدّمار بذاته ، ونسف الحركة الإسلامية من قواعدها ، واستئصال مسيرة الدعوة الإسلاميّة من أرض الإسلام ، والتمكين لقوى البغي والعدوان أن تعيث في المسلمين بغيًا وفسادًا !!..

ألا فليسمع شباب الإسلام هذه الهمسة ، ولْيُحْكِموا سفينة الدعوة ، وليُحِدُّوا من غُلُواء الاندفاع والتهوّر ، وليعرفوا كيف يبدأون وينتهون ؟ واللّه سبحانه لن يَتِرَهم أعمالهم ، ولن يضيّع جهودهم ، ولن يخيّب مسعاهم .. وهو معهم إن أخلصوا النيّة ، وأحكموا سير السفينة ، وأخذوا بالأسباب ..) ا هـ [1] .

---

(1) من كتاب « الشباب المسلم في مواجهة التحدّيات » فصل : « تحدّيات الحكومات العلمانية » ص : 275 - 281 للمؤلف مع بعض التصرّف .

بعد هذه الهمسة النّاصحة الخالصة لشباب الدعوة في مواجهة الحكم اللاديني في المجتمعات الإسلاميّة نعرّج إلى ذكر الحلول الإيجابية في العمل المركّز للوصول إلى درب الدعوة إلى إقامة حكم إسلاميّ ، ووحدة إسلاميّة شاملة .. وعلى اللّه قصد السبيل ، ومنه نستمدّ العون والتوفيق .

خطوات الحلول في العمل المركّز هي كما يلي [1] :

1 - إيجاد الجبهة الإسلاميّة الواحدة .

2 - التّركيز على التّربية والإعداد .

3 - الانطلاق في مضمار التوعية .

4 - العمل على تكثير القاعدة .

5 - التدبير المحكم للوصول إلى النّصر .

وكثيرًا ما تسير هذه الخطوات الإيجابيّة جنبًا إلى جنب نظرًا لتنويع العمل ، وتوزيع المهامّ ، وتنسيق الجهود ، ومصلحة الدعوة .. ففئة من الدعاة تعرّف وتوعّي وتدعو .. وأخرى تربّي وتعلّم وتكوّن .. وثالثة تؤلّف وتجمع وتوحّد .. ورابعة تخطّط وتنسّق وتواصل .. وهكذا تقوم كلّ فئة بدورها واختصاصها إلى أن يصل الجميع إلى النصر المؤزّر ، والعزّ الإسلامي المبين .

وسوف نأتي على ذكر هذه الخطوات في العمل المركّز واحدة بعد واحدة مع شيء من الشرح والإيضاح ، واللّه المستعان وعليه التّكلان :

1 - إيجاد الجبهة الإسلاميّة الواحدة :

من أهمّ خطوات العمل المركّز الهادف إيجاد الجبهة الإسلامية الواحدة في المسلمين .. **وأقصد بالجبهة الإسلامية** أن يلتقي العاملون المخلصون من رجالات الدعوة والعلم والإصلاح على صعيد العمل الإسلامي ، ويكوّنوا فيما بينهم قيادة جماعيّة واحدة لها مجلس وأمير ، فمن أولى مهماتها وضع ورقة عمل إيجابيّة ذات مراحل وأهداف ، حتى إذا انتهت من مرحلة بدأت بأخرى ، وهكذا تواصل وتسير .. حتى تصل إلى الهدف الأكبر في إقامة دولة الإسلام . وتكوين هذه الجبهة الواحدة في أمّة الإسلام ضرورة حتميّة ، وفريضة شرعيّة للأدلة التالية :

(1) من نفس المصدر ، ونفس الفصل مع التصرّف .

أ – لأمر الرسول ﷺ في التزام الجماعة وتأمير الأمير :

روى الطبراني بإسناد حسن عن ابن مسعود – رضي اللّه عنه – عنه ﷺ : « إذا كنتم ثلاثة فأمِّروا أحدكم »[1] .

وروى الترمذي وابن المبارك عن ابن عمر عنه عليه الصلاة والسلام : « .. عليكم بالجماعة ، وإياكم والفرقة ؛ فإن الشيطان مع الواحد ، وهو مع الاثنين أبعد ، من أراد بحبوحة الجنّة فليلزم الجماعة »[2] .

ومن توجيهاته صلوات اللّه وسلامه عليه لحذيفة – كما روى البخاري – : « تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم » .

ب – لأمر القرآن الكريم بالوحدة والاعتصام بحبل اللّه وتكوين الحزب الواحد :

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ .. ﴾[3] .

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[4] .

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[5] .

جـ – للقاعدة التي تقول : « ما لا يتحقق الواجب إلا به فهو واجب » :

إن بلاد الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها يجب أن تكون محرّرة صافية إلا من مسلم صادق ، أو ذمّي معاهد ، وما عداهم من مرتدّين ، أوملحدين ، أو باطنيّين ، أو شيوعيّين ، أو ماسونيّين ، أو مبستعمرين ، أو صهيونيّين .. فلا يصحّ أبدًا أن يقرّ لهم في بلاد الإسلام قرار ، ويكون لهم فيها وجود واستقرار ..

وهذا لا يتأتّى إلا أن يستشعر الجيل المسلم في العصر الحديث معنى الواجب الذي كلّفه الشرع به ، ويتفهّم معنى المسؤوليّة التي حمّله الإسلام إيّاها .

فإقامة حكم اللّه في الأرض هو من أقدس الواجبات ، وتحرير بلاد الإسلام من الكفر والانحلال والاحتلال .. هو من أعظم المسؤوليّات ، واسترجاع الوحدة الإسلامية تحت إمرة واحدة هو من أعزّ الأمنيات .. وهذا معنى قول الأصوليّين ، وفقهاء الإسلام : « ما لا يتحقّق الواجب إلا به فهو واجب » .

(1) معجم الطبراني (5 / 89) ، والنص للزين العراقي في المغني عن حمل الأسفار (2 / 351) .
(2) سنن الترمذي (2165) ، وانظر كنز العمال (32488) .
(3) سورة آل عمران الآية : 10 . (4) سورة الأنبياء الآية : 92 . (5) سورة المائدة الآية : 56 .

فمن هذه النصوص يتبيّن :

أنه يجب على المسلمين في جميع الأقطاع والأقطار أن ينتخبوا فيما بينهم أميرًا ، وأن تعينه في أداء مهمته قيادة ، وأن يحرص الجميع على تكوين الجماعة ، لها في كلّ بلد فروع ، وفي كلّ أمّة امتداد .. لتستطيع الجماعة بامتدادها وفروعها أن تصل إلى غايتها ، وتُزيل العوائق التي تعترض طريقها .. لأن معظم تكاليف هذا الدّين جماعيّة ؛ والمسلم مهما كانت مرتبته لا يستطيع أن ينهض بها بنفسه ، ولا أن يمارسها بمفرده .. فاللّه مع الجماعة ، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية .

فالخطوة الأولى في العمل الدعوي المركّز إذن – أيها الإخوة الدّعاة – هو إيجاد الجبهة الإسلامية الواحدة بأميرها وقيادتها وفروعها .. في المجتمع الإسلامي .. فبالقيادة وجماعتها ورجالها يواجه المسلمون الحكم العلماني في بلاد الإسلام ، وبسببها يصلون – بعون اللّه – إلى النصر الأكبر في إقامة عزّة سامقة ، ودولة ممتدّة واسعة ، ومجد مؤثّل عظيم .

2 - **التّركيز على التربية والإعداد :**

الأصل في هذا التركيز قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [1] .

ويدخل في مفهوم هذه الآية كلّ ما يحتمله لفظ الإعداد من وسائل عمليّة ، ومراحل إيجابيّة .. في تكوين الجيل المسلم تربويًا وجسميًا ، وإعداد الأمّة الإسلاميّة روحيًا وماديًا .. وكلّ ما يؤهّل الأفراد والجماعات ، والخاصّة والعامّة .. في بناء الشخصيّة الإسلاميّة .. وإبداع الحضارة الإنسانيّة ، ومواجهة الحكم العلماني ، وحمل رسالة الإسلام ..

فبناءً على ما ذكرنا يدخل في مفهوم التّربية والإعداد الذي نحن بصدده :

– تغذية الأرواح بالإيمان الراسخ ، والعبادة الربّانية الخالصة ، وتلاوة القرآن الكريم الخاشعة ، وتعميق الرّقابة الإلهية الدائمة ..

– تزويد العقول بالعلوم الإنسانية النّافعة ، والثّقافة الإسلاميّة الشاملة ، والخبرات الواقعيّة الواعية ، والإبداعات الحضاريّة الهادفة البنّاءة ..

– تدريب الأجسام المسلمة على معاني القوّة ، ومبادئ الفتوّة ، ووسائل الصبر

(1) سورة الأنفال الآية : 60 .

والمصابرة على الجهاد ..

– بناء الشخصيّة الإسلاميّة على أساس الالتزام الكامل لمنهج الإسلام ، وتربية القرآن في تقويم الأخلاق والسّلوك والعادات ..

– تعويد النفوس المستعلية ، وأحيانًا المتمرّدة على الانضباط والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وكلّ أمر فيه مصلحة الدعوة والإسلام ..

ربط الشّباب المسلم بالجبهة الإسلامية الواحدة ، يَمْتُثِلُ لأوامرها ، ويعمل بنصائحها وتوجيهاتها ، وينسّق معها في كل ما يحقّق للجبهة أهدافها ، وللشعوب المتنوّعة وحدتها ، وللأمّة الإسلامية الواحدة عزّتها وكيانها ..

إلى غير ذلك من هذه التّربية الفاضلة ، والإعداد الشامل في بناء جيل الإسلام ، وتكوين شخصيّة الشباب في المجتمعات الإسلاميّة في كلّ مكان ..

والذي أريد أن ألفت أنظار المربّين والدعاة والعلماء إليه أن يكون تركيزَهم في التربية والإعداد على ثلاثة أمور هامّة :

الأول : التربية الرّوحية .

الثاني : التربية النفسيّة .

الثالث : التربية على الجنديّة .

وحين نتكلّم عن باقي العقبات التي تعترض الدعاة فسوف نتكلّم بالتفصيل عن هذه الأمور التربويّة الثلاثة في تكوين الدعاة وإعدادهم تحت عنوان : « **الأسباب التربويّة** » فأستودعك اللّه – أخي الداعية – إلى أن ألتقي معك في موعد قريب إن شاء اللّه .

3 - الانطلاق في مضمار التّوعية :

فبعد تكوين الجبهة الإسلامية الواحدة بأميرها وقيادتها وفروعها في بلاد الإسلام ، وبعد التّركيز على تربية الجيل المسلم ، وإعداد الشباب في المجتمعات الإسلاميّة في كلّ مكان ، تأتي **الخطوة الثالثة** في مواجهة الحكم اللّاديني ، والعمل الدائب لإقامة حاكميّة الإسلام .. هذه الخطوة تتركّز في ظاهرة التّوعية والتّبليغ في الشعوب الإسلاميّة لإعطائها التصوّر الصحيح عن فكرة الإسلام الكلّية في الكون والحياة والإنسان ، وفي ظاهرة الإنقاذ عمّا تعانيه من وطأة الظلم والاستبداد ، وعما تتخبّط

فيه في مستنقعات الإلحاد ، وظلمات المادة ، وأوحال الفسوق والعصيان !!

ولكن ماذا يجب على الدعاة أن يعرفوه قبل القيام بدورهم في التبليغ والدعوة ؟

عليهم أن يعرفوا عالمهم الذي يعيشون فيه ، وما يقوم عليه من نظم ، وما يسوده من مذاهب ، وما يحرّكه من عوامل ، وما يصطرع فيه من قُوى ، وما يجري فيه من تيّارات ، وما يعاني من متاعب ، **وبخاصة وطنهم الإسلاميّ الكبير** بآلامه وآماله ، وأفراحه ، وأحزانه ، ومصادر قوّته وعوامل ضعفه .. وبعد ذلك **وطنه الصغير وبيئته المحلّية** ، وما يسودها من أوضاع وتقاليد ، وما تقاسيه من صراع ومشكلات ، وما يشغل أهله من قضايا وأفكار ، وما يصبو إليه من عزّة وأمجاد ، وما يستهدفه من علم وحضارة ..

إن الداعية الواعي الحصيف لا ينجح في توعيته مالم يعرف مَنْ يدعوهم ؟ ولماذا يدعوهم ؟ وكيف يدعوهم ؟ وماذا يقدّم من الأهمّ على المهمّ ؟ وما هي الوسائل في الأفكار الزائغة ؟ وما هي مخطّطات الغزو الفكري من الداخل عن طريق العملاء وعبيد الفكر الغربي أو الشرقي ؟ وما هو واقع الفرق المنشقّة عن الإسلام في أرض الإسلام كالقاديانيّة ، والبهائيّة ، والإسماعيليّة ، والنصيريّة ، والدرزيّة ، وغيرها من الفرق الباطنيّة ؟ وما هي أوضاع التيّارات الفكريّة المعارضة للإسلام مثل التيّار الاشتراكي والماركسي ، والليبرالي [1] ، والقومي ، والرأسمالي ، وغيرها ..؟

فالدّاعية الموفّق المتبصّر هو الذي يحيط بواقعه إحاطة شاملة قبل أن يوعّي غيره ويبلّغ ، وهو الذي يتعرّف على أوضاع العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه قبل أن يدعو أمّته ويوجّه .. الداعية إذا قام بدوره هذا على الوجه الأمثل فإنّ الاستجابة له تكون أبلغ ، والتأثر بكلامه يكون أعظم ، والثقة بشخصه تكون أكبر ، والنجاح في أداء مهمته ورسالته يكون أسمى وأفضل ..

ثم ماذا عن فضل الدعاة في انطلاقتهم في ميدان التوعية والإصلاح ؟

مما ذكرناه في فصل « **فضل الدّعوة والداعية** » من سلسلة « مدرسة الدعاة » أن الدعاة هم من خير الناس ، وأنهم الشّهداء على الأمم ، وأنّهم في منزلة من أعلى المنازل ، وأنّهم ورّاث النبوّة ، وأنّ أهل السماء والأرض يستغفرون لهم ، وأنّ طاعتهم بعد طاعة اللّه ورسوله ، وأنّ أجورهم لا تنقطع ولا تنتهي ، وأن هداية رجل واحد على

(1) التيار الليبرالي هو تيار استعماري النظرة والفكرة والهدف .. وهو موالٍ للمعسكر الغربي .

أيديهم خير لهم من حُمْرِ النَّعَم ، وأنّهم في الهدى كنجوم السماء في الظّلمات ..

ولقد استشهدنا من القرآن والسنّة ما يميّزهم في هذا الفضل ، وما ينالهم من ذلك الأجر ، فارجع – أخي الداعية – إلى الفصل المذكور تجد إن شاء اللّه ما يشفي الغليل .

فإذا كان الدعاة بهاتيك الفضائل والمنازل والأجر .. فما على الشباب الذين انتظموا في سلك الدعوة ، وأعطوا ولاءهم للجماعة المسلمة أن يؤدّوا الرّسالة ، ويبلّغوا الأمانة ، وينصحوا الأمّة ، ويَدْعُوا إلى اللّه على هدًى وبصيرة .. عسى أن ترتبط أمّة الإسلام على اختلاف أجناسها وألوانها ولغاتها وفئاتها :

بالإسلام دينًا ودولة ..

وبالقرآن العظيم نظامًا وتشريعًا ..

وبالتّاريخ الإسلامي اعتزازًا واقتداء ..

وبالحضارة الإسلاميّة أخذًا وعطاءً ..

وبالارتباط الدعوي الحركي اندفاعًا وحماسًا ..

فإذا تمّ لهم هذا ، بلغوا أعلى المنازل ، ووصلوا إلى قمّة الفخار ، وحظوا بسعادتيّ الدنيا والآخرة ، وأصبحوا بحق خير أمة أخرجت للناس ..

ثم ماذا عن وسائل التبليغ والتوعية ؟

سبق أن تكلمنا في فصل « **كيف يدعو الداعية ؟** » من فصول سلسلة مدرسة الدعاة عن استعانة الدعاة بوسائل التّبليغ **لتكون الأداة الفعّالة في إيصال الدعوة إلى النّاس ، وفي الوقت نفسه لتُضفي هذه الوسائل على المدعوّين روح التّشويق والتفاعل والحيويّة .. وها نحن أولاء في هذا المجال نأتي على ذكرها إلمامًا واختصارًا للتّبصرة والذكرى :**

من هذه الوسائل وسيلة الجلسة المفتوحة ، فيها تُطرح الأسئلة الهادفة ، ويُعطى التصور الصحيح عن الإسلام ، ويُعالج فيها مشاكل الشباب ، ويُنوّه عن التزام المسلم للإسلام وارتباطه بدعوة اللّه .

من هذه الوسائل **وسيلة الشريط الإسلامي** ، حيث يختار من الأشرطة الدعويّة أعلاها وأقواها ، لبثّ الدعوة في الشّباب ، واستثارة هممهم في حمل رسالة الإسلام ..

من هذه الوسائل نشر **الكتاب الإسلامي** ، حيث يختار من الكتب الفكريّة

والدعويّة والتاريخيّة .. ما هو أفضلها أسلوبًا ، وأحكمها معالجة ، وأمسّها بروح الواقع ، وأهمّها في معالجة قضايا المسلمين .

من هذه الوسائل **وسيلة المحاضرات العامة** ، وذلك بالدّعوة النّشيطة لسماع المدعوّين لمحاضرة داعية تعالج قضايا المسلمين ، أو مشكلات الشباب ، أو قعود الأمة عن العمل في سبيل اللّه ..

وإن نسينا فلا ننسى :

وسيلة نشر المجلّة الإسلامية ، والصّحيفة الدعوية ، والنّشرات الفكريّة .. في أوساط الشباب .

وسيلة الدعوة إلى سماع محاضرات ذكريات الإسلام كذكرى الإسراء والمعراج ، والهجرة النبوية ، وغزوة بدر ، وفتح مكة ، ووقائع القادسيّة واليرموك وحطّين .. لأخذ الدّروس والعبر .

وسيلة إعداد الزيارات والرّحلات والنّزهات .. أيام الجمع والعطل والأعياد ..

وسيلة إحياء الليالي المباركة على مدار العام ، كإحياء ليلة القدر ، وليلة الجمعة ، وليلتي العيد ، وليالي العشر الأواخر من رمضان ..

وسيلة تداول الأناشيد الدّعوية والتّاريخية والإرشاديّة .. التي تحرّك في المسلمين مشاعر الدّعوة ، وتنفخ فيهم روح الجهاد ..

وسيلة المسرحيّات الإسلاميّة ، والتمثيليّات التّاريخيّة .. التي تعالج واقع المسلمين ، وتذكر بالبطولات والأمجاد ، وتدفع إلى التضحية والفداء ..

إلى غير ذلك من هذه الوسائل الدّعويّة ، والطرائق التبليغيّة .. التي تنشر الوعي الإسلامي ، وتربط الشباب بالدعوة ، وتدعو المسلمين إلى التزام منهج الإسلام ، وتعالج مشاكل الأمّة الإسلاميّة وقضاياها في شرق الدنيا وغربها .

ولكنّ المسألة ليست منحصرة فيما ذُكر من هذه الوسائل ، فقد ينقدح في ذهن الداعية من الوسائل الدعويّة ما يحقّق الخير في مجال التوعية والتبليغ ما لم ينقدح في ذهن داعية آخر .. فالمهم أن يفكّر الدعاة ، وأن ينطلق الشباب ، وأن يكون الجميع على مستوى كبير من الاهتمام والمسؤوليّة ، وأن يسيروا على درب الدعوة عازمين متفائلين غير هيّابين ولا متواكلين .. واللّه سبحانه معهم ، يتولاهم ويرعاهم ..

ثم ماذا عن دراسة البيئة ؟

على أيّة فئة دعويّة تدعو إلى اللّه على هدى وبصيرة أن تدرس البيئة التي تدعو

فيها دراسة موضوعيّة مستوعبة ، وأن تعرف مراكز الضلال ، ومواطن الانحراف معرفة شاملة ، وأن تفكّر أيضًا في أسلوب العمل الذي يتّفق مع عقليّة الناس واستعداداتهم ، ويتلاءم مع مستوى تفكيرهم ، ومدى استجابتهم ..

فبلد انتشرت فيه مبادئ شيوعية ، أو مفاهيم علمانيّة ، أو أفكار إباحيّة ، أو نعرات قوميّة .. مثلاً ، وأصبحت عند أهله انحرافات فكريّة ، وضلالات عقيديّة ، ومفاسد خلقيّة .. مثل هذا البلد بالذات تختلف الكتب التي ينبغي أن تنشر فيه ، ونوعيّة المحاضرات التي تحاضر فيه ، وأسلوب المناقشات التي تطرح فيه ، واختيار الموضوعات التي تبحث فيه .. **تختلف كلّيًا** عن بلد فيه باطنيون ، أو فيه نصارى ، أو فيه رأسمالية ، أو فيه نزعة إلى الحرية والديمقراطية .. **وتختلف كليًا** عن بلد فيه مسلمون بالفطرة ولكن الجهل خيّم عليه ، والعصبيّات تحكّمت فيه ، والبدع المخالفة للشرع أثّرت به ..

لابدّ إذن من دراسة مركّزة لأنواع الانحراف والشّذوذ ..

ولابدّ من معرفة شاملة لأحوال المنحرفين والشّاذّين ..

ولابدّ من تخطيط شامل ، وأسلوب مناسب مع هذا أو ذاك ..

ولابدّ من مَسْحٍ كامل للفئات المؤيّدة ، والفئات المعارضة ، والفئات التي تقف على الحياد ..

ولابدّ من مراحل العمل المتواصل الدّائب لتبليغ الدّعوة إلى الناس كافّة ..

ولابدّ من معرفة اللّغة أو اللهجة .. حتى يتكلّم الداعية بلسانهم ، وينطق بلهجاتهم ..

ولابد من الإحاطة بعمق في فهم مشكلات الناس الاجتماعية ، ونزعاتهم الخلقية وأحوالهم النفسية ..

ولابدّ من تقديم الواجب على النفل ، والأهمّ على المهمّ بعد الإحاطة بالمعرفة الواقعيّة ..

ولابدّ من الاطّلاع التام على من يشاركونه في مسؤوليّة التوعية ، وتبليغ الدعوة .. وهل بالإمكان التنسيق معهم ، ووضع خطّة عمل لتنفيذها فيما بينهم ؟

كلّ ذلك ينبغي أن يعرفه رجل الدعوة والتّوعية .. معرفة إحاطة وشمول قبل أن يبدأ بأيّ عمل دعويّ في البيئة التي يريد أن يعمل فيها .. حتى تكون دعوته عن تخطيط وإحكام ودراسة .. في إصابة المرمى ، والوصول إلى الهدف ..) [1] .

---

(1) من فصل « كيف يدعو الداعية » في بحث « دراسة البيئة » مع بعض التصرّف .

فالخطوة الثالثة في العمل الدعوي المركّز إذن :

هي الانطلاقة الكبرى في مضمار الدعوة والتوعية بدراسة للبيئة شاملة ، وبمعرفة للوسائل الدعويّة تامّة ، وبغاية من التماس الفضل والأجر .. سامية ..

فبهذه الانطلاقة الكبرى - إخوتي الدعاة - **تواجهون الحكم اللاديني في بلاد الإسلام ، وتصلون - بعونه تعالى** - إلى النصر المؤزّر ، والفتح المبين .

4 - العمل على تكثير القاعدة :

بعد أن ركّزت الجبهة الإسلاميّة في تكوين أفرادها على التربية والإعداد ، وبعد أن انطلقت في مضمار التوعية والإصلاح .. فمن الطبيعي بعد هذه المراحل أن تركّز كلّ التّركيز **على تكثير القاعدة** ، وذلك بربط الشباب برباط الدعوة ، وانتظام أبناء الأمّة في سلك الجماعة الواحدة .

ولا يمكن أن نقول عن القاعدة إنها كثيرة حتى تتغلغل في أوساط المثقّفين والعمّال والموظّفين والأطبّاء ، والمهندسين وأرباب الأعمال ، والأغنياء والعلماء ، والنّساء والرّجال .. وعلى العموم أن تتغلغل في كلّ البيئات ، وعلى كل المستويات .

ولا يمكن أن نتصوّر أن القاعدة الإسلاميّة صلبة حتى تتولّد لديها العاطفة الإسلامية الصّادقة ، والتفاعل المخلص مع الدعوة ، والعمل في سبيل اللّه .. وحتى تمرّ على مراحل التربية الرّوحية بأسرها ، وتتّصف بالمواصفات النفسيّة بأجمعها ، وتتحلّى بالمكارم الخلقيّة بأكملها ..

ولا يمكن للدّعاة أن يحصدوا إنتاج سعيهم ، ويقطفوا ثمار دعوتهم ، ويصلوا إلى نتائج مرضيّة في تكوين القاعدة الشعبيّة إلا أن يخلصوا في عملهم مع اللّه ، وتكون أفعالهم مطابقة لأقوالهم ، ويتركّز التفاعل مع الدعوة في بؤرة شعورهم بلا تصنّع ولا تكلّف ولا تمثيل ، وأن يكون عندهم الأسلوب الأجدى والأقوم في اجتذاب الناس ، وكسب الأنصار ..

وشتّان بين داعيتين :

الأول : لا يعمل إلا بأجر ، ولا يتحرّك إلا بتوظيف ، ولا ينطلق للعمل الإسلامي إلا إذا تحصّلت له مصلحة مادّية ، أو منفعة دنيويّة ..

الثاني : حين يتحرّك للدعوة لا يتحرّك إلا من ذاته ، وحين ينطلق في سبيلها لا ينطلق إلا بوحي من صدقه وإخلاصه ، وحين يعمل للإسلام لا يشترط الأجر ،

ولا يبغي الجزاء ولا الشّكور ، وإنما يعمل للّه ، وفي سبيل اللّه ، وابتغاء مرضاة اللّه .

لاشك أن **تأثير الثاني** في الناس أبلغ ، واهتمامه للدعوة أكبر ، وتفاعله مع العمل الإسلامي أسمى وأعظم ، والثّمرات التي يصل إليها أجدى وأفضل ..

قال عمر بن ذرّ لأبيه يومًا : يا أبت مالك إذا تكلّمت أبكيت الناس ، وإذا تكلّم غيرك لم يُبكهم ؟!!

فقال ذرّ : يا بنيّ ليست النائحة الثّكلى كالنائحة المستأجرة !!

صدق ذرّ – واللّه – ليس الداعية الذي ينبعث الكلام تشدّقًا وتصنّعًا من لسانه ، ليُسبي به عقول الرجال .. كالداعية المكلوم القلب ، الحزين النّفس ، المتفاعل الحال .. الذي إذا تكلّم لا يتكلّم إلا بنبضات قلبه ، وإذا تحدّث لا يتحدث إلا من أحاسيس حزنه وأساه مستعرضًا حين يتحدّث أحوال المسلمين في المشارق والمغارب ، وأوضاع بلاد الإسلام على ما أصابها من تمزّق وانحطاط !!

نعم حين يكون اهتمام الداعية بدعوته ومجتمعه وأمّة الإسلام .. كاهتمامه برزقه وبيته ، وأهله وولده .. فتقول : إن الدّعوة الإسلامية قد تركّزت في بؤرة شعوره ، وتأصّلت في أعماق وجدانه .. بل أصبح كالنائحة الثّكلى في انبعاث اللوعة والأسى ، وصدق المشاعر والأحاسيس .. بل لا يهدأ له حال ، ولا يطيب له بال .. حتى يرى وطنه المسلم بشكل خاص ، ووطن الإسلام الأكبر بشكل عام قد تحرّر من حكم الطغاة ، وانتصر على أعداء اللّه ، وأقام في ربوعه شريعة الإسلام ، وعندئذ يفرح ، ويفرح معه المؤمنون بنصر اللّه .

وهذه الظاهرة من التفاعل للدّعوة ، والاهتمام البالغ لقضايا المسلمين .. **مستفادة** من قوله صلوات اللّه وسلامه عليه ، وذلك في الحديث الذي رواه مسلم وأحمد : « **مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمّى** » [1] .

ومستنتجة من توجيهاته ﷺ لأبناء أمّة الإسلام حين وقف بينهم مرة وقال لهم : « **من أصبح ولم يهتمّ بأمر المسلمين فليس منهم** » [2] .

(1 – 2) سبق تخريجه ص (368) .

● **ولا يمكن للدعاة أن يتغلغلوا في جميع فئات الشعب** ، ويجذبوا النّاس ، ويكسبوا الأنصار إلا أن يؤلّفوا فيما بينهم لجانًا دعويّة متخصّصة ، حيث تكلّف كلّ لجنة بأداء مهمتها على حسب ثقافتها وتخصّصها .

فهذه **لجنة** دعويّة في محيط الطلاب ، **وأخرى** تعمل في قطاع العمّال ، **وثالثة** متفرّغة لأرباب الحرف والنّقابات ، **ورابعة** مسؤولة عن قطاع النّساء والطالبات ، **وخامسة** مهمّتها في مجال القرى والأرياف ، **وسادسة** تعمل في حقل المهندسين والمحامين والأطباء ، **وسابعة** تمارس نشاطها في ميدان العوائل الكبيرة والأحياء ، **وثامنة** تقوم بمهماتها في فئات الموظفين والقضاة والحكّام .. وهكذا إلى أن **تغطّي اللّجان الدعوية قطاعات الشعب جميعًا** ، وعلى كلّ المستويات .

ولكن هل يكفي أن تشكّل اللّجان ، ويفرز الدعاة ، ويستمرّ العمل .. دون نظر في النتائج ، وتشاور في الوسائل ، وبحث للمشكلات ؟!!

في الحقيقة لا يكفي ذلك ، بل ينبغي أن يلتقي مسؤول الجبهة في كل بلد بمسؤولي اللّجان في كلّ شهر على الأكثر ، ويبحث معهم فيما وصلوا إليه من نتائج ، وما اعترضهم من مشكلات ، وما وقف في طريقهم من عقبات ، وما يقترحونه من وسائل ، وما يدور في خلدهم من تصوّرات .. ولابدّ أن يصلوا في نهاية اللقاء والتّحاور إلى أفضل الحلول ، وأنضج الآراء ، وأفضل الاقتراحات .. فيتعاهدون جميعًا على تنفيذها ، والعمل بها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

فمن المؤكّد يقينًا أن جماعة الجبهة الإسلاميّة الواحدة في كلّ بلد ، إذا وصلت إلى هذا المستوى من النّضج والتخطيط ، والتحرّك والشّعور ، والاهتمام والمسؤوليّة ، والاستمرار والمثابرة .. فإن المنتظمين في سلك الجبهة الإسلاميّة سيكونون في ازدياد ، والمنضوين تحت راية القاعدة الشعبيّة سيكونون في امتداد .. على أيدي أولئك جميعًا يتحقّق للمسلمين نصر وكيان ، وتقوم لهم عزّة وسيادة ، واللّه وليّ العاملين المخلصين .

● **وأخيرًا قد يقول قائل** : كيف تمارس الجبهة الإسلاميّة حرّية الدعوة في ظلّ حكم علماني لا ديني يُلاحق العاملين للإسلام ويضطهدهم ، ويضيق عليهم الخناق ويتّهمهم ؟

نعم قد يكون ذلك ، ولكن لن يعدم العاملون للإسلام في كل بلد الوسيلة ، ولن تعجزهم الحيلة ، قد يكون من بنود العمل – والعاملون على هذه الحال – الاتّصال

الفردي ، أو تغيير الطريقة كالانتظام في سلك جمعيّات العلماء لتعمل الجماعات الملاحقة باسمها ، وتدعو إلى اللّه تحت مظلّتها .. ؛ أو العمل على تشكيل جمعيات لتعليم القرآن الكريم وتحفيظه ، لتقوم الفئات الدعويّة بأداء رسالتها ، وتجميع أبناء المسلمين تحت رايتها .. أو .. أو ..

المهمّ أن يتحرّك الدعاة ، وأن يعملوا ، وأن يفكروا في الحلّ الأمثل في طريقة العمل ، وبالخطّة المحكمة في انتهاج الأسلوب ..

وعلى الغالب أن الدعاة إلى اللّه في كل بلد إذا سلكوا في دعوتهم سبيل الحكمة ، والموعظة الحسنة دون أن يستخدموا أسلوب العنف ، وسبيل الصراع والمواجهة .. فالسلطة مهما كانت باغية ، ومهما كانت حاقدة على الإسلام والمسلمين .. فإنها تقف من العلماء ورجال الإصلاح موقف الحياد والمهادنة ، إلا إذا تراءى لها من انتشار الدعوة خطر يقترب منها ، أو تستشعر من الشباب الإسلامي صحوة كاسحة ممتدّة تخشى منها على نفسها .. فعندئذ لا تقصر في المحاربة ، ولا تتوانى في انتهاج أسلوب القمع ، وتشديد الخناق ، كما هو مشاهد في بعض البلاد الإسلاميّة التي انتشرت فيها الدّعوة ، وامتدّت في أرجائها الصّحوة ، والتزم شبابها سبيل الإسلام !!

ولكن هذا – كما ألمحنا – لا يمنع من أن يتّخذ الإسلاميّون الطّريق الأقوم في انتهاج الأسلوب الملائم ، والسبيل الأجدى في استمراريّة الدعوة ونموّها وامتدادها مهما كانت الظروف والأحوال ، واللّه سبحانه معهم ، وهو يتولاهم ويدافع عنهم ، ويهيّئ لهم من السُّبُل والوسائل من حيث يعلمون أو لا يعلمون ..

فالخطوة الرابعة في العمل الدعوي المركّز إذن هي :

العمل على تكثير القاعدة الشعبيّة الإسلامية الصّلبة في كلّ البيئات ، وعلى كلّ المستويات فبهذه القاعدة القويّة الشّاملة التي عملت الجبهة الإسلاميّة الواحدة على انتشارها وامتدادها تكون الجبهة وقاعدتها أقوى وأقدر على مواجهة الحكم العلماني في بلاد الإسلام ، وبعزم شبابها ورجالها يصلون – بإذن اللّه – إلى النصر المؤزّر ، والفتح المبين .

5 - التدبير المحكم للوصول إلى النّصر :

بعد أن عملت الجبهة الإسلامية الواحدة بقيادتها ودعاتها .. عازمة صابرة على امتداد القاعدة الشعبيّة وانتشارها في كلّ حيّ ، وفي كلّ قرية ، وفي كلّ بلد ، وفي

جميع القطاعات والمؤسّسات ، وفي صفوف الطلاب والعمّال ، وفي أصناف الرّجال والنّساء ، وفي ميدان الأغنياء وأرباب الأعمال .. وأصبح لها من القواعد والأنصار والأعوان .. ما يملأ السّمع والبصر ، وما يقوّى في النفوس التفاؤل والأمل !!

بعد هذا كلّه يأتي دورها في وضع خطّة محكمة مأمولة للوصول إلى الهدف المنشود ، والنّصر المؤزّر ، والفتح المبين ..

ولكن ما هي معالم هذه الخطّة المحكمة المركّزة ؟

الذين يسيرون وراء التغييرات السياسية في العالم يضعون أربعة احتمالات للوصول إلى النصر :

الأول : احتمال الانقلابات العسكريّة .

الثاني : احتمال حرب العصابات .

الثالث : احتمال الانتخابات النّيابيّة .

الرابع : احتمال الثّورة الشعبيّة .

وها نحن أولاء سوف نناقش كلّ احتمال على حده من منظور واقعي وإسلامي ، ثم نذكر الاحتمال الأجدى والأنفع في إقامة حكم اللّه في الأرض ، وجعل الحاكميّة للإسلام .

● **أما الاعتماد على الانقلابات العسكرية فأقول :**

إنه من الصعوبة بمكان أن يصل الإسلاميّون إلى الحكم في ظلّ سلطة لا دينيّة عن طريق الانقلاب العسكري للأسباب التالية :

أولا : إن الحكّام اللادينيّين سواء كانوا شيوعيّين ، أو استعماريّين ، أو باطنيّين هم أخبث وأمكر من أن يتركوا ضابطًا إسلاميًا في موقع حسّاس في قطاع الجيش ، لاستخدامهم أقوى الأجهزة من أجهزة المراقبة والاستخبارات ..

ثانيًا : لا يصل أيّ ضابط في الجيش في ظلّ الحكم اللاديني إلى مرتبة القيادات العسكريّة ذات الشأن إلا بعد أن يمرّ على مراحل من التجارب الظاهرة والباطنة لمعرفة ولائه للحكم ، وبعده عن الإسلام .

ثالثًا : الضابط المسلم الملتزم سرعان ما يظهر أمره ، وتنكشف حقيقته ، وذلك

حين يؤدّي الصلاة – وهو في المعسكر – في وقتها ، ويمتنع عن مجالس اللّهو ، وموائد الخمر حين يدعى إليها ..

رابعًا : في كلّ فترة وفترة يعلن الحكم اللاديني عن قوائم جديدة مسرّحة من ضبّاط إسلاميّين أو معارضين .. وفي أكثر الأحيان يتّخذ الحكم هذه الإجراءات بالظنّة ، وينفّذها بالشبهة !! .

مما ذكرناه يتبين أنه لا يمكن بحال أن يعتمد الإسلاميون وحدهم على الجيش في التغييرات السياسية ، بل دون ذلك خرق القتاد ، ورابع المستحيل .

● **وأما الاعتماد على حرب العصابات فأقول :**

لا يمكن أن يعتمد الإسلاميّون أيضًا على حرب العصابات في تغيير أيّ نظام من أنظمة الحكم ، مهما كانت هذه الحرب منظّمة ، ومهما كانت عمليّاتها مركّزة ومسدّدة .

ذلك لأن حرب العصابات تعتمد في انطلاقتها على فئة قليلة من الشعب معلّمة ومدرّبة تنتهز الفرص لتُغير بأسلحتها على مؤسّسة من مؤسّسات الدولة تنسفها أو تحرقها ، أو تغير على بعض المسؤولين في الحكم تقتلهم وتغتالهم .

هذا من جهة **ومن جهة أخرى** فإن القائمين على هذه الحرب يعتمدون في عمليّاتهم على السرّية المتناهية : سرّية المخبأ ، وسرّية التخطيط ، وسرّية التنفيذ ، وهذا معناه أنْ ليس لهم أرض محرّرة يأوون إليها ، ويأخذون حرّيتهم فيها ، ويستشعرون براحة الأمن حين يضعون أرجلهم عليها : اللهم إلا إذا ارتبطوا بدولة مجاورة ، تمدّهم بالمال ، وتغذّيهم بالسلاح ، وتسمح لهم باللجوء والإيواء .

والذين عندهم دراية في الحروب والثورات ، يكاد أن يكونوا مجمعين بأنه لا يمكن الاعتماد على حرب العصابات في تغيير أيّ نظام من أنظمة الحكم ، ذلك لأن قوّة العصابات في العدد والعدّة غير متكافئة مع النظام ، **ومن ناحية أخرى** فإنّ العصابات مستهدفة من قبل النظام نفسه لتصفيتها وسحقها .. فهي في الحقيقة – كما يقولون – تُرْبِكُ النظام ولكن لا تغيّره ، وتقلقه ولكن لا تستأصله .. بل تكون عاقبتها – لا محالة – الفناء والدّمار .

هذا عدا أن نهجها في إرباك النظام غير شرعي ، وغير أخلاقي .. لاعتمادها في عمليّاتها على نسف المؤسّسات الاقتصادية ، والدوائر الحكومية ، التي هي في الأصل

ملك الشعب ، وما وضعت إلا لتأمين مصالحه ، **وهي في الوقت نفسه** تكون سببًا في قتل الكثير من الضحايا والأبرياء نتيجة عمليّاتهم وتفجيراتهم !! .

مما ذكرناه يتبيّن أنه لا يمكن للإسلاميّين بحال أن يعتمدوا على حرب العصابات في تغيير النظام العلماني اللاديني ، لأن ذلك غير ممكن واقعًا ، وغير جائز شرعًا ، وغير مستقيم مروءةً وخلقًا ..

● **وأما الاعتماد على الانتخابات النيّابيّة فأقول :**

إنه من المتعذّر ، أو شبه المستحيل أن يصل الإسلاميّون إلى الحكم عن طريق الانتخابات البرلمانيّة الشعبيّة في ظلّ حكم علماني لا ديني ، وذلك للأسباب التالية :

أولا : لأن قبول التّرشيح للانتخابات بيد الحكومات العلمانيّة ، فهي تقبل من المرشّحين من تشاء ، وترفض منهم من تشاء .

ثانيًا : لأن التّزوير في الانتخابات حين تريده الحكومات اللادينيّة بيدها ، فهي التي توصل إلى البرلمان من تشاء ، وتسقط من تشاء .

ثالثًا : لأنّ حلّ البرلمان وتجميده بيد هذه الحكومات ، فحين ترى أعضاء البرلمان ساروا على خلاف هواها ، فبجرة قلم تجمّد البرلمان أو تحلّه ، أو ترفع الحصانة عن بعض أعضائه !!

وكم سمعنا عن أحزاب سياسية ذات صبغة إسلاميّة ، شاركت في الحكم فترة ، وكان لها في المجالس النيابيّة تمثيل وأنصار .. فحين رأى العلمانيّون الذين هم في الجيش تحرّكهم وامتدادهم .. استولوا على زمام الحكم بالقوة ، وألقت بالإسلاميّين في غياهب السّجون ، وقدّمتهم للمحاكمات ، واتّهمتهم باتهامات كاذبة ، ولم تمكن لواحد منهم أن يرتفع له في المجتمع رأس ، أو يكون له تحرّك أو نشاط ؟!!

وأعظم شاهد على ذلك : ما فعله الجيش العلماني بحزب « سلامات » الإسلامي في تركيّا ، فقد رأينا أن الجيش هناك استولى على مقاليد الحكم ، وحلّ البرلمان ، واعتقل الكبار من رجالات الحزب ، واتّهمهم ، وقدّمهم للمحاكمة ، وذلك حين رأى الجيش التركي من حزب « سلامات » تحرّكه للإسلام ، ونشاطه للدعوة .. فقد اعتبروا هذا التحرّك والنّشاط .. مخالفًا لمبادئ « أتاتورك » اللادينيّة ، ومصادمًا للمنهج العلماني الذي تسير عليه الدولة منذ الانقلاب الأتاتوركي الكمالي إلى عصرنا اليوم .

ومن استقرائنا للواقع نجد أن الإسلاميّين في كثير من البلاد الإسلاميّة لا يسمح لهم بالتّرشيح باسم حزب إسلامي ، بل باسم أحزاب سياسيّة ذات صبغة يمينيّة ، وبأعداد قليلة لا تتجاوز أصابع اليد ، وأحيانًا يُحظر على شخصيّات إسلامية معروفة أن ترشّح نفسها لخطرها على العلمانيّين ، ولاكتساحها الهائل للأصوات !!.

وهكذا تكيّف الحكومات اللادينيّة التي تدّعي الديمقراطيّة الانتخابات العامّة على حسب هواها ، وبما يحقّق مصلحتها ، ولو رفعت في المجتمع شعار الحرية والنّزاهة ، وتقمّصت لباسه المزوّر ؟!!

وإذا كانت للانتخابات النيّابية **ثمّة إيجابيّات ومحاسن في المجتمعات الإسلامية** فإنّ من أظهر محاسنها وإيجابيّاتها أن الإسلاميّين في البرلمان يعلنون على منبره صوت الإسلام ، ويبلّغون دعوة اللّه ، ويكسبون الأعوان والأنصار ، ويحدّون ما أمكن من استفحال الفساد ، ويوضّحون لممثلي الشعب على اختلافات معتقداتهم واتّجاهاتهم فكرة الإسلام الكلّية عن الكون ، والحياة ، والإنسان .. وعن خصائصه في الربّانية ، والشمول ، والعالميّة ، والتجدّد ، والخلود ..

بل على العموم نقول : إن وجود الإسلاميّين في البرلمان منفذ كبير من منافذ الدعوة الإسلامية ، قد يفتح اللّه بهم آذانًا صمًّا ، وأعينا عميًا ، وقلوبًا غلفًا .. وقد يكونون سببًا في قلب العدوّ صديقًا ، والعاصي تائبًا ، والملحد مؤمنًا .. إن أحسنوا العَرْض ، وأحكموا الأسلوب ، وأظهروا الحجّة ..

أما أن يستلموا الحكم عن طريق الانتخابات النيّابيّة في ظلّ حكومة لا دينيّة .. فبتقديري أنّ ذلك محال ، لأن الحكومات اللادينيّة على العموم مرتبطة سياسيًا أو عقيديًا بدولة أجنبيّة .. فهي التي تحرّكها وتوجّهها لضرب الإسلاميّين ، وكتم أنفاسهم واضطهاد رجالاتهم ، والحيلولة دونهم لإقامة حكم اللّه في أرض اللّه !!

● **وأما الاعتماد على الثّورة الشعبيّة فأقول :**

إن المقصود بالثّورة الشعبيّة حين نرفع شعارها ونطلقها ؛ أن يهبّ الشّعب بجميع طبقاته وفئاته ، وشيبه وشبّانه ، ومثقفه وعمّاله ، ورجاله ونسائه ، وخاصّته وعامّته .. هبّة رجل واحد في مواجهة النّظام وإسقاطه ، واستبداله بالذي هو خير .

فالثورة بهذا المفهوم والمنطق لا يمكن أن تصل إلى هدفها في إسقاط الحكم أو النظام إلا أن تعتمد على أمرين هامّين :

الأول : اعتمادها على قيادة موحّدة يتجاوب معها ويتفاعل أبناء الأمة جميعًا على اختلاف مستوياتهم وطبقاتهم بلا استثناء .

الثاني : اعتمادها على بيعة شاملة للأمير القائم على أمر القيادة مفادها : السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وفي كلّ ما يلبّي الصالح العام .

أما إذا تعدّدت القيادات ، وتنوّعت البيعات ، وأصبح لكل جماعة إمام تناصره وتبايعه ، ولكلّ إمام جماعة يهتمّ بها ويقودها .. فهذا هو التّمزق بعينه ، والتّنافر بذاته .. بل هو القاصم للظهور ، والمدمّر للثورة ، والميئّس للعمل ، والقاتل للأمّة ، والمفرِح للأعداء !!

وما شكواي أو شكواك إلا لفوضى في المجامع وانقسام
ترى كلا له أمل وسعي وما لاثنين حولك من وئام
لكلّ جماعة فينا إمام ولكنّ الجميع بلا إمام

ومما لا يختلف فيه اثنان أن الأمّة حين تتفاعل مع القيادة الواحدة بجميع رجالها ونسائها ، وسائر فئاتها ومستوياتها .. وتنظر الأمر منها لتطيع ، وخطّة العمل لتنفّذ ..

من المؤكّد أن هذه الأمّة بقيادتها وأميرها يُكتب لها النّصر والتوفيق ، وتصل إلى الغاية المنشودة في إقامة عزّة سامقة ، وبناء مجد عريض ، وإشادة كيان سياسيّ مرموق .

وتجربة الثورة الشعبيّة في إيران أكبر شاهد على ما نقول ، فالشّعب هناك مرتبط بطبيعته ارتباطًا عضويًا ودينيًا بأئمته ومشايخه ، فيسمع لهم ويُطيع ولو كان على حتفه ، ولو أدّت به الطاعة إلى الخطر المحْدِق ، والموت الزّؤام !!

فالمشايخ والأئمة هناك حين وحّدوا جبهتهم ، وانتخبوا قيادتهم ، وأعلنوا البيعة والولاء لأميرهم ، والتفّ الشعب حولهم التفاف السّوار بالمعصم .. حين تمّ لهم هذا تحقّق لهم ما يريدون في استئصال الطّغاة ، والقضاء على نظام الشّاه !!

ولو كانت عقيدة من قاموا بالثورة الإيرانية ، وقادوا زمامها موافقة لعقيدة أهل السنّة والجماعة ، ولو كانت منزّهة من انحرافات عقيديّة وفكريّة وتشريعيّة .. لكان لها شأن وأيّ شأن في توحيد كلمة المسلمين ، واستعادة كيانهم وأمجادهم ؟! .. ولكن ما كلّ ما يتمنّى المرء يدركه .

وأما عن تجربة الثّورة الشعبيّة في أفغانستان فقد كادت أن تصل إلى النّصر المؤزّر ، وتُطيح بالنّظام الشيوعي هناك ، لولا تدخّل روسيا بجيشها الكبير ، وأسلحتها الفتّاكة

المتطورة !!.. وقد ثبت المجاهدون الأفغان ثبات الأبطال أمام الغزو الروسي وهم يجاهدونهم ويجالدونهم أكثر من سبع سنوات ؛ ومما ساعدهم على المجاهدة والمجالدة ، والصبر والمصابرة .. إيمانهم باللّه وبحاكمية الإسلام من جهة ، وباتّخاذهم من مواقع بلادهم الاستراتيجيّة الواسعة ذات الجبال والكهوف .. أرضًا محرّرة يتمركزون فيها ، وينطلقون منها .. من جهة أخرى .

وإن شاء اللّه فسيكون النّصر حليفهم ، وإقامة الدّولة الإسلاميّة رائدهم ما داموا يقاتلون في سبيل اللّه ، ويحاربون أعداء اللّه وأولياء الشيطان .. وما داموا يلقنون الشيوعيّين الملاحدة كيف تكون دروس الفدائيّة والاستبسال ؟ ويعلمونهم كيف تكون صناعة الأمجاد والتاريخ ؟

فمما ذكرناه يتبيّن : أنه لا يمكن للإسلاميّين بحالٍ أن يصلوا إلى إقامة حكم إسلاميّ :

عن طريق الانقلابات العسكريّة ..

وعن طريق حرب العصابات ..

وعن طريق الانتخابات النيابيّة ..

لا يمكن أن يصلوا إلى هذا .. في ظلّ حكومة علمانيّة لا دينيّة ، بل دون ذلك خرق القتاد ، ورابع المستحيل كما سبق بيانه .

لم يبق أمامهم من حلّ واقعي ومعقول سوى الاعتماد على **الثورة الشعبيّة** ، ولكن هذا يحتاج إلى بذل كلّ ما في الوسع من جهود ، ويحتاج إلى صبر ومصابرة ، ويحتاج إلى وقت طويل ، ويحتاج إلى تضحية واستبسال ، ويحتاج إلى تخطيط ومراحل ..

وأخيرًا على الإسلاميّين أن يضعوا في حسبانهم هذه المراحل التي تكلّمنا عنها آنفًا ، وفصّلنا فيها ، **وهي على الترتيب التالي** :

1 - تكوين القاعدة الشعبية التي تشمل جميع طبقات الشعب ، وسائر فئاته ..

2 - تكوين القيادة الموحّدة بأميرها وأعضائها ، لتقوم بمهمّة التغيير والوصول إلى النّصر ..

3 - ارتباط القاعدة بأميرها وقيادتها على أساس السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ..

هذا عدا عن الإعداد المادّي والروحي ، واستكمال جميع المقوّمات والأسباب ..

فبغير هذه المراحل لا يجوز لأيّ فئة من المسلمين تحمل على كاهلها مسؤولية الدعوة

والإصلاح أن ترفع شعار الثورة الإسلاميّة ، وتنطلق في ميدان المجابهة والجهاد !!..

بل يحرم عليها شرعًا أن تتورّط في إعلان الثورة ، وتُورط الشّباب فيها ..

ويحرم عليها أن تكون سببًا في تيتيم الأطفال ، وترميل النّساء ، وتقتيل الشّباب ، وتخريب المدن ، وتشريد العوائل ..

ويحرم عليها أن تكون سببًا أيضًا في إيقاف مسيرة الدعوة ، وقتل العمل الإسلامي ، والتمكين للإلحاد بأن يستشري ويستفحل ..

فمن هنا نعلم أنه لا يجوز للعاملين للإسلام شرعًا – ولاسّيما الشباب المتحمّس المندفع منهم – أن يتعجلوا النّصر قبل أوانه ، وقبل الأخذ بأسبابه ، وقد قيل : « **من تعجّل شيئًا قبل أوانه عُوقب بحرمانه** » .

ورحم اللّه الإمام « **حسن البنا** » حين أوصى شباب الدّعوة المتحمّس بهذه الوصيّة الرائعة الخالدة في مؤتمره الخامس : « أيها الإخوان المسلمون وبخاصة المتحمّسون المتعجلون منكم : اسمعوها منّي كلمة عالية داويةمن فوق هذا المنبر في مؤتمركم هذا الجامع : إن طريقكم هذا مرسومة خطواته ، وموضوعة حدوده .. ولستُ مخالفًا هذه الحدود التي اقتنعتُ كلّ الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول .

أجل ! ، قد تكون طريقًا طويلة ولكن ليس هناك طريق غيرها ، إنما تظهر الرّجولة بالصبر والمثابرة ، والجدّ والعمل الدّائب .. **فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها ، أو يقطف ثمرة قبل أوانها فلستُ معه في ذلك بحال ، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات ، ومن صبر معي حتى تنمو البذرة ، وتنبت الشّجرة ، وتصلح الثمرة ، ويحين القطاف .. فأجره على اللّه ، ولن يفوتنا وإيّاه أجر المحسنين : إما النّصر والسيادة ، وإمّا الشهادة والسعادة .. »** .

ثم يدعوهم – أعلى اللّه مقامه – إلى الاتّزان ، والانضباط بنظرات العقول فيقول : (أيّها الإخوان المسلمون ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول ، وأنيروا أشعّة العقول بلهب العواطف ، وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع ، واكتشفوا الحقائق في أضواء الخيال الزّاهية البرّاقة ، **ولا تميلوا كلّ الميل فتذروها كالمعلّقة ، ولا تصادموا نواميس الكون فإنها غلابة ، ولكن غالبوها واستخدموها وحوّلوا تيّارها ، واستعينوا ببعضها على بعض ، وترقّبوا ساعة النّصر ، وما هي عنكم ببعيد)** .

* * *

وصفوة القول :

إنّ علاج المجابهة والتهوّر في الشباب المتحمس المندفع هو أن يسيروا في مراحل العمل المركّز مرحلة بعد مرحلة لمواجهة الحكم العلماني اللاديني في بلاد الإسلام .

والمراحل هي كما يلي :

الأولى – إيجاد الجبهة الإسلامية الواحدة ، هذه المرحلة هي التي تجمع شتات المسلمين وتوحد كلمتهم ، وتقوي جبهتهم .

الثانية – التركيز على التربية والإعداد ، وهذه المرحلة تعد في نظر الدعاة المجرّبين من أعظم مقومات النصر ، ومن أكبر العدة على العدو ، ومن أقوى المكيدة في الحرب .

الثالثة – الانطلاق في مضمار التوعية ، وهذه الخطوة هي من الخطوات الإيجابية الفعالة التي عليها الاعتماد الكلّي في تبليغ الدعوة الإسلامية ، ونشر رسالة الإسلام ..

الرابعة – العمل على تكثير القاعدة ، وهي من أهمّ المراحل الفعّالة التي يمكن الاعتماد عليها في إقامة الدّولة الإسلاميّة ، وإزالة حكم الطواغيت في الأرض .

الخامسة – التدبير المحكم في الوصول إلى النصر ، وهذه المرحلة هي من أدقّ المراحل كلّها ، لكونها الثمرة المرجوّة في توقيت لحظة الحسم . وإنهاء حكم اللادينيّين العتاة ، وإظهار الدين الإسلامي على الدّين كلّه .

فبغير هذه المراحل الخمس في العمل الإيجابي المركّز لا يمكن للعاملين للإسلام من دعاته وشبانه .. أن يواجهوا الحكم اللاديني في بلاد الإسلام ، بل من الصعوبة بمكان أن يُحْرِزوا لأمة الإسلام نصرًا ، ويحقّقوا للمسلمين عزًّا ومجدًا .. بل يكون نتيجة عملهم وسعيهم كالّذي يصرخ في واد ، وينفخ في رماد ، ويرقُم على ماء ، ويضرب على حديد بارد .. دون فائدة ولا جدوى ..

فياشباب الدعوة ! اسلكوا طريق العمل الإيجابي المركّز من غير جبن ولا استخذاء أو غير تهوّر ولا اندفاع .. وسيروا على مراحل الخطوات الإيجابيّة مرحلة بعد مرحلة ، فإنّكم إن فعلتم ذلك فسوف تصلون – بعون اللّه – إلى النصر المؤزّر ، والفتح المبين .

﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (1) .

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ (2) .

(1) سورة الروم الآيات : 4 - 5 .
(2) سورة القصص الآية : 5 .

5 - الظّروف الاقتصادية

ومن العقبات الكأداء التي تعترض طريق الدعاة . وتنأى بهم عن العمل في سبيل إعزاز دين اللّه ، وتصرفهم عن الاستمرار في مسيرة الدعوة الإسلاميّة ، وتجنح بهم أحيانًا إلى انحراف أثيم .. عقبة « **الظروف الاقتصاديّة** » التي نلمس ظواهرها على الخصوص في كثير من الشباب الذين دخلوا في الدعوة وهم في سني الدراسة ، أو في طور العزوبة ، أو في مقتبل الفتوّة ..

هؤلاء وهم في هذه السنّ كانوا شعلة في النشاط والحيويّة ، وآية في الإقدام والحركيّة ، ومثالاً في الالتزام والعمل للإسلام .. فحين أن تزّوجوا ، وأصبح لهم أهل وأولاد . واستقلّوا عن آبائهم في تأمين المعيشة وأسباب المعيشة وأسباب الرّزق .. تحوّلوا إلى شيء آخر ، وكأنّهم لم يعطوا عهدًا ، ولم يبايعوا أميرًا ، ولم يلتزموا دعوة .. بل حكمتهم الظروف ، وطغى عليهم حبّ المال ، وأقلقهم أحيانًا الفقر ، وأهمّتهم الدنيا ومطالبها المادّية .. بل أصبحوا ليس لهم من همّ ولا غاية إلا جمع المال ، والسعي الدّائب وراء العيال ، والارتقاء في المعيشة إلى حياة أفضل ، والطّموح الزّائد إلى أن يكونوا في مصافّ الأغنياء الكبار ، والرجال العظام !!

ولو استقرأنا الواقع الذي نحن نعايشه لرأينا الكثير من شباب الدّعوة تساقطوا واحدًا بعد واحد على الطريق بسبب ظرف اقتصادي ، أو عامل مادّي ، أو انكباب على دنيا ..

وإليكم بعض الأمثلة والنماذج :

يقول الداعية الكبير الأستاذ « فتحي يكن » في كتابه « المتساقطون على طريق الدعوة » : « أعرف أخًا كان قبل زواجه مقدامًا معطاءً ، ولقد نكب بزوجة سيئة وضعت الموت والفقر بين عينيه ، فكانت كلما رزق منها بغلام ذكّرته بحقّه (المادي) عليه ، وأنّ عليه مضاعفة السّعي من أجله .. ولما تكاثرت ذرّيته ، وامرأته على هذه الشّاكلة سقط في الامتحان ، وأصبح عبدًا للدّنيا بعد أن أصبح عبدًا للزّوجة .. وهو حتى الآن لم يحسّ بالجريمة التي ارتكبت ، وبالهاوية التي فيها سقط ، ولقد نسي ما كان يُذكّر به إخوانه والنّاس : « **تعس عبد الدّينار ، وعبد**

الدرهم ، وعبد الخميصة ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش » [1] وقوله ﷺ : « **تعس عبد الزوجة** » [2] ، ويُروى عن الحسن بن علي – رضي اللّه عنهما – أنّه قال : « واللّه ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبّه اللّه في النار » ا هـ .

وأعرف أناسًا أحداث السنّ انتظموا في سلك الدّعوة وهم في شرخ الفتوّة ، وعزيمة الشباب كانوا في القمّة نشاطًا وحركة وحيويّة .. فلما تزوّجوا ، وأصبح عندهم البنون والبنات ، ودخلوا الحياة العمليّة في ابتغاء الرّزق ، وتأمين العيش .. تساقطوا واحدًا بعد واحد على درب الدعوة :

فمنهم من تساقط بسبب الفقر ، فانطلقوا في ربوع الحياة يبحثون جهدهم عن الرزق ، وسدّ لقمة العيش لتأمين ما يكفيهم ، ويكفي أهليهم وعيالهم .. وإذا سئلوا في تأمين العيش والرّزق لمن كان له حق الإعالة والتّكافل علينا ، فليس عندنا وقت في التّوفيق بين معيشتنا ودعوتنا ، فيقعدون منزوين منطوين مع القاعدين !!

ومنهم من تساقط بسبب الغنى ، فانطلقوا في ميادين ابتغاء الرزق ، فلما تأمّن لهم المورد الكافي ، والعيش الوافر .. لم يقنعوا ولم يرضوا وإنما ركضوا لاهثين وراء المادة يجمعون الأموال ، ويكدّسون الثروات .. حتى أصبح عندهم من حطام الدنيا ما يكفيهم ويكفي ذرّيتهم إلى عشرة أجيال أو أكثر .. وإذا سئلوا لماذا فتر نشاطكم ، وخمدت حركتكم في سبيل الدعوة والإسلام وأنتم في بحبوحة واسعة من العيش ، وسعة كبيرة من الرزق ؟ قالوا : إننا نعمل لبناء الاقتصاد ، ومصلحة الوطن ، وهذا أيضًا من الإسلام .. وهكذا تسوّل لهم نفوسهم في أن يكونوا من المتساقطين المنهزمين !!

ومنهم من تساقط بسبب طغيان المادّة على كل مفهوم ، فانطلقوا في جمع المال غير عابئين أن يجمعوه من حلال أو حرام ، وغير مكترثين أن ينفقوه في خير أو شرّ .. وقد كانوا قبل أن تطغيهم المادّة ، وقبل أن يفتنهم المال نموذج التقى والورع ، والعمل الدائب في سبيل الإسلام .. ولكن حين مروا على فتنة المال ، وابتُلوا بإغراءات الدنيا وشهواتها .. انحرفوا عن جادّة الإسلام ، وتخبّطوا في أوحال المفاسد ، وتلطّخوا بدنس المعصية فتاهوا في بيداء المنحرفين الضالّين ، وتساقطوا في هوّة المتحلّلين المائعين !!

وأعرف بعض الدعاة كان يشار إليهم بالبنان في عظم تحرّكهم للإسلام ، وقوّة

(1) رواه ابن ماجه (4136) . (2) رواه البخاري ، وانظر إتحاف السادة المتقين (5 / 356) .

نشاطهم في سبيل الدعوة ، وضخامة مسؤوليّاتهم في إعزاز دين اللّه .. فلما لاحت لهم من بعيد بوارق المادّة ، ودخلت عليهم الدنيا بفتنتها وزهرتها ، وأصبحوا من أصحاب الأموال الطائلة .. فتر نشاطهم ، وخمدت حركيّتهم ، وتلاشت مسؤوليّاتهم .. وتساقطوا على طريق الدعوة واحدًا بعد واحد .. خوفًا على رزقهم أن تصادرها السّلطة ، وخشيةً على أملاكهم أن تنتزعها الدّولة ، وتحسّبًا أن ينالهم أذى في سبيل اللّه من طاغية متحكّم ، أو باغ متنفّذ .. يتربّص بالدّعاة الدوائر ، ويدبّر لهم المكائد .. فقعدوا في زوايا النّسيان والهمل خانعين متواكلين !!

فمن هذه الأمثلة يتبيّن : أنّ لعامل الظروف الاقتصاديّة أكبر الأثر في انعطاف كثير من شباب الدعوة ، وبعض رجال الإصلاح والعمل الإسلامي عن جادّة الجهاد ، والعمل في سبيل الإسلام .. بسبب الفقر تارة ، وفتنة المال تارة أخرى ، وبسبب الخوف على مصادرة الأموال حينًا ، وبَطَرَ الغنى الذي يؤدّي إلى الانحراف أحيانًا ..

وإذا كنّا نتكلّم عن حلول كلّ عقبة تعترض طريق الدعاة ، **فما هي الحلول الإيجابيّة لمشكلات الظروف الاقتصاديّة** التي تجنح بالدعاة إلى القعود عن العمل في سبيل اللّه ، أو الانحراف عن جادّة الإسلام ؟

ويحسن بنا في هذا المقام أن نحدّد مشكلات هذه الظروف على ضوء ما وضّحنا من أمثلة وما ألمحنا من أسباب .. ثم نتكلّم عن حلّ كلّ مشكلة بالتفصيل واحدة بعد واحدة ، وعلى اللّه قصد السبيل .

أما تحديد المشكلات فهي كما يلي :

1 - مشكلة الفقر .

2 - مشكلة فتنة الغنى .

3 - مشكلة الخوف على الأموال .

4 - مشكلة الانحراف بالغنى .

وأما الحلول فإننا سنتكلّم عنها واحدة بعد واحدة – كما ألمحنا – من منظور الواقع ، ووجهة نظر الإسلام ، واللّه هو المستعان والموفّق :

1 - حلّ مشكلة الفقر :

مما لا يختلف فيه اثنان أن الفقر هو من أعظم الآفات الاجتماعيّة التي تسبّب في

المجتمع انتشار المرض والجهل والجريمة .. بل هو عامل كبير في هدم كيان الأمم ، وفي تخلّف الشعوب عن ركب المدنيّة والحضارة والتقدّم ، وفي جعل الأمّة في مؤخّرة الرّكاب وذيل القافلة !!

من أجل هذا كاد الفقر أن يكون كفرًا كما روى أحمد بن منيع عن أنس مرفوعًا : « كاد الفقر أن يكون كفرًا » [1] .

ومن أجل هذا كان النّبي عليه الصلاة والسلام يستعيذ في دعائه من الكفر والفقر ، فقد روى النسائي وصحّحه ابن حبّان عن أبي سعيد مرفوعًا : أن النّبي ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء : « اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر ... » [2] .

ومن وصيّة لقمان الحكيم لابنه كما جاء في كتاب « الحلية » لأبي نعيم : « وقد ذقتُ المرار ، فليس شيء أمرّ من الفقر » .

فإذا كان الفقر – بهذا الضرر البالغ ، والذّم الفاضح .. فلم يقف الإسلام تجاهه مكتوف اليدين ، بل وضع من المبادئ والأحكام والتوجيهات .. ما إن أخذ بها ، وعمل على تنفيذها المجتمع الإسلامي حكّامًا ومحكومين ، وأفرادًا ومسؤولين .. فإنّ الفقر – ولاشكّ – ينمحي نهائيًا بين أبناء الأمّة الإسلاميّة ، بل يصبح ليس له أيّ أثر ولا وجود في بلاد الإسلام .

الأصل في نظام التّكافل في الإسلام : أن يكفي المسلم نفسه ومن يقوم على إعالته ، فإن لم يستطع أن يكفي نفسه ومن يُعيله لتعطيله عن العمل بسبب عاهة مزمنة أصابته ، أو عجز ألمّ به ، أو شيخوخةٍ اقتربت منه ، أو نكبة حلّت فيه ، أو بطالة تفشّت في مجتمعه ، أو غير ذلك .. فيأتي عندئذ دور المجتمع ، ودور الدولة في رعايته ، وكفالته ، والقيام على أمره ..

وإليكم الخطوط العريضة ، والعناوين البارزة في **مسؤوليّة المجتمع** ، ثم بالتالي مسؤوليّة الدولة في تحقيق الرّعاية والتكافل لكل مسلم منكوب ، أو ذمّي مصاب يعيش على أرض الإسلام .

أما مسؤوليّة المجتمع :

فإن الإسلام بتشريعه العادل شرع لكل فرد من أفراد المجتمع مبادئ تكافليّة ،

(1) كنز العمال (16682) ، ومشكاة المصابيح (5051) .
(2) سنن النسائي (5465) ، والإحسان بترتيب ابن حبان (1022) .

وموارد في تأمين العدالة الاجتماعية .. للقضاء نهائيًا على الفقر والمرض والجريمة والانحراف في المجتمعات الإسلاميّة في كلّ مكان :

● من هذه الموارد **مورد فريضة الزّكاة** لقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ [1] .

● ومن هذه الموارد مورد الكفّارات :

– ككفّارة اليمين وهي في حال القدرة : ﴿ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ ﴾ [2] .

– وكفّارة قتل الصيد في الإحرام بالحجّ : ﴿ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ ﴾ [3] .

– وكفارة من يفطر في رمضان لمرض مزمن أو شيخوخة ولا يستطيع القضاء عن كلّ يوم : ﴿ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [4] .

– وكفّارة من يحلق رأسه في الإحرام بالحج : الصدقة أو الذبيحة ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ .. ﴾ [5] .

– وكفارة الظّهار [6] ، والتي منها : ﴿ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾ [7] .

– وكفارة من يفطر في رمضان عمدًا ، والتي منها : « إطعام ستين مسكينًا » كما ثبت في الأحاديث الصحيحة .

● ومن هذه الموارد مورد الأضاحي ، لما روى أحمد وأبو داود والنسائي : « **يا أيها الناس على كلّ أهل بيت في كل عام أضحية** » [8] .

● ومن هذه الموارد مورد النذور للّه ، لقوله تعالى : ﴿ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ ﴾ [9] .

● ومن هذه الموارد مورد زكاة الفطر ، لما روى البخاري ومسلم وغيرهما : « **زكاة الفطر من رمضان صاعًا من تمر ، أو صاعًا من شعير ، على العبد والحرّ ، والذّكر**

---

(1) سورة المعارج الآيتان : 24 - 25 . (2) سورة المائدة الآية : 89 . (3) سورة المائدة الآية : 95 .
(4) سورة البقرة الآية : 184 . (5) سورة البقرة الآية : 196 .
(6) الظّهار هو أن يقول لزوجته : « أنت عليّ كظهر أمي » ، وبهذا التلفّظ تحرم عليه زوجته كحرمة أمّه عليه ، ولا يجوز له شرعًا أن يقربها إلا بعد أداء الكفارة ، وهي : تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، فإن لم يستطع فإطعام ستّين مسكينًا . (7) سورة المجادلة الآية : 4 .
(8) مسند الإمام أحمد (4 / 215) ، وأبو داود (2788) ، والنسائي (4224) .
(9) سورة الحج الآية : 29 .

والأنثى ، والصغير والكبير من المسلمين » [1] .

● ومن هذه الموارد مورد **إسعاف الجائع والمحتاج** ، لما روى البزار والطبراني : « **ما آمن بي من بات شبعان ، وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به** » .

● ومن هذه الموارد مورد الوصيّة قبل الموت ، لما روى البخاري ومسلم وغيرهما : « **ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده** » .

● ومن هذه الموارد مورد الوقف بنوعيه الذرّي والخيري :

- ويقصد **بالوقف الذرّي** ما كان خيره خالصًا بذرّية الواقف ، وعَقبه من بعده .

- ويقصد **بالوقف الخيري** ما كان خيره يشمل جميع جهات الخير من مساجد ومدارس ودور عجزة .. والأصل فيها قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الشيخان : « **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له** » .

● ومن هذه الموارد **مورد الإنفاق في سبيل الله** ، ويشمل إنفاق الواجب كالزّكاة والنّذر .. وإنفاق النّفل كصدقة التطوّع ، والهبة في العطاء ، والمؤاثرة ..

قال تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [2] .

تلكم أهم الوسائل العملية والموارد التكافليّة التي فتحها الإسلام أمام الأفراد في تحقيق التكافل الاجتماعي في المجتمع الإسلامي ، وهي إن طبّقت ونفّذت ، وأحسن مصارفها .. تكافل النّاس فيما بينهم ، وتعاونوا على البرّ والتقوى في إقامة عدالة اجتماعيّة كريمة ينعم بها الفقير بنعمة الأخوّة الرّحيمة ، ويجد المحتاج من بني قومه من يشاطره آلامه ، ويفرّج عنه همومه وأحزانه .

وإن تطبيق هذه الموارد من التكافل منوط بتربية الوجدان والضمير ، ومرتبط بفاعليّة العقيدة والتقوى ، ومتعلّق بقصد الثواب واحتساب الأجر من الله وحده .

ولاشك أن إقامة جمعيات خيريّة وتعاونيّة في المجتمعات الإسلامية تشرف على جمع المواد التكافليّة من أفراد المجتمع ، وتضعها في مصارفها المخصّصة من الفقراء والمحتاجين ، والمنكوبين والمعوزين .. فإن الفقر ينعدم نهائيًا في بلاد الإسلام ، بل لن يبقى في مجتمعنا بائس ، ولا في أمّتنا مهموم أو مكروب .

(1) اللؤلؤ والمرجان (1 / 198) برقم (570) .
(2) سورة البقرة الآية : 261 .

اما مسؤوليّة الدولة :

فهي مسؤوليّة شاقّة وخطيرة ، لكونها المسؤولة أولاً وأخيرًا عن الطبقة الفقيرة التي لا تجد المال ، أو العاجزة التي لا تجد العمل ، أو المعطّلة التي لا تجد وسائل الكسب ، أو المشرّدة التي لا تجد المعيل ..

فلا يصحّ في دين اللّه أن ترتع الدولة في البذخ والسَّرَف ، وتغدو في الرّفاهية والتّعيم ، والآلاف من أبناء الشّعب يقتلهم الجوع ، ويذلّهم الفقر ، ويقعدهم المرض ، ويخيّم عليهم الجهل ، ويتخبّطون في البؤس والفاقة والحرمان !!

ولا يجوز في شريعة الإسلام أن تنفق أموال الأمّة على المظاهر والكماليّات ، وأن تبذل في النّفقات على مراسم الاستقبالات والتّوديعات ، وعلى مظاهر الزّينات الفخمة في أيام المناسبات .. ثم يهمل الجانب الأكثر ضرورة ، والأعظم أهميّة !!

لهذا نجد أن الحاكم مسؤول أمام اللّه هل عدل وأدّى الحقوق ، أم ظلم وفرّط .. ؟ ، قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن حبّان في صحيحه : « **إن اللّه سائل كل راعٍ عما استرعاه حفظ أم ضيّع ..** » [(1)] .

ونجد كذلك أن الصّادق المصدوق عليه الصلاة والسلام أخبر بأن كلّ حاكم سيأتي يوم القيامة مقيّدًا بالأغلال لا يفكّه مما هو فيه إلا عدله ، وروى أحمد بإسناد جيّد عنه ﷺ : « **ما من أمير عشرة إلا يؤتى يوم القيامة مغلولاً (أي مقيّدًا) لا يفكّه إلا العدل** » [(2)] .

ونجد أيضًا أن الحاكم في الدولة إذا مات وهو مهمل لأمر رعيّته حرّم اللّه عليه الجنّة ، روى الشيخان عنه ﷺ : « **ما من عبد يسترعيه اللّه عز وجلّ رعيّةً ، يموت وهو غاشّ رعيّته إلا حرّم اللّه تعالى عليه الجنّة** » [(3)] .

وإذا كانت الدولة في الإسلام مسؤولة عن تأمين الضّمانات المعيشيّة ، وتحقيق العدالة الاجتماعيّة في المجتمع المسلم فلنبادر إلى ذكر **الخطوط العريضة** في تأمين موارد المال ، ثم وضع هذا المال في مصارفه المخصّصة له .

* **اما تامين موارد المال فهو كما يلي :**

● جباية الزكاة : إنّ الدولة في نظر الإسلام مسؤولة عن جمع الأموال الظاهرة من

---

(1) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (7 / 12) . (2) مسند الإمام أحمد (2 / 431) .
(3) اللؤلؤ والمرجان (2 / 243) برقم (1200) .

الأغنياء ، ووضعها في المصارف التي نصّ عليها القرآن ، وإذا امتنع الأغنياء عن تأدية الزّكاة ، قاتلهم أولوا الأمر ، وأخذوها منهم بالقوة ، ليصرفوها في المصارف المخصّصة لها .

● الاستفادة من الوقف الخيري : سبق أن ذكرنا أن من أنواع الوقف : **الوقف الخيري** ، وهو وقف الأراضي والعقارات من قبل المستطيعين من المسلمين ، لصرف ريعها في جهات الخير ، ومواطن البّر .. والدولة لها الحقّ أن تشرف على هذه الأوقاف الخيريّة رعايةً وجباية واستثمارًا .. حتى تحقّق على شرط الواقف مصالح الخير للمجتمع في أرض الإسلام .

● الاستفادة من وسائل التكافل الفردي : سبق أن تكلمنا أن الإسلام شرع لأفراد المجتمع المسلم موارد للتّكافل ينبغي لمن وجبت عليه أن يقوم بأدائها ، ويعمل على تنفيذها كالكفّارات الماليّة ، والنّذور ، والأضاحي ، والوصايا ، وصدقة الفطر ، وغيرها .. ودور الدولة في ذلك أن تشجّع أو تشرف .. على تأسيس جمعيّات خيريّة ، لتقوم بمسؤوليّتها في جباية هذه الموارد لوضعها في مصارفها في القضاء على الفقر ، وتحقيق التكافل في المجتمعات الإسلاميّة في كلّ مكان .

جباية غير الزكاة من أموال الأغنياء عند الحاجة : وذلك عندما تكون أمة الإسلام مهدّدة بأخطار العدوّ ، أو مجاعات عامّة .. ولم يكن في خزانة الدولة ما يكفي لسدّ الحاجة .. وجب على الدّولة – كما قرّر الفقهاء – أن تأخذ من أموال الأغنياء بقدر ما يدفع الخطر عن المسلمين ، ويحقّق المصلحة لهم بناءً على نصوص الشريعة ، وقواعد الإسلام .

فمن نصوص الشريعة : روى مسلم عن أبي سعيد الخدري عن النبي عليه الصلاة والسلام : « من كان معه فضل ظهر (أي مركوب) فليعد به على مَنْ لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على مَنْ لا زاد له » ، فذكر رسول اللّه ﷺ من أصناف المال .. حتى رأينا أنه لا حقّ لأحد منا في فضل [1] .

ومن قواعد الإسلام : « يجب دفع الضرر الأعلى بتحمّل الأدنى » ..

● الاستفادة من موارد الفيء والغنيمة [2] : وهما موردان هامّان من موارد العدالة الاجتماعيّة في المجتمع المسلم ، لأن من جملة مصارفها صرفها على اليتامى والمساكين وابن السبيل ..

(1) صحيح مسلم كتاب اللقطة ب (4) برقم (18) .

(2) الفيء هو كل ما أخذ من الأعداء صلحًا ، والغنيمة : هو كل ما أخذ من الأعداء قتالا .

ففي مصرف الفيء يقول تعالى : ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [1] .

وفي مصرف الغنيمة ، يقول جلّ جلاله : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [2] .

تلكم أهم موارد الدولة للمال في تحقيق التكافل ، ومعالجة الفقر في بلاد الإسلام ، وقد أدّت هذه الموارد دورها ، وقامت الدولة الإسلاميّة بمسؤوليّتها عبر التاريخ وفي تعاقب الأجيال ، بل نَعِمَ المجتمع الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه بنعمة العيش الأرغد ، والحياة الهانئة الكريمة ، والتّاريخ – كما سيأتي – أكبر شاهد على ما نقول .

* **أما توزيع الدولة المال على المستحقين فهو كما يلي :**

الفقراء : وهم الذين لا يملكون شيئًا .

المساكين : وهم الذين يملكون أقلّ من نصاب الزكاة .

العاملون عليها : وهم الذين نصّبتهم الجهات المسؤولة في جباية الزكاة .

المؤلّفة قلوبهم : وهم أنواع : منهم من يعطى لما يرجى من تثبيت إيمانه ، ومنهم من يُعْطَى لما يرجى من إسلام نظرائه من الكفار ..

وفي الرّقاب : وهم الأرقّاء الذين يرغبون في تحرير أنفسهم من الرّق ، وذلك بالاتفاق مع أسيادهم .

والغارمون : وهم الذين عليهم ديون مستحقّة لضرورة على وجه مشروع .

وفي سبيل الله : المراد بذلك : المجاهدون الذين تفرّغوا للجهاد ، والعلماء الذين تفرّغوا للعلم ، والدّعاة الذين تفرّغوا للدعوة ..

وأبناء السبيل : هم الغرباء عن بلدهم ، والمنقطعون عن أموالهم ، وليس لهم مورد في الغربة يكفيهم وهذه المصارف التي سبق ذكرها خاصة بمورد الزّكاة ، وهي مما أمر الله بها في محكم تنزيله ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [3] .

---

(1) سورة الحشر الآية : 7 . (2) سورة الأنفال الآية : 41 . (3) سورة التوبة الآية : 60 .

والنّبي صلوات اللّه وسلامه عليه ، وخلفاؤه من بعده كانوا يقومون بدورهم في مراقبة أبناء المجتمع ، فإذا ما رأوا العزَب الذي لا يجد المهر ، أو الفئة الفقيرة التي لا تجد الكفاية ، أو الأعمى الذي لا يجد القائد . أو العاجز الذي لا يجد الخادم ، أو العاطل الذي لا يجد العمل ، أو أبا الأولاد الذي لا يستطيع الإعالة .. فكانوا يخصّصون لهم مخصّصات من بيت المال العام .. ليحقّقوا لهم العيش الأفضل ، والحياة الكريمة ، والرّاحة النفسيّة الهانئة .

وإليكم الصّور والنماذج :

أ – كان الرسول ﷺ – فيما رواه أبو عبيد – إذا أتاه فيء قسّمه من يومه ، فأعطى الآهل (أي المتزوّج) حظّين ، وأعطى العزَب حظًّا واحدًا ، **وهذا ما يسمى بتعويض الزوجة .**

ب – روى مسلم أن رجلًا جاء إلى رسول اللّه ﷺ فقال : يا رسول اللّه إني تزوّجتُ امرأة من الأنصار ، فقال عليه الصلاة والسلام : على كم تزوّجتها ؟ قال : على أربع أواقٍ قال ﷺ : « على أربع أواق ؟ كأنما تنحتون الفضة من عُرض الجبل !! . ما عندنا ما نعطيك ، ولكن عسى أن نبعثك في بعثٍ تُصيب منه »[1] . **وهذا ما يسمى بتأمين المهر لمن يرغب بالزواج .**

ج – روى القرطبي أن الرسول ﷺ حينما وضع يده على فيء بني النضير قسّمه بين المهاجرين خاصّة ، ولم يُعط الأنصار منه شيئًا إلا ثلاثة نفر هم : أبو دجانة ، وسهل بن حنيف ، والحارث بن الصمّة ، لكونهم فقراء كالمهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم في مكة . **وهذا ما يسمى بتأمين التوازن والعدل في المجتمع .**

د – روى أبو داود والترمذي والبيهقي أن رجلا من الأنصار جاء إلى رسول اللّه ﷺ يسأله شيئًا من المال وهو قويّ معافى .. فباع له النبي عليه الصلاة والسلام بعض الأمتعة التي كان يملكها بدرهمين ، فأخذ نبيّ الإسلام الدرهمين فأعطاهما الأنصاري ، وقال له : « اشْتَرِ بأحدهما طعامًا فانبذه إلى أهلك ، واشْتَرِ بالآخر قدومًا (أي فأسًا) فائتني به » ، فأتاه فَشدّ فيه رسول اللّه ﷺ عودًا بيده ، ثم قال : « اذهب فاحتطب ولا أرينّك خمسة عشر يومًا » ، ففعل ، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها ثوبًا ، وبعضها طعامًا ، فقال عليه الصلاة والسّلام للرجل : « هذا

---

(1) صحيح مسلم كتاب النكاح ب (12) رقم (75) .

خير لك من أن تسأل الناس ، والمسألة نُكْتَةٌ (أي علامة) في وجهك يوم القيامة ، إن المسألة لا تصلح إلا لذي ثلاث : لذي فقر مُدْقِع (أي شديد) ، أو لذي غُرْم مُفْظِع (أي كثير الدين) ، أو لذي دمٍ مُوجعٍ (أيّ لمن عليه ديّة) »[1] **وهذا ما يسمى بتأمين سبُل العمل للقادر عليه .**

هـ - روى أبو يوسف في كتابه « الخراج » : أن عمر - رضي اللّه عنه - مرّ بشيخ كبير يسأل الناس ، فسأله ما أنت يا شيخ ؟ قال : ذمّي (وكان يهوديًّا) يسأل الجزية والصدقة ، فقال له عمر : ما أنصفناك أكلنا شبيبتك[2] ، ثم نضيّعك في هرمك ؟ ! ثم أخذه إلى بيته فأعطاه ما وجده ، وأرسل إلى خازن بيت المال يقول : انظر هذا وضرباءه (أي أمثاله) ، فافرض لهم من بيت المال ما يكفيهم وعيالهم ، إنما الصّدقات للفقراء والمساكين وهذا من مساكين أهل الكتاب .

وروى البلاذري في كتابه « فتوح البلدان » : ومر عمر - وهو في طريقه إلى الشام - بقوم مَجْذُومين من النّصارى ، فأمر بأن ينفق عليهم من بيت المال ، وأن يجعل لكل واحد منهم من يخدمه ، ويقوم على شؤونه .

وهذا ما يسمّى بكفالة الدوّلة للذميّين من أهل الكتاب .

و - وروى أبو عبيد في كتاب « الأموال » : أن عمر - رضي اللّه عنه - زوّج ابنه عاصمًا ، وأنفق عليه شهرًا من مال اللّه .

وهذا ما يسمى بكفالة الدولة لمن لا يجد أسباب الرزق .

ز - وروى أبو عبيد أيضًا أن عمر بن الخطاب - رضي اللّه عنه - كان يفرض لكل مولود عطاءً إلى عطاء أبيه يقدّر بمائة درهم ، وكلما نما زاد العطاء .. وقد جرى عليه من بعده عثمان وعلي والخلفاء ..

وهذا ما يسمى اليوم بالتعويض العائلي لصاحب العيال .

ح - وثبت تاريخيًّا أن عمر بن عبد العزيز - رحمه اللّه - كان يخصّص للأعمى قائدًا ، وللعاجز خادمًا . تجري نفقاتهم جميعًا من بيت المال .

وهذا ما يسمى برعاية الدولة لكبار السنّ وأصحاب العاهات .

---

(1) سنن أبي داود (1641) ، وسنن الترمذي (1218) ، وسنن البيهقي (4 / 195) .
(2) أكلنا شبيبتك : أي أخذنا منك الجزية في سنّ الشباب .

تلكم أهمّ المسؤوليّات التي ينبغي أن تنهض بها الدّولة الإسلاميّة في تأمين موارد المال ، وإنفاقه في مصارفه المخصّصة له .. للقضاء على الفقر والجهل والمرض في المجتمع الإسلامي ، وتحقيق العيش الأفضل ، والحياة الهانئة الرغيدة لكلّ إنسان .

ولقد نجحت الدولة الإسلامية عبر التاريخ في تجربتها التكافلية الرّائدة ، وعدالتها الاجتماعيّة المتميزة .. وذلك حين أخذتْ بالمبادئ التي سنّتها شريعة الإسلام في معالجة الفقر حُكّامًا ومحكومين ، وأفرادًا ومسؤولين .. فإن الفقر - كما هو معلوم - انعدم نهائيًا ، وأصبح ليس له أيّ أثر أو وجود في بلاد الإسلام في كلّ مكان .

وممّا يؤكّد هذا أن عبد الحكم ذكر في كتابه « سيرة عمر بن عبد العزيز » ما يلي : (قال يحيى بن سعد : بعثني عمر بن عبد العزيز لجمع زكاة إفريقية ، فجبيتُها ، وطلبتُ فقراء نعطيها لهم ، **فلم نجد من يأخذها منّا ، فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس** ، فاشتريتُ بها رقابًا (أي عبيدًا) فأعتقتُهم في سبيل اللّه) !!.

ولاشكّ أن للتربية الإيمانيّة والوجدانية [1] التي ربّى الإسلام أبناءه عليها كانت لها أكبر الأثر في تسابق الأغنياء والموسرين في تحقيق التّكافل الاجتماعي في المجتمع المسلم ، فالفقير أو المحتاج أو المديون أو أصحاب العاهات أو .. أو .. قبل أن تقوم بكفالتهم الدولة كان الأفراد يقومون بدورهم في سدّ عوزهم ، وتأمين حاجتهم ، ووفاء دينهم ، ورعاية شيخوختهم ، وكفكفة أحزانهم ، ومسح جراحهم ، وتحقيق تكافلهم ..

وهكذا اغتنى الناس ، وزالت فوارقهم ، ورتعوا في رياض الأمن والاستقرار لما قام الجميع حكامًا ومحكومين ، وأغنياء وميسورين .. بدورهم في تأمين العيش الأرغد ، والحياة الأهنأ لكل مواطن يعيش في ظلّ دولة الإسلام بغضّ النظر عن دينه وملّته ، وجنسه ولونه .. ما دام إنسانًا ذا روح ، وذا خصائص إنسانية ، وذا كرامة متأصّلة ..

ثم ماذا عن سدّ حاجة الدعاة ؟

نعم ! الداعية إلى اللّه لا يمكنه بحال أن يقوم بمسؤوليته كاملة ، وبأمانة الدعوة على الوجه المطلوب .. **إلا أن يتهيّأ له مورد من الرزق** ، يستطيع أن يسدّ به حاجته ، وحاجة عياله ، ويستطيع أن يحفظ به كرامته وسمعته من أن يفكر في أن يمدّ يده إلى

---

(1) ارجع إلى كتاب « التكافل الاجتماعي في الإسلام » للمؤلف فصل « أثر التربية الوجدانية في تحقيق التكافل » تجد من الأمثلة والنماذج ما يشفي الغليل .

سؤال الناس ، ويستجدي منهم المعونة قرضًا أو هبةً أو صدقة !!.

ومورد الرزق ينبغي أن يكون كافيًا في تحقيق عيش أفضل ، وحياة هانئة كريمة حيث يتأمّن له ولعياله المسكن الصّالح ، والطعام الصالح ، ونفقات العلاج والكساء ومستلزمات الأثاث بشكلٍ صالح لائق ..

والداعية إلى اللّه حين يتأمّن له مورد من الرزق دائم ، ويكون في مستوى جيد من العيش الكريم .. فلا يشكو همًّا ، ولا يعتريه قلق ، ولا يقف في طريق دعوته عائق .. بل ينطلق في أداء رسالته ، وتبليغ دعوته بكلّ مثابرة وعزم واهتمام وراحة نفسيّة ..

ولكن ! كيف يتأمّن له مورد المال ؟

الأصل في العالم أو الداعية أو كلّ من يكون في المجتمع محلّ قدرة .. أن تكون يده هي العليا في إعالة نفسه وعياله ، وفي إنفاق ماله وسخائه ، وفي استغنائه عمّا في أيدي النّاس .. وذلك لما روى البخاري عن أبي هريرة – رضي اللّه عنه – عن رسول اللّه ﷺ أنه قال : « اليد العليا خير من اليد السُّفلى ، وابدأ بمن تعول ، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، وَمَنْ يستعفِفْ يُعِفّه اللّه ، ومَنْ يستَغْنِ يُغْنِه اللّه » [1] .

والأصل في أولئك أيضًا أن يكون لهم مَوْرِدٌ يكتسبون منه من تجارة أو وظيفة أو مهنة أو أيّ عمل حلال .. اقتداءً بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وتأسّيًا بالسّلف الصالح رضي اللّه عنهم :

– فالنبي ﷺ كان قبل النبوة يرعى الغنم على قراريط (دراهم زهيدة) لأهل مكة ، وكان يأخذ في الإسلام وبعد أن شرع اللّه الجهاد قسمته من الغنيمة أو الفيء ..

– ونبيّ اللّه داود عليه السلام كان لا يأكل إلا من عمل يده .

– وزكريّا عليه السلام كان نجّارًا .

– وعثمان بن عفان كان تاجرًا موسرًا منفقًا في سبيل اللّه .

– والليث بن سعد كان ذا غلات سنويّة كثيرة ، ينفقها ولا يدّخر شيئًا منها .

– والإمام أبو حنيفة ، والليث بن سعد – رحمهما اللّه – كانا تاجرين ينفقان أكثر مما يملكانه على طلّاب العلم .

---

(1) البخاري رقم (1427) .

وهناك مئات غيرهم ، بل آلاف أمثالهم سلفًا وخلفًا أعطوا القدوة للبشريّة في قناعتهم وكفافهم ، وبذلهم وإيثارهم ، واستغنائهم وعفافهم .. فكانوا بحقّ خير الناس .

نعم ! ينبغي أن يكون الداعية ومَنْ على شاكلته من أهل العلم ذا قدوة في ذلك كلّه ، ولكن إذا لم يتيسر له المورد الذي يكفيه ، والكسب الذي يغنيه ، والمال الذي يرفعه .. هل يمدّ يده إلى النّاس ؟ وهل يعيش عالة على غيره ، وهل يريق للموسرين ماء وجهه ؟ وهل يفكر في أن يترك عمله الإسلامي ليسدّ بنفسه باب عوزه وفقره ؟ وهل يتحمّل على مدى الأيام هموم مورده ورزقه ؟ وهل يقف على أبواب الموسرين يستجدي منهم لتأمين حياته وعيشه ؟ .

فإذا كان الجواب بعد هذه التساؤلات لا فلماذا لا تفكّر الجماعة التي ينتمي إليها ، أو الجبهة الإسلامية التي يتعاون معها ، أو العشيرة التي انبثق منها .. أن تؤمّن له عيشًا أفضل ، وحياة هانئة كريمة ، ومرتّبًا كافيًا دائمًا ؟

من أين يعطى له المرتّب ؟

سبق أن تكلّمنا في معالجة الإسلام للفقر على صعيد الأفراد والمجتمع والدّولة أنّ من مصارف الزكاة التي نصّ عليها القرآن الكريم **مصرفًا في سبيل اللّه** ، وأنّ من الموارد التكافليّة التي أوجبتها الشّريعة الإسلامية على الأفراد **مورد الوصيّة والنّذر** ..

ونحن نعلم أن المصرف في سبيل اللّه ينفق على المجاهدين المتخصّصين ، والدعاة المتفرّغين وأن مورد الوصيّة والنّذور .. يوضع في أعمال البرّ ، وجهات الخير .. ومجالات الدّعوة إلى اللّه ..

فما المانع شرعًا أن تؤسّس الجماعات الإسلاميّة بجبهتها الموحّدة ، أو كلّ جماعة بشخصيّتها المستقلّة جمعيّات خيريّة يكون من أهمّ مواردها جمع الزكوات والوصايا والنّذور .. ممن أوجب اللّه عليهم ذلك ؛ ويكون من أوّل أهدافها الإنفاق على المجاهدين المتخصّصين العاملين ، والدعاة المتفرّغين المخلصين .. ؟ ، ويكونون بعملهم هذا قد فرّغوا للدعوة الإسلاميّة دعاة متخصّصين متفرّغين أكفاء .. ينطلقون بإيمان وعزم وتصميم على درب العمل الإسلامي ، وميدان الدعوة إلى اللّه .. دون أن تقف في طريقهم عقبة ، ودون أن يحملوا في نفوسهم همّ عيش ، ودون أن يشغلهم عن العمل الدّعوي تأمين مورد .. ولاشكّ أنّ الجماعة الإسلاميّة حين يتهيّأ لها دعاة

متفرّغون متخصّصون مخلصون .. فإن المسيرة الدّعويّة تنتعش وتقوى ، وأن الصّحوة الإسلاميّة تمتدّ وتزداد ، وأن الأمّة المحمّدية ترتقي دائمًا إلى الأفضل .. لتعود في نهاية المطاف خير أمّة أخرجت للناس .

وينبغي أن لا يغيب عن البال أنّ على الجماعات الإسلاميّة المخلصة في المجتمعات الإسلاميّة في كلّ مكان أن تعتمد في موارد رزق دعاتها ، وتأمين النفقات لصالحها على نفسها بالدرجة الأولى ، فإن لم تكف مواردها فتعتمد في الدرجة الثانية على غيرها من الأغنياء الغيورين ، والجمعيّات الخيريّة المخلصة ..

وسبق أن ألمحنا أن من جملة الاعتماد على نفسها في تأمين المال أن تقوم هي جهرًا أو ضمنًا على تأسيس جمعيّات تكون من أهمّ أعمالها جمع الزكوات والوصايا والنّذور والكفّارات .. ممن أوجبها اللّه عليهم ، عدا عن جمع الهبات والتبرّعات التي يجود بها الغيورون المخلصون من أغنياء الأمّة الإسلاميّة وموسريها .. فإنهم بهذا العمل – كما نوّهنا – يسدّون حاجة الدعوة في كل ما تحتاجه من متفرّغين ، ونفقات تكافليّة ، ومستلزمات دعويّة ..

أما أن تعتمد الجماعات الإسلامية على الدولة في تأمين مواردها فإن هذا دونه خرق القتاد ، أو هو رابع المستحيلات ، ذلك لأن أكثر البلاد في المجتمعات الإسلاميّة تُحكم من قبل **حكومات علمانيّة لا دينيّة** تحارب الإسلام ، وتكتم أنفاس الدعاة .. وإذا قدّمت شيئًا من معونة لجهات إسلاميّة فإنها تهدف من ورائها شراء الضمائر المسلمة ، أو دعاية كاذبة تطنطن لها ، ليثق المسلمون بها ويمشون وراء بغيها وضلالها .. وهذا ما نسمع عنه بين كل فترة وفترة أنها طبعت باسم رئيسها مصاحف ، أو بنت مساجد ، أو حسّنت من أوضاع أرباب الشعائر ، أو خصّصت للعلماء موارد ، أو غير ذلك .

هل عرف الدعاة أنّ عليهم أن يكونوا من أصحاب اليد العليا حفاظًا على كرامتهم؟ وهل عرفت الجماعات الإسلاميّة كيف يؤمّنون لدعاتهم موارد العيش الأفضل لسدّ عوزهم وحاجتهم؟ إن أدركوا هذا وذاك سارت الدّعوة الإسلاميّة في مسيرتها نحو غد مشرق ، وأمل بسّام في بناء الدولة الإسلاميّة ، وترسيخ حكم اللّه في الأرض .

* * *

2 - حلّ مشكلة فتنة الغنى :

حبّ المال وجمعه غريزة متأصّلة في الإنسان ، وخلُق فطريّ منطبع في أعماق

الكيان ؛ وهذا أمر أفصح عنه القرآن ، وكشف عن حقيقته النّبي عليه الصلاة والسلام .

أما أنه أفصح عنه القرآن فلقوله تعالى : ﴿ .. وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۝ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [1] .

وأما أنه كشف عن حقيقته النبي عليه الصلاة والسلام ، فقد روى الشيخان وغيرهما عن أنس – رضي اللّه عنه – مرفوعًا : « لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى إليهما ثالثًا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التّراب ، ويتوب اللّه على من تاب » [2] .

وما غريزة حب المال والتملّك التي فطر اللّه الناس عليها إلا نوع من الاختبار والابتلاء لتظهر الحقيقة في أجلى معانيها ، ليظهر صاحب المال على حقيقته : هل يجمع المال من حلال أم من حرام ؟ هل ينفقه في الخير أم في الشرّ ؟ هل يؤدّي حقّ اللّه وحقّ العباد فيه أم يمتنع عن أداء الحقوق ؟ هل يصرفه عن مسؤوليّة الدعوة والإسلام والمسؤوليّات الأخرى .. أم يقوم بكلّ المسؤوليّات على الوجه الأكمل ؟

كلّ ذلك يظهر على الحقيقة بعد أن يملك المسلم المال ، وبعد أن يفيض عليه .. ولاشك أنّ المال الكثير في يد صاحبه اختبار مرّ ، وفتنة قاسية ، ومحنة أليمة .. قلّما ينجو مَنْ خاض غمارها ، وهبّت عليه رياحها .. وقلّما يسلم من ابتُلي بزهرة الحياة الدّنيا ، وملك قناطيرها المقنطرة من الذهب والفضة !!

ذلك لأنّه جعل الدُّنيا أكبر همّه ، ومبلغ علمه ، ومال إليها بمشاعره وأحاسيسه ، وأعطاها كلّ جهده ووقته .. فلا عجب أن يتغيّر المسلم بعد أن رأى الأبيض والأصفر يرنّ بيده ، ولا غرابة أبدًا أن يتحوّل إلى الأسوأ بعد أن أصبح من أرباب الأموال ، وأصحاب الأعمال ، وتقلّب في البذخ والنعيم !!

من أجل هذا حذّر الإسلام من المال .. بل اعتبره فتنة .. بل اعتبره سببًا للهلاك والدمار .. بل اعتبره جسرًا للفساد والضّلال ..

وإليكم طاقة من النصوص تثبت ذلك :

– ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [3] .

---

(1) سورة الفجر الآيات : 19 - 20 .

(2) اللؤلؤ والمرجان (1 / 121) برقم (622 ، 623) .

(3) سورة الأنفال الآية : 28 .

- ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [1] .

روى الترمذي بسند صحيح عن كعب بن عياض رضي اللّه عنه قال : سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول : « **إن لكل أمة فتنة ، وفتنة أمّتي المال** » [2] .

- روى الشيخان عن عمرو بن عوف الأنصاري - رضي اللّه عنه - أن رسول اللّه ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجرّاح إلى البحرين يأتي بجزيتها ، فقدم بمال من البحرين ، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة ، فوافوا صلاة الفجر مع رسول اللّه ﷺ ، فلما صلّى رسول اللّه ﷺ انصرف فتعرّضوا له ، فتبسّم رسول اللّه ﷺ ثم قال : « أظنّكم سمعتم أنّ أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين ؟ : فقالوا : أجل يا رسول اللّه ، فقال : « **أبشروا وأمّلوا ما يسرّكم ، فواللّه ما الفقرَ أخشى عليكم ، ولكنّي أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على الذين من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتُهلككم كما أهلكتهم** » [3] .

- روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري - رضي اللّه عنه - قال : جلس رسول اللّه ﷺ على المنبر وجلسنا حوله فقال : « **إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يُفتح عليكم من زهرة الدّنيا وزينتها** » [4] .

صحيح أن المال فتنة ، وأنّه طريق إلى المفسدة ، وأنّه عامل كبير في هلاك الأمم ، ولكن هو في الوقت نفسه سعادة ، وطريق إلى بناء الاقتصاد ، وتحقيق التكافل .. وهو عامل كبير في تقدّم الأمم ، وأسباب عزتها ونهضتها ..

وهذا ما أعرب عنه القرآن الكريم حين عبّر عن المال بالخير في أكثر من آية في كتاب اللّه :

- ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [5] .

- وقال سبحانه على لسان سيدنا موسى عليه السلام : ﴿ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [6] .

- وقال يحكي فطرة الإنسان عن حبّه للمال : ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [7] .

---

(1) سورة آل عمران الآية : 14 . (2) سبق تخريجه (2 / 555) .
(3) اللؤلؤ والمرجان (3 / 316) برقم (1866) . (4) اللؤلؤ والمرجان (1 / 223) برقم (626) .
(5) سورة البقرة الآية : 180 . (6) سورة القصص الآية : 24 . (7) سورة العاديات الآية : 8 .

فالقرآن الكريم أطلق « الخير » في الآيات الكريمة إشارة لطيفة إلى أنه لا يرى المال ذا قيمة واعتبار إلا إذا استُعمل في أوجه البرّ ، وأنفق في طرق الخير ..

وإلى هذا ألمح النبي صلوات الله وسلامه عليه في الحديث الذي رواه البخاري في الأدب المفرد : « **نعم المال الصالح للرجل الصالح** » (1) .

ولا يخفى على كل ذي عقل وبصيرة أنّ المال إذا أُنفق في طرق الخير كان من أكبر العوامل في ازدهار الاقتصاد في المجتمع ، وكان من أعظم الأسباب في تثبيت أركان التّكافل وتدعيم ركائز العدالة الاجتماعية بين الفرد والمجتمع والدّولة .

ومن هنا ندرك مقولة القائل : « **الغنيّ الشّاكر أفضل من الفقير الصابر** » ، الغني الشاكر كان أفضل لأنه شكر الله على ما أسبغ عليه من نِعَم ظاهرة وباطنة ، والتي منها : **نعمة المال** ، شكره باللسان ، وشكره بكفّ الجوارح عن الحرام ، وشكره بوضع المال في مصارفه الشرعيّة المخصّصة له ، وشكره في ابتغاء الأجر والمثوبة على إنفاق المال في سبيل الله ..

فالغنيّ الشاكر إذن نجا من فتنة المال ، وفاز من إغراءات الإثم ، وسلم من مفاسد الحياة .. مع وفرة الغنى ، وكثرة المال !!

أما الفقير الصابر فله أجر الصبر والمصابرة على فقره وضيق يده ، وعلى قناعته بعيش الكفاف .. أما شكرانه على النّعْمة فهو أمر مجهول ، والمؤمّل غير معلوم ، والمستقبل غيب .. ومن يدري إذا أقبلت عليه الدنيا ، وأعطاه الله من فضله ، وأغدق عليه من نعمه .. هل يشكر أم يكفر ؟ هل يثبته على الحق أم يطغى ؟ هل يلتزم حدود الله أم يفسق ؟

القرآن الكريم يشير إلى أنّ الإنسان في طبيعته إذا ابتُليَ بالغنى مَالَ إلى الطغيان ، وشذّ عن منهج الله .. قال سبحانه في سورة العلق : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾ (2) .

ولكن إذا هذّب هذه الطبيعة البشرية بالإحسان ، وتربّى على الإيمان ، وتلقّن منذ نشأته مبادئ الإسلام .. فإنه يكون إنسانًا آخر في أدبه ، وأخلاقه ، والتزامه وصلاحه ، وورعه وتقواه .. فلا يطغيه مال ، ولا تفتنه دنيا ، ولا يبطره غنى ، ولا يميل إلى إثم ، ولا تغيّره نعمة .. ولا يفوته أجر العاملين المخلصين .. ويكون ممن قال الله عنهم في محكم التنزيل : ﴿ .. وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ

---

(1) الأدب المفرد 299 .

(2) الآيتان 6 ، 7 من سورة العلق .

عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ [1] .

ثم ماذا عن فتنة الدعاة بالمال ؟

الداعية إلى اللّه عز وجل إذا أدرك جيّدًا أن غريزة حبّ المال المتأصّلة في الإنسان ابتلاء واختبار ، وإذا علم أن الإسلام حذّر من فتنة الغنى ، وبَطر النعمة ، وطغيان المادة .. وإذا عرف أنّ مسؤوليّة المسلم أن يؤدّي إلى كلّ ذي حقّ حقه في الحياة .. وإذا تفكّر أن المال الذي بيده مال اللّه ، وأنه مؤتمن عليه ، ومستخلف فيه ، لا ينفقه إلا في الحدود المرسومة ، والطرائق المشروعة .. وإذا تذكّر أنّه ليس من ديدن المؤمن أن يجعل الدنيا أكبر همّه ، ومبلغ علمه كما جاء في دعاء النبي ﷺ ..

الداعية إلى اللّه إذا أدرك كلّ هذا وتمعنه جيدًا .. فإنّه يستقيم على منهج الحق ويلتزم مبادئ الإسلام ، ويقف عند حدود اللّه .

أما سياسته مع المال فلا يكسبه إلا من حلال ، ولا ينفقه إلا في خير ، ينظر إليه على أنه وسيلة لا غاية ، يوفّق بينه وبين مسؤوليّاته الأخرى ، يستخدمه في سبيل الدعوة وإعزاز دين اللّه ، لا ينعطف به إلى حياة الترهّل والإخلاد إلى الأرض .

وهذا لا يتأتّى إلا أن يضع في حسبانه الأمور التالية :

عليه أن **يعتقد** اعتقادًا جازمًا أن المال الذي في يده مال اللّه ، وأن اللّه مستخلفه فيه ، وإذا كان الأمر كذلك فعليه أن يتصرّف فيه على وفق ما أراده المستخلف منه كسبًا وإنفاقًا .. قال تعالى : ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [2] ، وقال جلّ جلاله : ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ [3] .

عليه أن **يعلم** أنه مهما كثر ماله ، ومهما استغنى .. ليس له من ماله إلا ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبْلى ، أو تصدّق فأُجِرَ .. والباقي للورثة ، روى مسلم عن عبد اللّه ابن الشّخّير – رضي اللّه عنه – أنه قال : أتيتُ النبي ﷺ وهو يقرأ : ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ [4] قال : يقول ابن آدم : مالي مالي ، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلتَ فأفنيتَ ، أو لبستَ فأبليتَ ، أو تصدّقتَ فأمضيتَ » [5] .

عليه أن **يوقن** أن الدنيا وما فيها من جمال وزينة ، وما تضمّ من قناطير مقنطرة من

---

(1) سورة الليل الآيات : 17 - 21 . (2) سورة النور الآية : 33 . (3) سورة الحديد الآية : 7 .
(4) سورة التكاثر الآية : 1 . (5) صحيح مسلم كتاب الزهد (3) .

ذهب وفضة ، وما يجد الإنسان فيها من سعادة ومتعة .. لو تعدل عند اللّه جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء ، روى الترمذي وقال : حديث حسن صحيح عن أبي سهل بن سعد الساعدي قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **لو كانت الدنيا تعدل عند اللّه جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء** » [1] .

عليه أن **يضع في خَلَدِه** أنه في هذه الحياة غريب أو عابر سبيل ، وأنه مهما طال به العمرُ ، وامتدّتْ به الحياة لابدّ أن يلقى اللّه عز وجل ، ليجازى بالخير خيرًا ، وبالشرّ شرًّا ..

روى البخاري عن ابن عمر – رضي اللّه عنهما – قال : أخذ رسول اللّه ﷺ بمنكبي فقال : « **كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل** » ، وكان ابن عمر يقول : « إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحّتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك » [2] .

عليه أن **يدور في حسبانه** أنّ المال لا ينفع ، وأنّ الحسب لا يشفع ، وأنّ القوّة لا تدفع .. إذا جاء يوم الحساب وقد فتنه المال ، وغرّته الدّنيا ، ومال عن الحق ..

روى الشيخان عن أنس رضي اللّه عنه ، عن رسول اللّه ﷺ قال : « يتبع الميت ثلاثة : أهله وماله وعمله ، فيرجع اثنان ويبقى واحد : يرجع أهله وماله ، ويبقى عمله » [3] .

والعمل الذي يبقى معه ، إما أن يدخله النار ، أو يدخله الجنة ، قال تعالى في سورة النازعات : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [4] .

تلكم أهمّ الاعتقادات التي ينبغي أن يضعها الداعية في خلده ، وأن يجعلها في حسبانه في سياسته للمال ، ومن موقفه من الدنيا ، وفي مسؤوليّته في حمل أمانة الدعوة ، وإعزاز دين اللّه .. فإذا هو فعل ذلك استطاع أن يتغلّب على فتنة المال ، وأن يستحوذ على الهوى ، وأن يتسلّم زمام الحياة ، وأن يعمل للدنيا والآخرة ، وأن يبني لأمّته مجدًا ، ولدينه عزًّا ، ولدعوته رفعة .. وكان لجهوده المتواصلة الأثر الطيّب ، والذّكر الحسن .. في العالمين .

* * *

3 - حلّ مشكلة الخوف على الأموال :

الأصل في المسلم حين ينزل ميدان الحياة أن يتّقي المصائب ، ويتجنّب النوائب ،

---

(1) سنن الترمذي (2320) .
(2) سبق تخريجه (2 / 555) .
(3) اللؤلؤ والمرجان برقم (1865) .
(4) سورة النازعات الآيات : 36 - 41 .

وأن يأخذ بجميع الأسباب الوقائيّة ، والوسائل التحذيريّة .. ليأمن ويسلم ، ويصحّ ويقوى .. **وهذا من مبادئ هذا الدّين :**

- قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [1] .

وقال سبحانه : ﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [2] .

روى الشيخان عنه عليه الصلاة والسلام : « يا أيها الناس لا تتمنّوا لقاء العدوّ ، واسألوا اللّه العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنّة تحت ظلال السيوف .. » [3] .

- روى البخاري عنه ﷺ : « **فرّ من المجذوم فرارك من الأسد** » [4] .

روى مالك وابن ماجه .. أن رسول اللّه ﷺ قال : « **لا ضرر ولا ضرار** » [5] .

فهذه النصوص تؤكّد أن الأخذ بالأسباب الوقائيّة هي من منطلقات هذا الدّين ، وأنّ الذي يخالفها ، ولا يعمل بمقتضاها .. فإنّه يقع في الإثم ، ويتعرّض للجزاء يوم الحساب .

ولكن في بعض الأحيان الأسباب الوقائيّة المأمور المسلم بها مهما توقّى وتوغّى .. لا تغني عن حَذَر ، ولا تردّ قدرًا .. فالمسلم في مثل هذه الحال إذا وقعت في ساحته المصيبة ، أو نزلت عليه النّائبة ؛ عليه أن يصبر ويحتسب ، ويعتقد اعتقادًا جازمًا أن كلّ ما أصابه هو من قضاء اللّه وقدره ، وَمِن ابتلاء اللّه له ، ومحبّته إيّاه .

أما أنّها من قضاء اللّه وقدره فلقوله سبحانه : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [6] .

وأما أنّها من ابتلاء اللّه له فلقوله جلّ جلاله : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [7] .

وأمّا أنها من محبّته إيّاه فلما روى الترمذي بإسناد حسن عن أنس – رضي اللّه عنه – قال : قال النبي ﷺ : « إن عِظَم الجزاء مع عظم البلاء ، **وإن اللّه تعالى إذا**

---

(1) سورة النساء الآية : 29 .
(2) سورة البقرة الآية : 195 .
(3) اللؤلؤ والمرجان (2 / 202) برقم (1137) .
(4) صحيح البخاري (5707) .
(5) الموطأ ص 745 ، وسنن ابن ماجه (2340 ، 2341) .
(6) سورة الحديد الآيتان : 22 - 23 .
(7) سورة البقرة الآيات : 155 - 157 .

أحبّ قومًا ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومَنْ سخط فله السّخط » [1] .

أين الدعاة من هذا ؟

فمن هذا المنطلق الإسلامي الذي فصّلنا القول عنه يجب أن يواجه الدعاة أحداث الحياة ومصائبها ، ويجب أن يسيروا على مبادئ الإسلام ومقاصدها ..

فالداعية إلى اللّه في مسيرته الدعويّة لا يتمنّى لقاء العدوّ ، ولا يرمي نفسه في المهالك والمخاطر ، وإنما تكون دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة ، والجدل بالتي هي أحسن .. ويدفع الشرّ عن نفسه وعن دعوته ما أمكن ، ويأخذ بالأسباب الوقائيّة ، والوسائل التحذيريّة .. ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ..

وذلك حتى لا يتخذ أعداء الإسلام – وهو في مرحلة التربية والإعداد – ذريعة لملاحقته ، وكتم أنفاسه ، ومصادرة أملاكه .. ومبرّرًا لضرب جماعته ، وسحق دعوته ، والتنكيل بكلّ من يقول ربّي اللّه !!

والداعية إلى اللّه هو أولى من يعطي القدوة في الصبر والمصابرة ، والرضى والتسليم .. وذلك حين تقع في ساحته المصائب ، وتنزل عليه النّوائب .. انطلاقًا من عقيدة القضاء والقدر التي يؤمن بها ، وإيمانًا بابتلاء اللّه له ومحبّته إياه حين تعتريه أحداثها وأوصابها ..

فهو إذن مستبصر متّزِن ، وعاقل راشد .. في كلّ مراحله الدعويّة ، ومواقفه التبليغيّة .. فلا يندفع عن عاطفة ، ولا يُقدم عن تهوّر ، ولا يخطو عن تطرّف ..

وهو في الوقت نفسه **قويّ جَلْدٌ ، ومؤمن صُلْبٌ** .. في كلّ ما يمرّ عليه من مِحَن .. لا يجبن عن مسيرة ، ولا ينهزم من مصيبة ، ولا يتزعزع أمام ابتلاء .. وهكذا يظلّ ثابتًا راسخًا مجاهدًا عاملًا مثابرًا صابرًا محتسبًا .. إلى أن يأذن اللّه بالفرج ، أو يموت وقد بذل كلّ ما في وسعه ، وجاهد في سبيل الدعوة حقّ جهاده .. فيلقى اللّه عز وجلّ وقد قرّت عينه ، واطمأنّت نفسه ، وقد أعذر بما أفضى وقدّم ، وبذل وجاهد ..

ثم ماذا عن أجر الصبر والمصابرة ؟

الداعية إلى اللّه حين يصبر على المصيبة ، وحين يصابر على الابتلاء في سبيل الدعوة .. وحين يتعرّض لمحنة لا يستشرفها ، وحين يُبتلى بشدّة لا يتوقّع حدوثها ،

(1) سنن الترمذي (2396) .

وحين يُفاجأ بنوازل ليس له صنع فيها ، فاللّه سبحانه يُؤْجره على صبره ، ويكفّر عن خطاياه ، ويدّخر له يوم يلقاه ما لا عين رأت ، ولا أُذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ..

وإليكم النصوص التي تثبت ذلك :

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [1] .

وقال جلّ جلاله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴾ [2] .

وقال سبحانه : ﴿ .. سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [3] .

روى الشيخان عنه ﷺ : « ما يصيب المسلم من نصَب ولا وَصب ولا همّ ولا حزن ولا أذى ولا غمّ حتى الشّوكة يشاكها إلا كفّر اللّه بها من خطاياه » [4].

روى الترمذي وأبو داود عنه صلوات اللّه وسلامه عليه : « من كظم غيظًا (أي صبر على الخصم) ، وهو قادر على أن يُنفذه (أي ينتقم) ، دعاه اللّه سبحانه وتعالى على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيّره من الحور العين ما شاء » [5] .

روى الشيخان عنه ﷺ : « قال اللّه عز وجل أعددتُ لعبادي الصالحين [6] ما لا عين رأت ، ولا أُذنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » ، واقرؤوا إن شئتم : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [7] .

تلكم أهمّ الحلول الإيجابيّة التي ينبغي أن يأخذ بها الدعاة في معالجة ظاهرة الخوف – والتي منها الخوف على الأموال – في حنايا نفوسهم ، وبؤرة شعورهم ..

فهل عرفت أخي الداعية – على ضوء ما ذكرنا – أنّ الأخذ بالأسباب الوقائيّة في محاذرة العدوّ ، وتجنّب الصراع معه هو من أهمّ ما تضعه في بؤرة الشّعور والوجدان .. وأن الرضى بالقضاء والقدر عند المفاجأة بالمصيبة هو ركن أساسيّ من أركان الإيمان .. وأن الأجر على الصبر عند نزول النائبة لا يتصوّره إنسان .. وأن محبّة اللّه لك هي أعظم ما يرنو إليه جنان ؟ .. إذا عرفت هذا فما عليك إلا أن تتحرّر من الخوف والوجل ، وتثابر على طريق الدعوة والعمل ، ولن يفوتك أبدًا إن شاء اللّه أجر الصابرين العاملين .

---

(1) سورة الزمر الآية : 10 . (2) سورة الفرقان الآية : 75 . (3) سورة الرعد الآية : 24 .
(4) اللؤلؤ والمرجان (1664) . (5) سنن الترمذي (2493) ، وسنن أبي داود (4777) .
(6) من أظهر صفات عباد اللّه الصالحين هم الذين يصبرون على الطاعة ويصبرون عن المعصية ، ويصبرون على المصيبة .
(7) اللؤلؤ والمرجان (1798) والآية من سورة السجدة رقم : 17 .

4 - حلّ مشكلة الانحراف بالغنى :

سبق أن تكلمنا في هذا البحث أن من أسباب تساقط بعض الدعاة على طريق الدعوة طغيان المادّة ، ووفرة المال .. فقد كانوا - كما ألمحنا - قبل أن تتضخّم ثرواتهم النموذج الصالح في التّقى والورع ، واستشعار المسؤولية ، والعمل الدائب للإسلام .. ولكن حين خاضوا غمار الحياة العمليّة ، وأقبلت عليهم الدنيا ، وفتنتهم شهواتها وملذاتها .. انحرفوا ، وفسقوا ، وسقطوا مع الساقطين !!.. وياليتهم قعدوا عن مسؤوليّة الدعوة ، وظلّوا في سلوكهم قومًا صالحين !! لو كان الأمر كذلك لهان الخطب ، **ولكنّ الحقيقة المرّة** أنهم غيّروا وبدّلوا .. وأصبحوا قومًا فاسقين .

فالغنى إذًا هو الذي أطغاهم ، والدنيا المقبلة هي التي فتنتهم ، وبعدهم عن منهج اللّه هو الذي أضلّهم ، وضعف العقيدة الربّانية في نفوسهم هو الذي أفسدهم .. إنهم ساء ما كانوا يعملون .

ولكن ما هي الحصانة التي رسمها الإسلام في تحصين الدعاة من أن تبطرهم النّعمة ، ويطغيهم الغنى ، وتفتنهم زهرة الحياة الدّنيا ؟

الحصانة هي اتّباع الخطوات التالية :

أولاً : قبل أن ينزل الداعية ميدان العمل الإسلامي .. فعليه أن ينتسب إلى مدرسة الدعوة ليتربّى فيها إيمانيًا ، وروحيًا ، وأخلاقيًا ، ونفسيًا ، ودعويًا .. حتى إذا اكتملت شخصيّته ، وترسّخت عقيدته ، وتغذّت روحه ، وتقومّ سلوكه ، وسمت نفسيّته ، وتدرّب على أسلوب الدعوة .. انطلق في خضمّ الحياة العمليّة يؤدّي حقّ اللّه ، وحقّ النفس ، وحقّ العيال ، وحقّ الكسب ، وحقّ الدعوة .. فلا يغلّب حقًّا على حق ، ولا مسؤوليّة على أخرى ، بل يؤدي الحقوق جميعًا بكل دقّة وأمانة وتوازن واتّزان ..

وفي هذا حصانة له من أن يقبل بكليّته إلى الدنيا ، وجمع المال .. ثم ينسى أو يتناسى الحقوق الأخرى .

ثانيًا : على الذين يشرفون على تكوين الدعاة من الجماعات الإسلاميّة أن يعمّقوا في النشء الدعويّ التربية الإيمانية القائمة على مراقبة اللّه في السّر والعلن ، وخشيته في المتقلّب والمثوى ، واللجوء إليه في الأزمات والشّدائد .. هذه التربية إن أحكمت وترسّخت في نفوس من أُعِدُّوا للعمل التربوي والدعوي من الشباب والشابّات ..

كفيلة أن تُحصنهم من وقوعٍ في معصية ، أو اغترارٍ ، أو فتنةٍ من غنى ، أو استرسالٍ في منكر .. **وفي هذا إحصان لهم وأيّ إحصان ؟**

ثالثًا : على الداعية الذي يزاول أعمال الكسب والتجارة أن يضع نصب عينيه مراقبة اللّه عز وجل في التعامل مع المال كسبًا وإنفاقًا ، ولا شك أنه حين يكون مع اللّه في كلّ الأحوال ، فلا يكتسب إلا من حلال ، ولا ينفق إلا في حلال ، ولا يخطو خطوة يبتغي فيها الترويج والمتعة إلا وتحرّى في ترويجه ومتعته الحلال ..

والنبي ﷺ نبّه هذه الأمة أن المسلم مهما كان سوف يسأل يوم القيامة عن شبابه فيمَ صرفه ؟ وعن عمره فيمَ بذله ؟ وعن ماله ممَّ اكتسبه وفيمَ أنفقه ؟ وعن علمه في مسائل الحلال والحرام ما عمل فيه ؟ .. روى الترمذي بسند صحيح عنه عليه الصلاة والسلام : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ما عمل فيه »[1] .

حين يضع الداعية في حسبانه هذه المعاني من مراقبة اللّه ، واللّجوء إليه ، والخوف من مسؤوليّته وعقابه فلا يفسق ، ولا ينحرف ، ولا يشذّ عن المنهج الذي رسمه اللّه له وأمره به .. **وفي ذلك مناعة له عن الحرام وأيّة مناعة ؟**

رابعًا : من الأمور الهامّة التي ينبغي أن يعرفها كلّ مسلم ولا سيّما من يتصدّى للعمل الدعوي من الشباب أن الولوغ في الإثم ، والتلطّخ بدنس المعصية ، والانزلاق في مزالق الانحلال .. يعرّضه لأمراض جسميّة ، وآفات نفسيّة ، ومشكلات جنسيّة .. وهذا ما كشف عنه الطبّ الحديث **كأمراض الزهري ، والهوس الجنسي ، والإيدز** .. وغيرها من الأمراض التي تحدث العقم ، وتشوّه الجسم ، وتؤدي إلى الموت .. هذا عدا عن تمييع شخصيته ، وسوء سمعته ، وقتل مواهبه ، وضعف إنتاجه ، وقتل أخلاقه ، ولفظه من قبل أهل الحقّ ..

حين يتبصّر الداعية هذه المعاني ، ويتأمّل هذه الحقائق .. فلا يتعرض لغواية ، ولا يفكّر في حرام .. بل يظلّ إنسانًا صالحًا مستقيمًا ، ورجلاً برًّا تقيًّا .. **وفي ذلك توعية له وأيّة توعية ؟**

خامسًا : على المسلم الواعي ولا سيما الداعية الشّاب حين ينظر ما أعدّ اللّه للمنحرفين الفاسقين في الآخرة من عذاب أليم ، وعقاب شديد .. وما هيّأ للطّائعين

(1) سنن الترمذي (2417) .

الصالحين المتّقين من جنّات عدن ، ونعيم مقيم .. فإنه يحذر الفساد والانحراف ، ويتخطّى الميوعة والانحلال ، ويقبل على اللّه بقلب خاشع ، وعمل صالح ، وطاعة مخلصة .. ويصبح من زمرة الأبرار الأتقياء ، ورجال الإيمان السّعداء ..

والقرآن الكريم وازن بين المؤمن والفاسق ، وميّز بين السعيد والشقيّ .. قال جلّ جلاله : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (1) . هذا عدا عن استشعار الشاب الداعية الموت وما بعده ، والقبر وما فيه من وحشة ، والآخرة وما فيها من أهوال .. حين يستشعر كلّ هذا فإنه يُحجم عن الفسوق والعصيان ، ويقبل بكلّيته باندفاع وقناعة على الطاعة للّه ، والعمل بالإسلام .. **وفي ذلك صلاح لدينه وخلقه وأي صلاح ؟**

تلكم أهمّ الحلول الإيجابيّة في تحصين الشاب الداعية من أن ينجرف مع تيار ، أو يلهث وراء فساد ..

ولقد رأيتم إخوتي الدعاة أن أُولى خطوات هذا التحصين التركيز على التربية الإسلامية الشاملة .. وأن **ثانيها** تعميق التربية الإيمانيّة الرّادعة .. وأن **ثالثها** التقيّد بقواعد الكسب والإنفاق حلالاً وحرامًا .. وأن **رابعها** التثقف الواعي عن كلّ ما كشفه الطبّ الحديث من أمراض جنسيّة نتيجة الميوعة والانحلال .. وأن **خامسها** الموازنة بين مصير الطّائعين ، ومصير الفاسقين يوم القيامة للتبصرة والاعتبار ..

لاشك أن الدّاعية إذا عرف هذا جيدًا ، وترسّخ في وجدانه فإنه ينفر من الفساد والانحلال ، ويستقيم على الطّاعة والإيمان ، ويظلّ سائرًا بعون اللّه على درب الدعوة والعمل الإسلامي ، ولن يفوته إن شاء اللّه أجر الصابرين العاملين .

* * *

وصفوة القول :

إن عقبة الظروف الاقتصادية التي تحيط بالدعاة هي من العوامل الكبيرة التي تنأى ببعض الشباب الدعوي عن العمل في سبيل الإسلام ، وتصرفهم إلى حياة الترهّل

(1) سورة السجدة الآيات : 18 - 21 .

والاسترخاء والإخلاد إلى الأرض ، وربما تدفع بهم أحيانًا إلى مجون شائن ، وانحراف أثيم .. فإن لم يأخذ شباب الإسلام بالحلول الإيجابيّة التي رسمها الإسلام في تثبيت إيمانهم ، وتقويم أخلاقهم ، وتكوين شخصيّتهم .. فإن الشباب يتفلّتون ويتسيّبون .. وربّما ينقلبون على دعوتهم ، وينعطفون في مسيرتهم إلى حياة اللاأخلاقية ، ليلهثوا طائعين مختارين وراء المائعين والمتحلّلين ..

ولقد رأينا أن المشاكل التي تتولّد عن الظروف الاقتصادية هي مشاكل أربع :

1 - مشكلة الفقر .

2 - مشكلة فتنة الغنى .

3 - مشكلة الخوف على الأموال .

4 - مشكلة الانحراف بالغنى .

هذه المشاكل هي في الحقيقة هي من الخطورة بمكان ، إن لم يتداركها العقلاء بالحلول السّليمة العملية التي رسمها الإسلام ؛ فإنها تؤدّي بالشباب الدعوي إلى أسوأ النهايات ، وأقبح النتائج ..

ولقد رأيتم – إخوتي الدعاة – الحلول واضحة بيّنة لكل مشكلة من هذه المشكلات الأربع .. لو عمل أهل النّهى والبصائر بموجبها ، وعالجوا شباب الدعوة على أساسها .. لما بقي فيمن يتصدّى للعمل للإسلام فقير ، ولما فتنته دنيا ، ولما خاف على مال ، ولما قعد مع القاعدين ، ولما سار بسبب الغنى في طريق المنحرفين ..

اللّه اللّه في الشّباب يا عقلاء الدعوة والإسلام ، فأعيروهم اهتمامكم ، وحلّوا لهم مشكلاتهم ، وابنوا لهم شخصيّاتهم ، ودربوهم على التربية الصالحة الشاملة ، ليكونوا لكم سندًا وعونًا في دفع مسيرة الدعوة الإسلامية إلى الأمام ، وفي إقامة حكم اللّه في الأرض .. وفي استعادة الأمجاد التاريخية إلى دنيا الإسلام من جديد .. وما ذلك على اللّه بعزيز . واللّه غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

* * *

6 - الأسباب التربوية

ومن العقبات الكبرى التي يعاني منها الكثير من الجماعات الإسلاميّة ، وشبابها المنتمين إليها عقبة الضعف في التربية ، والقصور في التكوين الروحي ، والإعداد النّفسي والمعنوى ..

وقضيّة التربية الإيمانيّة والروحيّة والنفسيّة .. من القضايا الهامّة التي يجب على قيادات الجماعات الإسلاميّة أن يعيروها جلّ اهتمامهم ، وأن يركّزوا عليها قصارى جهودهم ، لينشأ الجيل الذي يقومون على تكوينه ، ويشرفون على تربيته وإعداده .. لينشأ على أحسن ما يتصوّره إنسان من التزام للإسلام ، والتحقّق بالربّانية ، والتخلّق بأخلاق القرآن .. حتى إذا انطلق أبناء هذا الجيل الرّباني في ربوع المجتمع ، ورآهم الناس رأوا الإسلام متجسّدًا في معاملتهم ، ورأوا القرآن مترجمًا في سلوكهم وأخلاقهم .. فيُعطون لمن حولهم ولمن يتعامل معهم القدوة الصالحة في حالهم قبل قالهم ، وفي أفعالهم قبل دعوة غيرهم ..

ولاشك أنّهم إذا انطلقوا في ميادين الدعوة والإصلاح .. وهم على هذه الحال من التربية والرّبانية .. فإنهم يكونون أعظم تأثيرًا في الناس ، وأقوى تفاعلاً معهم ، وأرجى إصلاحًا لهم .. بل يكفي هذه الفئة الرّبانية الصالحة فخرًا وشرفًا أنها حين التزمت الإسلام وترسّخت على الحقّ ، وتشرّبت روح الدعوة والعمل في سبيل اللّه ، وتخرّجت من مدرسة التربية والإيمان .. بقيت ثابتة على مبدئها ، ومحافظة على عهدها ، ومستقيمة على سلوكها وأخلاقها .. فلا تتأثر بإغراء ، ولا تفتن بدنيا ، ولا تنجرف مع تيّار ، ولا تنحرف عن الجادّة . بل يصدق عليها قوله تبارك وتعالى : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [1] .

ومن المشاهد في الحركات الإسلامية المعاصرة أن الجانب التربوي يأخذ من هذه الحركات حيزًا محدودًا لا يسمن ولا يغني من جوع في حين تطغى الجوانب الأخرى : الإدارية والحركيّة والسياسيّة والتبليغيّة والتنظيميّة .. على كلّ شيء .

ويبرز بشكل واضح وجليّ ودائم في حياة القائمين على العمل الإسلامي من

(1) سورة الأحزاب الآية : 23 .

الدعاة المتخصّصين في الأمور الإداريّة ، والشؤون السياسيّة والاجتماعيّة .. مما يجعلهم مقطوعي الصلة بالتربية الرّوحية ، والتهذيب النّفسي نظريًّا وعمليًّا ، وبالتالي يجعل اجتماعاتهم بالناس ، وعلاقاتهم بشباب الدعوة ، وممارساتهم الدعوية في حقل الجماعة خالية من طلاوة الربّانية ، وعذوبة الروحانيّة ..

فهؤلاء - وهم على هذه الحال - كيف يربّون غيرهم ؟ وكيف يتأثّرون بهم ؟ وكيف يستجيبون لدعوتهم ؟ وقد قيل : « فاقد الشيء لا يعطيه أبدًا » ، « ومن خوتْ نفسه من إشراقات الروحانية فلا يمكن أن يصلح نفسًا ، ولا أن يفتح قلبًا .. » .

ولاشك أنّ الأجواء الجافّة من الروحانية ، والخالية من ألطاف الربّانية .. فإنها تبعث دائمًا على التوتّر والحساسيّة ، وأحيانًا تؤدّي إلى الجدل البغيض ، والتهاتر الكريه ، والخصومة المفرّقة .. بل نجد من بعض المسؤولين في الأمور السياسيّة ، والشّؤون الإداريّة .. في العمل الإسلامي ، قد داخلهم العجب والغرور ، وظنّوا أنهم قد بلغوا سنام العمل السّياسي ، ووصلوا قمّة التطوّر الحركي .. من غير أن يحسّوا بالخواء الرّوحي ، والانكفاء التّربوي ، ومن غير أن يشعروا بالتآكل الإيماني ، والتناقض المعنوي في قلوبهم ونفوسهم ؛ وهذا .. إن لم يفطن له الدعاة ، وإن لم يبادروا إلى تداركه فإنّهم ينحدرون نحو الهاوية شيئًا فشيئًا حتى يصبحوا في نهاية المطاف من الهالكين !!.

فملازمة كلّ من ينتمي للحركة الإسلامية بالتربية الروحية ، والتوجيه الرّباني جنودًا وقياديين ، وأفرادًا ومسؤولين .. ينبغي أن يكون شغل الحركة الشّاغل مهما كانت الظّروف والأحوال .. بل إنّ الظّروف القاسية ، والمحن الطارئة .. التي تمرّ بالحركة الإسلاميّة أحيانًا تتطلّب المزيد من الاهتمام التّربوي ، والتّذكير الرّوحي ، واللّجوء الرّباني .. حتى يرفع اللّه عن الحركة الهمّ ، ويزيل عنها الغمّ ، ويخرجها من المحنة ، وينصرها اللّه على أعدائها من المتسلّطين والمتنفذين .. من رجالات الحكم اللاديني في المجتمعات الإسلاميّة ..

وهذا ما نوّه عنه القرآن الكريم في المحنة التي واجهها النّبي ﷺ وأصحابه في بدر حين واجهوا عدوًّا كاسرًا عنيدًا جبارًا يفوقونهم ثلاثة أضعاف عددًا وعدّة . فبفضل استغاثتهم باللّه ، ولجوئهم إليه ، واعتمادهم عليه .. استجاب اللّه لهم من حيث لم يحتسبوا ، وأمدّهم بألف من الملائكة مُرْدِفين .. قال جلّ جلاله : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ

بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [1] .

فالحركة الإسلاميّة التي تضعف قدرتها التربويّة عن تربية أفرادها ، وتكوين أعضائها .. ستصاب بُنيتُها بالعلل والأسقام والآفات النفسيّة ، والأمراض القلبيّة .. بل يداخلها حبّ الذات ، والانتصار للنفس ، والتطلّعات الشخصية ، وأحيانًا يدبّ في جسم من ينتمي إليها شهوة الرئاسة ، والطموحات القياديّة ، والمراءاة ، والزهوّ بالعجب والغرور ، والعمل لغير اللّه .. وهذه - ولاشك - آفات نفسيّة قاتلة ، وأمراض قلبيّة مهلكة ترمي بأصحابها في متاهات الرّياء ، وطرائق الرّدى ، فيقعون في نهاية المطاف في هوّة الهالكين !!

وهذه الشهوة الخفيّة من التطلّع إلى حبّ الجاه والحمد والثّناء .. مما حذّر منها نبيّ الإسلام صلوات اللّه وسلامه عليه حتى لا يقع المسلم في حبالها ، ويهوي في شراكها .. روى الحاكم بسند صحيح عن ابن عبّاس أنّه قال : قال رجل : يا رسول اللّه ، إني أقف الموقف أريد وجه اللّه ، وأحبّ أن يرى موطني ؟ فلم يردّ عليه الرسول ﷺ شيئًا ، حتى نزلت هذه الآية : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [2] .

وروى الإمام أحمد والحاكم عن شدّاد بن أوس - رضي اللّه عنه - أنّه بكى فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : شيء سمعتُه من رسول اللّه ﷺ فأبكاني ، سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول : « **أتخوّف على أمتي الشّرك والشّهوة الخفيّة** » ، قلتُ : يا رسول اللّه ! أتشرك أمتك من بعدك ؟ قال : « نعم ، أما إنهم لا يعبدون شمسًا ولا قمرًا ولا حجرًا ولا وَثَنًا ، ولكن يراؤون الناس بأعمالهم » ؛ قلتُ : يا رسول اللّه : الرياء شركٌ هو ؟ قال : « نعم » ، قلت : فما الشهوة الخفيّة ؟ قال : « **يصبح أحدهم صائمًا فتعرض له شهوة من شهوات الدنيا فيفطر** » [3] .

روى البزار والطبراني والبيهقي ورواة أحدهم رواة الصحيح عن أنس - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ : « تُعرض أعمال بني آدم بين يدي اللّه عز وجلّ يوم القيامة في صحف مختّمة ، فيقول اللّه : ألقوا هذا واقبلوا هذا ، فتقول الملائكة : ياربّ ، واللّه ما رأينا منه إلا خيرًا ، فيقول : إن عمله كان لغير وجهي ، ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما أُريد به وجهي » [4] .

---

(1) سورة الأنفال الآيات : 9 - 10 . (2) سورة الكهف الآية : 110 .

(3) والمراد أنهم يحبطون صومهم بارتكاب معصية أو الإقبال على لذّة محرمة ، أو الوقوع في غيبة أو نميمة ، أو استشراف شهوة الحمد والثناء ، أو مراءاة النّاس بصومهم .. أعاذنا اللّه من ذلك .

مسند الإمام أحمد (4/ 124) وانظر مشكاة المصابيح (5332) . (4) انظر الترغيب والترهيب (1/ 73) .

فالحركة الإسلامية إذن ينبغي أن تعنى بالجانب التّربوي ، وأن تركّز عليه قبل العناية والتركيز على أيّ جانب آخر من جوانب الإعداد ، لأنّ التّركيز على التربية الروحيّة ، والحقائق التربوية .. **هو حجر الزاوية ، بل الركن الأساسي** في تحقيق النّصر للحركة ، فاللّه سبحانه لا ينصر قومًا إلا بصدق نيّاتهم ، ولا يكون معهم إلا إذا أخلصوا له ، والتزموا منهجه ، وتحقّقوا بالتربية الإسلاميّة الفاضلة ، وكانوا ربّانيّين في سلوكهم وأعمالهم ..

وهذا التّركيز على التربية الإسلاميّة الشاملة من قبل أيّة جماعة إسلاميّة تدعو إلى اللّه على هدىً وبصيرة .. ينبغي أن لا يقتصر على أعضائها وشبابها النّاشئين وإنما ينبغي أن يشرك فيه جميع أفراد الحركة سواء كانوا جنودًا أو قياديّين ، أعضاء أو مسؤولين .. فهؤلاء جميعًا يجب أن تنظّم لهم جلسات روحية وتربويّة .. توصلهم باللّه ، وتذكّرهم بالإخلاص ، وتأمرهم بالمحاسبة ، وتدفعهم إلى التأدّب بأدب الإسلام ، وتوجّههم إلى أن يلتزموا بمنهج اللّه إيمانًا وعملاً ، وتعمّق فيهم مراقبة اللّه وخشيته في السر والعلن ، وتهيب بهم إلى أن يظلّوا دائمًا على الرّبانية الخالصة ، والتربية الفاضلة .. وهكذا حتى تكتمل لهم شخصيتهم التربوية الربانية من جميع جوانبها ، فلا يشذّون ولا ينحرفون ولا يُراؤون ولا يختلفون ولا ينهزمون ولايتواكلون .. بل يبقون دائمًا في موقع القدوة ، ومحل الثّقة ، ومثال الأدب . ونموذج الإخلاص ، وغاية الرّبانية ومحطّ الأمل للإسلام ..

والذي أريد أن أوجّه أنظار المسؤولين عن الحركات الإسلامية إليه أن يكون تركيزهم في التربية والإعداد على أربعة أمور :

الأول : التربية الروحيّة .

الثاني : التربية النفسيّة .

الثالث : التربية الخلقيّة .

الرابع : التربية على الجنديّة .

أما التربية الروحية : فلقد تكلّمنا عن السبيل إليها ، وروافد تغذيتها وتنميتها ، وتعميقها وتقويتها : وأثرها في التكوين والإعداد .. في « الفصل السادس » من سلسلة « **فصول هادفة في فقه الدعوة والداعية** » فارجع إليه – أخي الموجّه – تجد فيه ما يشفي الغليل إن شاء اللّه .

وأما التربية النفسيّة : فلقد تكلّمنا عن أصولها وأسسها ، وعن أبعاد أثرها وتأثيرها في التكوين والإعداد .. في « الفصل الخامس » من سلسلة « **فصول هادفة في فقه الدعوة والداعية** » فارجع إليه – أخي المربّي – تجد فيه ما يبلّ الصّدى إن شاء اللّه .

وأما التربية الخلقية : فلقد تكلّمنا عن أهمّ حقائقها وأصولها .. وعن مدى أثرها وتأثيرها في التّكوين والإعداد في « الفصل السابع » من سلسلة « **فصول هادفة في فقه الدعوة والدّاعية** » ، فارجع إليه – أخي القائد – تجد فيه ما يسدّ الحاجة ، ويحقّق الغاية إن شاء اللّه [1] .

وأما التربية على الجنديّة : فهي بتقديري من العوامل الإيجابيّة الهامّة في تربية شباب الإسلام **على الانضباط والطاعة** ، **والأدب والاحترام** ، **والمناصرة والتأييد** ، **والنقد الذّاتي البنّاء** ، **وبناء الشخصيّة المتكاملة** ، **وإحلال روح الدعوة في بؤرة الشعور** ، ليكونوا بحقّ أعضاء في جماعة ، وجنودًا أوفياء للدعوة ، ومسلمين مخلصين للإسلام ..

وإليكم التفصيل بعد الإجمال :

فالتربية على الانضباط والطاعة هي : إعطاء الولاء لقيادة الجماعة ، وتنفيذ أوامرها ، والتزام كل ما يصدر عنها .. دون أن يكون في الشباب تردّد ، ودون أن يعتريهم فتور أو تثاقل ، ودون أن يأخذهم عجب أو غرور ، ودون أن ينتصروا لهوى أو نفس .. وهذا لعمري هو أسمى معاني الالتزام ، وأقدس مشاعر الولاء ، وأظهر آيات الإخلاص ..

وأقولها صريحة مدوّية : بدون الانضباط والطاعة لا تسير الجماعة على نظام ، ولا يقوم لها في الأمّة كيان ، ولا تصل في الحياة إلى غاية ..

من أجل هذا أوجب الإسلام الطاعة للأمير ، وألزم المسلمين بها ولو كان الآمر عبدًا حبشيًّا .. روى البخاري عنه ﷺ : « اسمعوا وأطيعوا وإن استُعمل عليكم عبد حبشيّ كأنّ رأسه زبيبة » [2] .

بل طاعة الأمير في شريعة اللّه هي طاعة للنبي ﷺ ، وذلك للحديث الذي رواه مسلم : « من أطاعني فقد أطاع اللّه ، ومن يعصني فقد عصى اللّه ، ومن يطع أميري فقد أطاعني ، ومن يعص أميري فقد عصاني » [3] .

---

(1) ومن أراد المزيد من مسؤوليات التربية الإيمانية والخلقية والنفسية والاجتماعية .. فليرجع إلى كتاب « تربية الأولاد في الإسلام » للمؤلف يجد فيه جوانب تربوية أخرى نافعة إن شاء اللّه .

(2) صحيح البخاري كتاب الأذان (693) . (3) صحيح مسلم كتاب الإمارة ب (8) برقم (32).

ولا تقتصر الطاعة في نظر الإسلام على ما تحبّه النفس ، وتتوق إليه وترغب فيه ، **وإنّما تشمل الطّاعة** : طاعة الأمير في الحبّ والكره ، واليسر والعسر ، والرغبة والرهبة ، والمنشط والمكره ، والسّهل والصعب ، وفي كلّ الأحوال ..

وذلك للحديث الذي رواه الشيخان عن عبادة بن الصامت - رضي اللّه عنه - قال : « بايعنا رسول اللّه ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وعلى أَثَرَةٍ علينا (أي الإيثار) وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من اللّه فيه برهان ، وعلى أن نقول الحقّ أينما كنّا لا نخاف في اللّه لومة لائم » [1] .

وليست الطّاعة للأمير في دين اللّه طاعة عمياء على الجهل والعصبيّة ، ومعصية اللّه والرسول .. بل هي طاعة مبصرة راشدة واعية ترتكز على ما يأمر به الشرع ، ويحقّق مصلحة الدّعوة والإسلام .. روى الشيخان وغيرهما عنه صلوات اللّه وسلامه عليه : « السمع والطاعة حقّ على المرء المسلم فيما أحبّ أو كره ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » [2] .

والتربية على الأدب والاحترام هي : أن يتربى شباب الإسلام على الأدب والاحترام في حضرة من هم أكبر منهم سنًّا ، وأكثر علمًا ، وأقوم دينًا ، وأقدم سابقة ، وأخلص لدين اللّه نصحًا وعملا .. فهؤلاء جميعًا يجب أن يعرف الشباب لهم فضلهم ، وأن يتأدّبوا أمامهم ، وأن يؤدّوا لهم حقهم ، وأن ينزلوهم منازلهم ..

والنبي ﷺ وجّه أبناء هذه الأمّة في أن يوقّروا كبيرهم ، ويكرموا شيوخهم ، ويحترموا شيبهم ، ويتأدّبوا مع مربّيهم ..

وإليكم النصوص التي تأمر بذلك :

- روى الطبراني والحاكم وأحمد عن عبادة بن الصّامت - رضي اللّه عنه - أن رسول اللّه ﷺ قال : « ليس منا من لم يُجِلّ كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه » [3] .

- وروى الترمذي عن أنس قال : قال رسول اللّه ﷺ : « ما أكرم شابٌ شيخًا لسنّه إلا قيّض اللّه له من يُكرمه عند سنّه » [4] .

---

(1) سبق تخريجه (1 / 99) . (2) اللؤلؤ والمرجان (2 / 246) برقم (1205) .
(3) المعجم الكبير (8 / 196) ، والمستدرك (1 / 122) ، ومسند الإمام أحمد (2 / 185) .
(4) سنن الترمذي (2022) .

- وروى أبو داود عن أبي موسى قال : قال رسول اللّه ﷺ : « إن من إجلال اللّه تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه ، والجافي عنه (أي التارك له) ، وإكرام ذي السّلطان المُقْسِطِ » [1] .

وكم يكون الشاب الذي ينتمي للدعوة فاقد الأدب ، معدوم الحياء ، وقح الأخلاق .. حين يتطاول على شيوخه ومربيه بلسانه ، ويسفه رأيهم بتجريحه وانتقاده ، ويقلل من اعتبارهم بسوء أدبه وأخلاقه ؟!!

وكم يكون سفيهًا ووقحًا ومنافقًا حين يهزأ منهم ، ويستخف بهم ، ويرميهم بكل منكر من القول وزور ؟!! .

- روى الطبراني في الكبير عن أبي أمامة عن رسول اللّه ﷺ قال : « ثلاثة لا يَستخفُّ بهم إلا منافق : الشيبة في الإسلام ، وذو العلم ، وإمام مُقسِط » [2] .

فعلى المربين والدّعاة أن ينشّؤوا أبناء الإسلام على هذه المفاهيم والمبادئ من الطاعة والانضباط إن أرادوا أن يعدّوهم جنودًا للإسلام ، ورجالاً للدعوة ، وَحَمَلةً لمشاعل النّور والهداية في العالمين .

والتربية على المناصرة والتأييد هي : أن يتربّى شباب الإسلام على المناصرة للدعوة التي تشرفوا بالانتساب إليها ، وعلى التأييد المخلص للجماعة التي أصبحوا فيها ، وعلى المشاركة الوجدانيّة لشباب الدعوة إذا تعرّضوا لمحن الأيّام وأحداثها ، وعلى الصّدق في الأخوّة والمحبة والإيثار لمن تربطهم وإيّاهم أواصر العقيدة الإسلاميّة ووشائجها .. **تأسّيًا بالرعيل الأول من الأنصار** الذين احتضنوا إخوانهم المهاجرين ، وأسكنوهم دورهم ، وقاسموهم أموالهم ، وأشعروهم أخوّة الإسلام ، وحقيقة المناصرة ، وأسمى آيات المحبّة والرعاية والإيثار قال تعالى حاكيًا محبّتهم ومناصرتهم وإيثارهم : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [3] .

والمناصرة للدعوة لا تتأتّى إلا أن يبذل المسلم في سبيلها كلّ غالٍ ورخيص ، وأن

---

(1) سنن أبي داود (4843) . (2) المعجم الكبير للطبراني رقم (7819) . (3) سورة الحشر الآيتان : 8 - 9 .

يدافع عنها بالقلم واللسان ، وأن يعطيها من جهده ووقته كلّ عزم ومضاء واهتمام ..

ولقد أخذت المناصرة الإسلامية صورًا شتّى حسبما تقتضيه طبيعة الموقف ، **فتارة** تكون المناصرة بالوقوف بجانب القيادة حين ينشقّ أصحاب الأغراض ، والأهواء ، أو حين يتآمر عليها أعداء الإسلام ، **وأخرى** تكون بالاستجابة لأوامر القيادة ، وذلك بالاكتفاء بالتربية والتبليغ الدعوي في مرحلة التكوين والإعداد ؛ **وثالثة** بالدفاع عن جماعته بصدق وإخلاص حيث يوجّه إليها اتّهامات الدسّ والكذب والافتراء ؛ **ورابعة** ببذل المال والإنفاق في سبيل إعزاز الإسلام ؛ **وخامسة** ببذل النفس رخيصة حين تأتي لحظة الحسم ، وينادي الداعي حيّ على الجهاد .. **وسادسة** .. **وسابعة** إلى أن يأذن اللّه بالنصر المؤزّر ، والفتح المبين .

« إن أقسى ما يصاب به المرء في حياته تخلّي إخوانه وأحبابه عنه في وقت عصيب ، تؤدّي فيه الكلمة الطيبة دورها ، وتعمل فيه المشاركة الوجدانيّة عملها في تخفيف الآلام ، وتعزية المصاب ، وتهدئة الخواطر ..

وإن أقسى من هذا وأمرّ أن يضنّ الإنسان حتى بكلمة الحقّ فلا يقولها ، وأن ينعزل وجدانيًا عن أهل الحقّ فلا يشاركهم آلامهم ، ولا يكفكف دموعهم ، ولا يهتمّ لأمرهم .. وإنّ تخلّى الجنود عن هذه المناصرة فهو بعينه الهروب من الميدان ، وخذلان للحقّ ، وفرار من الواجب ، وليس بعد التخلّي عن الحقّ ، والفرار من الواجب إيمان يرتجى ، وإسلام يؤمّل .. » [1] .

ومن أجل هذا أخبر اللّه سبحانه بأن الذين آزروا رسول اللّه ﷺ ونصروه وعزّروه وأيّدوه هم الذين تربّوا في مدرسة النّبوة ، وتكوّنوا على أسس العقيدة والإسلام .. ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [2] .

فعلى المربّين والدعاة .. أن ينشّؤوا أبناء الإسلام على المناصرة لدعوتهم ، والتأييد لجماعتهم والمؤازرة لقيادتهم ، والمشاركة الوجدانية لإخوانهم ، واستشعار روح الأُخوّة والمحبّة لمن يتعاون معهم .. إن أرادوا أن يهيّؤوهم جنودًا للإسلام ، ورجالاً للدعوة ، وحَمَلةً لمشاعل النّور والهداية في العالمين .

والتربية على النّقد الذّاتي البنّاء هي : أن يتربّى أبناء الإسلام على التّصح والمناصحة ، والنقد الذّاتي البنّاء .. مع كلّ من ينتمي إليهم ، ويلتقي معهم ، ويأخذ عنهم ، وينضوي تحت قيادتهم .. بقول ليّن ، وأسلوب لطيف ، وأخلاق فاضلة ،

---

(1) من كتاب « القيادة والجندية » للدكتور محمد السيد الوكيل القسم الأول ص : 216 مع بعض التصرف .
(2) سورة الأعراف الآية : 157 .

وتذكير بالحكمة والموعظة الحسنة ..

والنبي ﷺ عظّم من شأن النّصيحة ، ورفع من قدرها حتى جعلها هي الدين كلّه ؛ ذلك لأنّ إهمال النّصح والمناصحة والنّقد والتّذكير – ولا سيما مع من يتعامل معهم ويتلقّى عنهم – يؤدّي إلى تعميق الانحراف في الجماعة ، وانتشار الفوضى في أعضائها ، والإيذان بزوالها ودمارها !! .

من أجل هذا كان النبيّ ﷺ يأمر المسلمين بها ، ويأخذ بيعة أصحابه عليها :

– روى مسلم في صحيحه عن تميم الدّاري – رضي اللّه عنه – أن النبي ﷺ قال : « الدين النصيحة » ، قلنا لمن ؟ قال : « للّه ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامّتهم » [1] .

– وروى الشيخان عن جرير بن عبد اللّه – رضي اللّه عنه – قال : « بايعتُ رسول اللّه ﷺ على إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنّصح لكل مسلم » [2] .

والنبي ﷺ وخلفاؤه من بعده كانوا يُعطون القدوة الفعليّة في فتح باب المناصحة ، وإبداء الرأي ، والنّقد الذّاتي البنّاء .. ليُدلي المسلمون برأيهم ، ويسدّدوا بنصحهم ، ويُصلحوا بنقدهم .. إحقاقًا للحقّ ، وحراسةً للرأي العام ، وتعويدًا على المناصحة البناءة الهادفة ..

وإليكم بعض النماذج والأمثال :

أ – حين نزل رسول اللّه ﷺ في بدر في منزل لا يصلح أن يكون موقعًا عسكريًا ، جاءه الحُباب بن المنذر ، فوقف في أدب الجندي أمام قائده العظيم وقال : يا رسول اللّه أرأيت هذا المنزل الذي نزلته أمنزلاً أنزلكه اللّه ليس لنا أن نتقدّمه ، ولا نتأخّر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟

قال عليه الصلاة والسلام : « بل هو الرأي والحرب والمكيدة » .

فقال : يا رسول اللّه فإنّ هذا ليس بمنزل ، فانهض بالنّاس حتى تأتي أدنى ماء من القوم ، فننزله ، ثم نُغوّر ما وراءه من القُلُب (أي نهدم ما وراءه من الآبار) ، ثم نبني عليه حوضًا ، فنملؤه ماءً ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون !! .

فقال رسول اللّه ﷺ : « لقد أشرتَ بالرأي » ، ثم ينهض القائد بجنده ، وينزلون جميعًا حيث أشار الحُباب رضي اللّه عنه [3] .

---

(1) صحيح مسلم كتاب الإيمان ب (23) برقم (55 ، 56) .
(2) اللؤلؤ والمرجان (1 / 12) برقم (35) . (3) انظر السيرة النبوية لابن كثير 2 / 402 .

ب - وحين تولّى أبو بكر - رضي اللّه عنه - مقاليد الخلافة رسم للمسلمين سياسته العامّة في خطبته الجامعة المختصرة على منبر النبي ﷺ ، فقال : (أيها الناس : إنّي قد ولّيت عليكم ولستُ بخيركم ، فإن أحسنتُ فأعينوني ، وإن أسأتُ فقوّموني ، الصّدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضّعيف فيكم قويّ عندي حتى آخذ الحقّ له ، والقويّ فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحقّ منه ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل اللّه إلا ضربهم اللّه بالذلّ ، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمّهم اللّه بالبلاء ، أطيعوني ما أطعتُ اللّه ورسوله ، فإن عصيتُ فلا طاعة لي عليكم) .

وهكذا تفتح القيادة صدرها للجنود ، وتطلب منهم النّصح والتسديد ، ومساندة الحقّ ..

ج - ويخطب عمر - رضي اللّه عنه - بعد أن تولّى الخلافة فيقول : (اتّقوا اللّه - عباد اللّه - وأعينوني على أنفسكم بكفّها عني ، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإحضاري النصيحة فيما ولاني من أمركم) .

وخطب مرة وقال : (أيها الناس : من رأى فيّ اعوجاجًا فليقوّمه) ، فأجابه رجل من الأعراب وقال : (واللّه لو علمنا فيك اعوجاجًا لقوّمناه بسيوفنا) ، فسر عمر - رضي اللّه عنه - للموقف الذي وقفه الرجل ، وقال قولته الخالدة : (الحمد للّه الذي جعل في عمر مَنْ لو رأى فيه اعوجاجًا قوّمه بسيفه) .

وهذا الموقف يدلّ على أن القيادة كانت تتحمّل في سبيل النّصح الفظاظة والغلظة ممّن في طبيعتهم الجفوة من أهل البوادي والأعراب ، بل كانت لا تجد في ذلك حرجًا ولا غضاضة ما دام النّصح للّه ، وإحقاق الحقّ ، ومصلحة المسلمين !!

فعلى المربّين أن يلحظوا في تعويد شباب الدعوة حين يعوّدونهم على النّصح والمناصحة أمرين هامّين :

الأول : أن يعوّدوهم على أن تكون المناصحة باللّطف والرفق واللّين تنفيذًا لأمر اللّه جلّ جلاله : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ .

الثاني : أن يعوّدوهم على أن تكون النّصيحة للمنصوح له بالسرّ والكتمان وعدم التشهير للحكمة التي أرادها الشاعر :

تَعَمَّدْني بنصحك بانفرادي وجنّبني النصيحة بالجماعة
فإن النّصح بين النّاس نوع من التّوبيخ لا أرضى استماعَهْ

فبالتعويد على هذين الأمرين يكونون قد حافظوا على وحدة الجماعة وتماسكها ، وزرعوا بذور المحبة والثّقة والأدب بين أعضائها وقادتها ، وتركت النصيحة على طريق البناء والإصلاح أثرها وتأثيرها ، وجنت الأمّة الإسلاميّة عند قطف الثمار كل ما يُحقّق لها خيرها وسعادتها) [1] .

فعلى الدعاة والمربّين أن ينشؤوا جيل الإسلام وشباب الدعوة على خلُق النّصح والمناصحة ، والنقد الذاتي البنّاء .. إن أرادوا أن يهيّؤوهم جنودًا للإسلام ، ورجالاً للدعوة ، وحَمَلَةً لمشاعل النّور والهداية في العالمين .

والتربية على بناء الشخصيّة المتكاملة هي : أن يتربّى الشاب المنتمي للدعوة الإسلامية على بناء شخصيّته الإسلامية بناءً متوازنًا متكاملاً ، وذلك حرص المربيّ على أن يلائم في تكوينه التربوي والدّعوي بين المادّة والرّوح ، يوفّق بين الدنيا والآخرة ، ويربط بين العبادة والحياة ، ويجمع بين التّزكية والجهاد ، ويوازن بين حقوق اللّه وحقوق العباد .. فبهذا التوازن والتكامل في بناء الشخصيّة الإسلاميّة يستطيع الشابّ أن يمارس حياته الاجتماعية العمليّة بكل طاقاتها وأشواقها وجوانبها .. على أسس من مبادئ الإسلام ، وعلى انسجام تامّ مع واقعيّة الحياة ، وعلى تلاؤم متّسق مع فطرة الإنسان .

فالإسلام بتشريعاته الحكيمة لا يقرّ بحال الحرمان ، ولا الترهبن ، ولا الانطوائية ، ولا العزلة الاجتماعية .. وفي الوقت نفسه لا يقرّ أبدًا أن ينهمك الإنسان بكلّيته في الحياة المادّية ، وينسى ربّه والآخرة ، بل يهيب الإسلام بكل مَنْ يعتنقه وينتسب إليه أن يتوازن مع هذا وذاك ، وأن يؤدّي كلّ ذي حقّ حقّه دون أن يطغى حقّ على حقّ ، أو يغلّب واجبًا على واجب ، أو يتساهل في مسؤوليّة على حساب مسؤوليّة أخرى ..

والقرآن الكريم قرّر مبدأ **التوازن بين المادّة والروح** ، **وبين العبادة والحياة** ، **وبين التّزكية والجهاد** في كثير من آياته البيّنات التي تلامس المشاعر والوجدان قبل أن تخاطب العقول والأفهام ..

- ففي تذكير القرآن بأداء حقّ اللّه في العبادة في غمرة الانهماك في الأعمال

(1) من كتاب « الشباب المسلم في مواجهة التحدّيات » من صفحة : 246 - 253 مع بعض التصرّف .

الدنيويّة ، والمزاولات التجارية يقول اللّه سبحانه : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [1].

– **وفي تذكيره** بأداء حق النفس والعيال في التكسّب المعيشي ، وابتغاء الرّزق في غمرة المناجاة الرّبانيّة ، والنّفحات المسجديّة .. يقول تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ .. ﴾ [2] .

– **وفي استكباره** على الذين يحرّمون على أنفسهم الزينة المباحة والطّيبات من الرزق .. يقول جلّ جلاله ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ .. ﴾ [3] .

– **وفي إنذاره بالعذاب** لمن يتخلّف عن الجهاد في سبيل اللّه حين يُنادي للنفير العام يقول ذو العزّة والجلال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [4] .

فهذه النّصوص القرآنيّة تؤكّد لكلّ ذي عقل وبصيرة أن الإسلام بتشريعه الواقعي الشامل يوازن بين الدّين والدنيا ، ويجمع بين العبادة والجهاد ، ويوفّق بين العقيدة والعمل .. هذا تشريع اللّه ، فأروني الذين شرعوا من دونه !!

والنبي ﷺ كان يرقب بعينِ بصيرته أحوال المجتمع ، فإذا رأى خللا أصلحه ، وإذا أبصر ظاهرةَ عُزْلَةٍ عالجها ، وإذا رأى آفة رهبنةٍ استأصلها ، وإذا رأى تقاعسًا عن جهاد قاومه .. وهكذا يبقى المجتمع بأفراده وجماعاته مجتمعًا متوازنًا معتدلاً متكاملاً سويًّا لا عوج فيه ولا التواء ..

وإليكم بعض المواقف :

* روى الشيخان عن أنس – رضي اللّه عنه – قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النّبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي عليه الصلاة والسلام ، فلما أخبروا كأنهم تقالّوها (أي وجدوها قليلة) ، فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ قد غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ؟!! .

---

(1) سورة النور الآية : 37 .
(2) سورة الجمعة الآية : 10 .
(3) سورة الأعراف الآية : 32 .
(4) سورة التوبة الآيتان : 38 - 39 .

قال أحدهم : أما أنا فإنّي أصلّي الليل أبدًا .

وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أُفطر .

وقال آخر : أعتزل النساء فلا أتزوّج أبدًا .

فجاء رسول اللّه ﷺ فقال : « أنتم الذين قلتُم كذا وكذا ؟، أما واللّه إنّي لأخشاكم للّه ، وأتقاكم له ، لكنيّ أصوم وأُفطر ، وأصلّي وأرقد ، وأتزوّج النساء ، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي » [1] .

حين رأى من أصحابه من يرهق نفسه بالعمل ، ويجهدها بالعبادة ، ويحيف على حقّ نفسه ، وحقّ أهله ، وحقّ مجتمعه .. بالنّسك والزّهد .. وجّههم إلى ما فيه خيرهم في الدين والدنيا والآخرة .

– فمن توجيهاته عليه الصلاة والسلام – كما روى الشيخان – : « خذوا من الأعمال ما تُطيقون ، فإن اللّه لا يملّ حتى تملّوا ، وإن أحبّ الأعمال إلى اللّه أدومها وإن قلّ » [2] .

– وقال في مناسبة أخرى – كما روى البخاري – : « إن الدين يسر ، ولن يشادّ الدين أحد إلا غَلبه ، فسدّدوا وقاربوا وأبشروا » [3] .

وقال في موقف من المواقف – كما روى البخاري – : « إنّ لجسدك عليك حقًّا ، وإن لأهلك عليك حقًّا ، وإن لزَوْرِك عليك حقًّا » [4] .

* روى الترمذي والحاكم بسند صحيح عن أبي هريرة – رضي اللّه عنه – قال : مرّ رجل من أصحاب رسول اللّه بشِعْبٍ فيه عُيَيْنَة من ماء عذبة ، فأعجبته ، فقال : لو اعتزلتُ الناس فأقمتُ في هذا الشِّعب ، ولن أفعل حتى أستأذن رسول اللّه ﷺ ، فذكر ذلك لرسول اللّه ﷺ فقال : « لا تفعل ، فإن مقام أحدكم في سبيل اللّه أفضل من صلاته في بيته سبعين عامًا ، ألا تُحبّون أن يغفر اللّه لكم ويدخلكم الجنّة ؟ اغزوا في سبيل اللّه ، من قاتل في سبيل اللّه فواق ناقة (أي زمن ما بين الحلبتين) وجبت له الجنّة » [5] .

وما أحسن ما قاله شاعرنا الإسلامي في امتداح جيل الصحابة لجمعهم بين العبادة والجهاد :

---

(1) سبق تخريجه (1 / 34) .
(2) اللؤلؤ والمرجان (1 / 712) برقم (712) .
(3) صحيح البخاري كتاب الإيمان برقم (39) .
(4) مسند الإمام أحمد 2 / 198 .
(5) سنن الترمذي (1650) .

خلّفتَ جيلاً من الأصحاب سيرتُهم تضوع بين الورى رَوْحًا وريحانًا
كانت فتوحُهُمُ بِرًّا ومرحمةً كانت سياستُهمْ عَدْلاً وإحسانًا
لم يعرفوا الدّين أورادًا ومسبحةً بل أشبعوا الدّين محرابًا وميدانًا

فعلى المربّين والدعاة .. أن ينشّؤوا شباب الدّعوة على بناء شخصيّتهم الإسلاميّة بناءً متوازنًا متكاملا على أسس من مبادئ الإسلام الشاملة ، وعلى دعائم من الحقوق العامّة ، وعلى ركائز من الواقعيّة المنسجمة الملائمة .. إن أرادوا أن يُهيّؤوهم جنودًا للإسلام ، ورجالا للدعوة ، وحَمَلَةً لمشاعل النّور والهداية في العالمين .

والتربية على إحلال روح الدعوة في بؤرة الشعور هي : أن يتربّى شباب الإسلام على الاهتمام بالدّعوة ، والتحمّس لها ، والاندفاع في سبيلها ، وأن يعطوها الوقت المخصّص لها بكلّ جهودهم ووجودهم ..

وهذا لا يتأتّى إلا أن يدركوا جيدًا :

- أن دعوة الإسلام عالميّة أنزلها اللّه عز وجل لتكون للعالمين بشيرًا ونذيرًا ، وهداية ورحمة .

- وأن من مقتضياتها إنقاذ العالم الإسلامي مما يعانيه من تفكّك وتشتّت ، وتأخّر وانحطاط ، وميوعة وانحلال ، ومذاهب وعقائد ، وبعدٍ عن منهج اللّه ..

- وأن ممّا يؤكّدها أن الدعوة الإسلامية فريضة حتميّة ، وواجب شرعيّ في حقّ كل من ينتمي لهذه الدعوة ، ويؤمن بها ، كلٌّ على حَسْبِه ، وكلٌّ على قدر طاقته واستعداده .

- وأن ممّا يوجبها أن اللّه عز وجل أمر أمّة الإسلام في كل زمان ومكان على أن يقوموا بدورهم في إنقاد العالم الإنساني ، وهداية البشريّة جمعاء ..

- وأن ممّا يدفع المؤمن إليها أنّه يحظى بالأجر والمثوبة ، ويبلغ أعلى درجات المنازل والرفعة .. في الدنيا والآخرة .

كلّ هذه المزايا والفضائل للدعوة ، وكلّ هذه الواجبات والتأكيدات والدوافع لتبليغها ، قد أوضحناه وفصّلنا فيه في الفصول الأولى من سلسلة مدرسة الدعاة ، فارجع إليه – أخي الداعية – تجد البحث وافيًا ، والمعالجة شافية إن شاء اللّه .

وإن من الدوافع التي تهيب بالدعاة وشباب الإسلام .. أن يتحرّكوا للدعوة ،

ويجاهدوا في سبيلها ، ويُرخصوا الغالي في إعزازها هو اعتقادهم الجازم أنّ **الإسلام هو صمام الأمان** في إنقاذ البشرية من كفرها وإباحيتها وانحرافها ، وأنه هو الذّي يخلّص العالم الإسلامي مما يعانيه من تأخّر وانحطاط ، وما يصيبه من ميوعة وانحلال .. وأنّه هو الذي يعيد لأمّة الإسلام أمجادها العريضة ، وعزّتها المنيعة ، وتاريخها المجيد .. فالأمر إذا يتطلّب من كل داعية يدعو إلى الله على بصيرة أن يهبّ من رقدته ، وأن يضاعف من نشاطه ، وأن يتحسّس بمسؤوليّته .. ليردّوا هذا العالم الضائع ، والبشريّة المنكودة ، والأمم التائهة ، والشعوب الإسلامية المتمزّقة .. إلى نور الحق ، وحقيقة التوحيد ، وآفاق المعرفة ، وهدي الإسلام ، والوحدة المتماسكة .. وأن يقول للدنيا ، كما قال ربعي بن عامر من قبل لرستم : « **ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدّنيا إلى سعتها ، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام** » .

نعم ، الداعية لا ينطلق إلى ميادين الدعوة إلى الله إلا أن يضع مسؤوليّة العمل الإسلامي في بؤرة شعوره ، وأعماق أحاسيسه ووجدانه .. حتى تكون انطلاقته عن إيمان وقناعة ، وتبليغه عن حماس واندفاع .. بل على المشرفين على المدارس الدعويّة في الحركات الإسلامية أن يلقّنوا النّاشئين في العمل الإسلامي بأن الدعوة إلى الله اليوم أصبحت ضرورة حتمية ، وفريضة شرعيّة ، وواجبًا إسلاميًا .. ولا بأس أن يكوّنوا من هؤلاء الناشئين من يتخصّص بأصول الدعوة ، ومن يتفرّغ لها ، ومن يتحسّس بها ، ومن يجاهد في سبيلها .. حتى تعطي الدعوة الإسلامية أُكُلَها كلّ حين بإذن ربّها ، وحتى تعمّ في بلاد الإسلام ، وتنتشر في أرجاء الأرض ، وتصبح الحاكميّة لله وحده .. وحسب الدعاة فضلاً وشرفًا ، ويكفيهم اندفاعًا وحماسًا .. **أنهم تأسّوا بسيّد الدعاة صلوات الله وسلامه عليه اهتمامًا وحركيّة ومجاهدة ..**

فكان ﷺ لا يهنأ له بال ، ولا يطيب له عيش ، ولا يستقرّ له حال .. حتى يرى بأمّ عينيه أن أمة العرب استجابت لدعوة الله ، وقبلت هدى الله ، ودخلت في دين الإسلام .. بالرغم مما كان يُواجهه من أحداث ، وما كان يحيط به من مصائب !!.. بل كانت الآيات القرآنية تتنزّل عليه وتأمره بأن يخفّف من غُلُواء همّه في حرصه على تبليغ الدعوة ، وأن يهدّئ من عنفوان تحسّسه في هداية الناس ، حتى لا يهلك نفسه على آثارهم .. ، وحتى لا تَذْهَب نفسه عليهم حسرات ، وحتى لا يفهم القوم أنهم يُكْرَهُونَ على الإسلام بحرصه عليهم ، واهتمامه بهم ..

– من هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾ [1] .

– من هذه الآيات قوله جلّ جلاله : ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [2] . وبالرغم من كلّ هذا كان ﷺ يتابع مسيرته الدعوّية بعزم ونشاط وحركيّة وحرص واندفاع .. إلى أن أذن اللّه له بالنّصر المؤزّر ، والفتح المبين .

والدعاة إلى اللّه عبر التاريخ ، وخلال العصور كانوا متأسّين بنبيّهم ﷺ في حركيّته في سبيل الدّعوة ، وفي حرصه الزائد على تبليغها .. بل كانوا النّموذج الحقّ ، والقدوة الصالحة .. في صبرهم ومصابرتهم ، وعزمهم ومجاهدتهم ، وإيمانهم وجرأتهم .. .. كأمثال : سعيد بن جبير ، والعز بن عبد السلام ، ومحمد بن طاووس ، وأحمد بن حنبل ، وتقي الدين بن تيميّة ، ويوسف بن تاشفين ، ومحمّد ابن عبد الوهاب ، والإمام حسن البنّا ، والشيخ مصطفى السباعي ومئات غيرهم ، بل آلاف .. ولا يزال التاريخ يتغنّى بمآثرهم ، ولا تزال الأجيال تتأسّى بفعالهم ، ولا يزال الدّعاة في كل زمان ومكان ينهجون نهجهم ، ويسيرون على طريقتهم ..

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

أولئك الذين هدى اللّه فبهداهم اقتده .

فعلى المربّين والدعاة .. أن ينشّؤوا شباب الدعوة النّاشئين على ترسيخ روح الدعوة، والاندفاع لها في بؤرة شعورهم ، وعلى تعميقها في سويداء نفوسهم .. إن أرادوا أن يهيّؤوهم جنودًا للإسلام ورجالا للدعوة ، وَحَمَلةً لمشاعل النور والهداية في العاملين .

تلكم أهمّ أسس التربية على الجنديّة في إعداد جيل الشباب النّاشئين من منظور الإسلام ، وواقع الحركات الإسلاميّة في العصر الحديث .

ويمكن تلخيص الأسس في النقاط التالية :

في تربية شباب الإسلام على الامتثال والتّفاعل لأوامر قيادتهم ..

في تأديبهم على احترام الكبار ، وأهل السّابقة من رجال جماعتهم ..

في تعويدهم على التأييد والمناصرة للحفاظ على دعوتهم ..

في تخليقهم على المناصحة ، والنّقد الذاتي البنّاء .. لتسديد انحراف حركتهم ..

---

(1) سورة فاطر الآية : 8 . (2) سورة يونس الآية : 99 .

في تطبيعهم على التّوازن العام ، والتكامل الشّامل .. في بناء شخصيّتهم ..

في التّركيز على الاندفاع والحماس ، لتأصّل العمل الإسلامي في بؤرة شعورهم ..

فبهذه المبادئ التربويّة الفاضلة يتدّرج شباب الدعوة في مراحل التكوين والإعداد شيئًا فشيئًا ، وبتعميقها وتطبيقها في سلوكهم .. يمكن أن يُقيموا لأمّة الإسلام مجدًا ، ويُحرزوا لها نصرًا .. ويمكن أيضًا أن يستعيدوا في العالمين عزّ المسلمين الغابر ، وكيانهم الشّامخ ، وحضارتهم الزّاهرة ، ودولتهم الرّاشدة ، ووحدتهم الإسلاميّة المتراصّة .. وما ذلك على الله بعزيز .

* * *

وفي الختام :

إن نسينا فلن ننسى أبدًا إعداد الشباب الإسلامي أيضًا على معاني القوّة في كلّ مفاهيمها ومجالاتها : قوّة الإيمان والأخلاق ، قوّة الجسم والساعد ، قوّة التّدريب والمصابرة ، قوة العلم والحضارة ، قوّة التخطيط والتّنظيم ..

وما ذاك إلا لأنّ الإسلام دين القوة في كلّ صورها ومعانيها ، وشعاره في ذلك كما أعلن القرآن : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [1] ، وكما أكّد النّبيّ عليه الصلاة والسلام : « **المؤمن القويّ خيرٌ وأحبّ إلى الله من المؤمن الضّعيف ..** » [2] .

ولاشك أن أوّل دعائم القوّة – كما سبق ذكر ذلك – قوّة الإيمان والروحانيّة والأخلاق ، ثم تأتي قوّة الجسم والساعد ، ثم تأتي قوّة التّدريب والمصابرة ، ثم تأتي قوة العلم والحضارة .. وإنّ ملاك هذا كلّه قوة الارتباط والتّخطيط ، ومراحل العمل والتنظيم .. فلا يصحّ أبدًا أن تُوصف جماعة بالقوّة حتى تتوفّر لديها هذه المعاني جميعًا ، ولا يمكن أن تصل أيّة حركة تعمل للإسلام إلى السّيادة والنّصر إلا بعد أن تمرّ على كل وسائل القوّة ، وتستكمل كل أسبابها ومقوّماتها ..

ومن الخطأ البيّن أن تستخدم الجماعة قوّة الساعد والتدريب ، وهي مفكّكة الأوصال ، مضطربة النّظام ، خامدة الإيمان ، خاوية الروحانيّة ، متخلخلة التّطبيق ، معدومة التخطيط ، فاقدة المراحل ، متسيّبة المشورة ..

وإذا استخدمت ذلك بلا تعقّل ولا تركيز ولا مراحل .. فإنّ مصيرها الفشل

(1) سورة الأنفال الآية : 60 .

(2) صحيح مسلم كتاب القدر (2664) .

والانتكاس والهزيمة .. لا محالة ، ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

ألا فليبادر الدّعاة والمربّون بكلّ جديّة وحيوية وعزيمة في ترقية أرواح شبابهم ، وصياغة نفوسهم ، وبناء شخصيّاتهم ، وإعدادهم الكامل لحمل رسالة الدعوة ، ورفع لواء الجهاد في سبيل الله ، وإقامة حكم الله في العالمين ؟!!.

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

* * *

7 - الأخطاء التنظيمية

ومن العقبات الكبرى التي تشلّ الحركة الإسلاميّة ، وتسبّب لها الفوضى والكوارث ، والانشقاق والتّساقط ، والتصدّع والانهيار .. عقبة « **الأخطاء التنظيميّة** » .

فقضيّة التنظيم هي من القضايا الهامّة التي ينبغي على الحركات الإسلاميّة ، والجماعات الدعويّة أنْ يُعيروها اهتمامهم ، وأن يعطوها كلّ جهودهم وعنايتهم ..

وما ذاك إلا حتّى يتمّ البناء التّكويني لها على أسس من الترابط والتماسك ، وعلى دعائم من القوّة والصّمود .. وفي ذلك مناعة للبناء ، وترسيخ له من أن يتأثّر بحادثات اللّيالي ، أو يتزعزع من نكبات الأيّام !!.

لذا وجب على قيادات الجماعات الإسلاميّة في كلّ مكان – كما ألمحنا – أن يهتمّوا في تنظيم جماعتهم ، وبناء كيانهم كاهتمامهم في تربيتهم الروحيّة والنفسيّة على حدّ سواء ، لأنّ أيّ خطأ في التنظيم ، وأيّ خلل في إقامة البناء يعرّض الجماعة إلى هزّات عنيفة ، وتصدّعات خطيرة .. فمن الصعوبة بمكان ردّ الجماعة في حال هزّتها وتصدّعها إلى أصالتها في الوحدة والتماسك ومتانة البناء .. بل ربّما عصفت بها الرّيح في مكانٍ سحيق ، وأصبحت خبرًا من أخبار التاريخ !! .

وأريد في هذا البحث أن أتعرّض **للأخطاء التنظيمية** التي تُمنى بها الحركات الإسلاميّة في العصر الحديث ، ثم نعرّج بعد تحديد معالمها ، والتفصيل فيها إلى ذكر الحلول الإيجابية لكلّ مشكلة أو خطأ ، ليعلم مَنْ يريد أن يعلم أنّ أيّة حركة تعمل للإسلام ، وتريد أن يكتب لها النّجاح والتّوفيق .. لا يتحقّق لها ذلك إلا أن تُدرك جيّدًا الأخطاء التي تتعرّض لها الحركات حتى لا تقع في حبائلها ، وأن تعلم كذلك الحلول الّتي ترفع من مستواها حتى تسير على هديها .. لتأمن في المستقبل من الدّواهي ، وتسلم من الآفات والعوائق !!.

وأرى أنّ هذه الأخطاء تنحصر في الأمور التّالية :

1 - أخطاء في الاختيار القيادي .

2 - أخطاء في التكوين التربوي .

3 - أخطاء في الإعداد الدعوي .

4 - أخطاء في العمل الإداري .

5 - أخطاء في التخطيط المرحلي .

وسوف نأتي – بعونه تعالى – على كلّ هذه الأخطاء الآنفة الذكر بشيء من البيان والتوضيح ، ثم نتلّمس الحلّ الأصوب لها .. في ضوء تعاليم الإسلام ، عسى أن تتحاشى الحركات الإسلاميّة في مسيرتها الدعويّة هذه الأخطاء ، وعسى أن تجد من الحلول التّنظيميّة ما يسدّ الخَلَل ، وما يرأب الصّدع ، وما يحقّق للمجتمعات الإسلاميّة في مستقبلها نصر الإسلام ، وعزّته السّامقة ، ودولته الراشدة .. وما ذلك على اللّه بعزيز .

1 - أخطاء في الاختيار القيادي :

من القضايا المسلّم بها لدى أهل العقول والبصائر أن القيادة لأيّة حركة إسلاميّة تعمل للإسلام ، وتجاهد في سبيله .. هي بمثابة الرّأس للجسد ، فإذا كان الرأس مصابًا في بؤرة تفكيره بآفة من الآفات .. فإنّ الجسد كلّه – ولاشكّ – يعتريه الخَلَل ، ويصبح غير قادر على النهوض والحركة ، وحمل التكاليف والأعباء !!..

وكذلك الجماعة الإسلاميّة إذا ابتليت بقيادة ضعيفة هزيلة ليست على المستوى القيادي المطلوب .. فإن القاعدة التي تكون تحت مظلّتها وقيادتها تكون – ولاشكّ – أكثر ضعفًا ، وأعظم خَلَلا في توازنها وتربيتها ، وفي إعدادها الدّعوي ، وفي منطقها السياسي ، وفي انضباطها الحركي ، وفي سائر التصرّفات التي تصدر عنها !!..

ولا بأس أن نذكر بعض النّماذج من الخَلَل القيادي نستخلصها من واقع الحركات الإسلاميّة في العالم الإسلامي ، ليدرك الغيورون على سلامة الدّعوة هذا الضّعف ، ويتصوّروا هذا الخَلَل ، فلا يجدون بدًّا سوى أن يسيروا في طريق البناء والإصلاح والحلّ الأمثل .

وإليكم طرفًا من هذه النماذج :

من الخلل القيادي : **الخطأ البيّن في التصوّر الصحيح لحقائق الإسلام في عالميّته وشموله** ، وتبليغه وانطلاقته ، وحركته وانقلابيّته ، ومواجهته لتحدّيات الكفر والضلال .. وكم سمعنا عن مرشدين كبار ، وعلماء ذوي شهرة .. فهموا الإسلام على أنه دين تزكية وتربية روحيّة ، ومبادئ أخلاق .. وأنه لا يتعرّض بحال إلى

مناهج الحياة ، وأنظمة الحكم ، ومنطلقات السياسة ، ومسؤولية الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر .. فينعكس هذا التصوّر الخاطئ ، والمفهوم الفاسد على تكوين تلامذتهم ، وإعداد مريديهم .. فينشؤون على أسوأ ما ينشؤون من الفساد في التصوّر ، والعزلة للمجتمع ، والتخلّي عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والإعراض عن بناء العزّة للإسلام ؟!!

ومن هنا يحدث الخَلَل ، ويموج الاضطراب ، وتنفتح الثّغرات في الجماعات الإسلاميّة .

ومن الخلل القيادي : **التركيز على التربية السياسية والجهاديّة ، والاهتمام بأمر العالم الإسلامي في مشاكله وقضاياه** ، والتآمر عليه من قبل أعدائه وخصومه .. دون التركيز على التّربية الروحيّة ، وتزكية الأنفس ، وطهارة القلوب .

وكم سمعنا عن دعاة كبار مرموقين ركزوا في إعدادهم للشباب على الاهتمام بالقضايا السياسية ، والشؤون الفكريّة ، ومشاكل المسلمين العالميّة .. دون أن يكلّفوا أنفسهم في إلزام أبناء الجماعة على اتّباع منهج تربويّ وروحيّ .. يزكّون به قلوبهم ، ويُصلحون على مقتضاه نفوسهم ، ويُراقبون في سرّهم وجهرهم ربّهم ، ويقوّمون على أساسه سلوكهم وتعاملهم ؟!! .

ومن هنا يحدث الخَلَل ، ويموج الاضطراب ، وتنفتح الثّغَرات في الجماعات الإسلاميّة .

ومن الخلل القيادي : **عدم الأخذ بما تقتضيه طبيعة المرحلة الحاليّة في بناء الجيل ، وإعداده دعويًّا وتربويًّا ونفسيًّا** .. لمواجهة التحدّيات الإلحاديّة ، . والمبادئ اللادينيّة حين يأتي موعد المرحلة القادمة في لحظة المواجهة ، وساعة الحسم .

وكم سمعنا عن قيادات حركيّة للإسلام زجّت بشبابها في أتون الصّراعات السياسيّة مع السّلطة ، وفي مواجهة الحكم العلماني بالمقاومة المسلّحة .. قبل أن تستكمل طبيعة المرحلة الحالية التي تقتضي التّكوين ، والتّوعية ، وإيجاد القاعدة الصّلبة ، وتهيئة النفوس لطبيعة المرحلة القادمة التي تتطلّب الجهاد حتى النّصر ؟!!..

ومن هنا يحدث الخَلَل ، ويموج الاضطراب ، وتنفتح الثّغرات .. في الحركات الإسلاميّة .

ومن الخلل القيادي : **الضعف في الإمكانات التنظيميّة لإدارة الحركة ، والسير بها نحو الأفضل** ، وذلك حين تكون العناصر القياديّة غير متمتّعة بالمواهب الفطريّة ، والمؤهّلات التنظيميّة التي تمكّنها من ضبط الحركة ، ووضع الأصول والمبادئ في مراحل تكوين أفرادها دعويًّا ، وإعدادهم حركيًّا ..

وكم سمعنا عن قيادات دعويّة كانت جاهلة بالتّنظيم ، وضعيفة بالإدارة .. فضربت الفوضى أطنابها في بنية أعضائها .. فكان نتيجة ذلك أن تساقط أفراد الجماعة واحدًا بعد واحد ، وكُتِبَ على الحركة بأسرها الفناء والزّوال ؟ !..

ومن هنا يكون دمار الجماعات ، وتلاشي الحركات .. في المجتمعات الإسلاميّة .

ومن الخلل القيادي : **وصول بعض الدّعاة إلى دفّة القيادة وهم لم يكونوا على المستوى المطلوب من التقى والعلم والورع والسّلوك الإسلامي** .. بل اشتهروا في القواعد أنّهم فيما يَدْعُون غيرهم إليه لا يطبّقون .. وأنهم في واقعهم يقولون ما لا يفعلون .

وكم سمعنا عن قيادات إسلاميّة في المجتمع الإسلامي حين يتكلّم أعضاؤها عن الإسلام لم تسمع أبلغ ولا أفصح ولا أكثر حماسًا وغيرة منهم .. وحين ننظر إلى بيوتهم ونسائهم وسلوكيّاتهم تجد أفعالهم مخالفة لأقوالهم ، وأنّهم في واد ، والتزامهم للإسلام في واد آخر ؟!!

ومن هنا يحدث الخلل ، وتتزعزع الثقة ، وينهار البناء .. في الحركات الإسلاميّة .

تلكم أهمّ جوانب الخلل التي تعتري بنية القيادات الدعويّة في العصر الحديث ، وقد ذكرنا نماذج منها ، ليعلم كلّ من يتصدّى للعمل الإسلامي في المجتمعات الإسلامية في كل مكان أنّ أيّ خلل في القيادات يُعرّض الجماعات التي تدعو إلى اللّه إلى هزّات عنيفة في القواعد ، وإلى تصدّعات خطيرة في البناء .. إن لم يستدركها العقلاء فإن الجماعة بقيادتها وأفرادها تؤذن بزوال مدمّر أليم !!

ولكن ما هو وجه الحلّ والصواب لاستدراك هذه الأخطاء ؟

الحلّ في نظري هو اتّباع الخطوات التالية :

أولاً : أن يتّصف القائد ، ومَنْ يختار معه من أعضاء القيادة بمواصفات تربوية وعلمية ونفسيّة وأخلاقيّة ..

فإذا كان من مواصفات الإمامة العامة لقيادة الأمة : الإسلام ، والذّكورة ، والعقل، وصحّة الجسم ، والعلم ، والورع ، والأمانة ، والحزم ، والقدرة على تدبير شؤون الدولة ، والشّجاعة ، والدّهاء ..

فإن من يقوم مقامه ، ويحلّ محلّه في هذا العصر من القيادات الدعويّة ،

والرجالات الإسلاميّين .. ينبغي أن يتّصفوا أيضًا بهذه المواصفات الآنفة الذكر ، ليكونوا أقدر ما يكونون على حمل التّبعة ، والقيام بأداء المسؤوليّة ، ومتابعة المسيرة الدعويّة والاجتماعيّة على أحسن وجه .

ثانيًا : كلّ من يتطلّع إلى القيادة ، أو من يُكَلّف بها إذا كان يأنس من نفسه أنّه ليس أهلًا لها ، وأنه لم يتّصف بمواصفات قياديّة يتميّز بها فلا يجوز له شرعًا أن يقبل أن يكون في موقع المسؤوليّة الكبرى ، حتى لا يفرّط في أمانة الدعوة ، وحتى لا يسبّب للحركة الفوضى والخَلَلَ والاضطراب ، وإن قبل .. فإنه مسؤول عن تفريطه ، وسوف يندم على خيانته في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ..

روى مسلم عن أبي ذرّ – رضي اللّه عنه – قال : قلتُ : يا رسول اللّه ألا تستعملني ؟ (يريد الإمارة) ، قال : فضرب بيده على مَنْكِبي ، ثم قال : « يا أبا ذرّ إنّك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزيٌ وندامة إلا من أخذها بحقّها ، وأدّى الذي عليه فيها » .

ثالثًا : على القاعدة التي تتولّى بيعة القائد واختياره أن تختار للقيادة الرجل الكفء ، والمسلم النّاضج الغيور الورع الخبير ، المتّصفَ بمواصفات قياديّة ، والمعروفَ بحزمه وعلمه وكياسته .. وصاحبَ السابقة المشهود له بأمانته وحكمته وقدرته على تحمّل المسؤوليات .. وإذا فرّطت في ذلك وقصّرت فإنّها تكون خائنة للّه ولرسوله وللمؤمنين ، لكونها اختارت غير الكفء محاباةً ، أو عصبيّةً ، أو سعيًا وراء مصلحة شخصيّة .. روى الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس – رضي اللّه عنهما – قال : قال رسول اللّه ﷺ : « من استعمل رجلاً من عصابة ، وفيهم من هو أرضى للّه منه ، فقد خان اللّه ورسوله والمؤمنين » .

رابعًا : القائد للجماعة ، ومن يختاره في أداء المهمّة ، باعتبارهم أنّهم في صفّ القيادة وباعتبار أنّهم العاملون للإسلام ، والمجاهدون في سبيله .. ما هم بالحقيقة إلا ورّاث النبوّة ، **فإنّهم ورثوا الدّعوة ، وورثوا العلم** .. لما روى ابن حبّان وأصحاب السّنن إلّا النّسائي عن أبي الدّرداء – رضي اللّه عنه – قال : سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول : « من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهّل اللّه له طريقًا إلى الجنّة » .. إلى أن قال : « .. **وإن العلماء وَرَثَة الأنبياء** ، إن الأنبياء لم يورّثوا دينارًا ولا درهمًا إنما ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بِحظّ وافر » [1] .

وإذا كانوا ورّاث النّبوّة فعليهم أن يكونوا علماء بالشّرع ، مطّلعين على أحكام

(1) الإحسان بترتيب صحيح ابن جبان (1 / 152) .

الإسلام ، كما عليهم أن يتّصفوا بصفاتهم الواجبة في حقّهم ، فإذا كان من مواصفاتهم الأساسيّة : **الصدق ، والأمانة ، والتبليغ ، والسّلامة من العيوب المنفّرة ..** فإن القائد للحركة الإسلاميّة ومن هم في صفّ قيادته يجب أن يتّصفوا أيضًا بهذه المواصفات ، ليثق النّاس بهم ، ويستجيبوا لهم ، ويتلقّوا عنهم ..

وإن لم يكونوا كذلك فالناس تُعرض عنهم ، وينفرون منهم ، وتتزعزع ثقتهم بهم ويكونون من المكروهين المنبوذين !!.

فعلى الحركة الإسلامية بقيادتها وقاعدتها أن تنتبه إلى ذلك ، وتدركه جيدًا إن أرادوا لدعوتهم التّوفيق ، ولحركتهم النّجاح ، ولمسيرتهم النصر .

خامسًا : على كلّ من يكون في صفّ القيادة أن يكونوا متفرّغين للدعوة ، ومكمّلين بعضهم في الاختصاصات ، وأداء المهامّ .. فهذا يعمل في مجال التّنظيم .. والآخر في مجال الملاحقة والثالث في مجال الرّياضة ووسائل القوة .. والرابع في مجال الأجهزة الإداريّة والتربويّة ليتمّ التّعاون والتّكامل بين الجميع على أحسن وجه وأنبل معنى .. تحقيقًا لقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ [1] ، وقوله ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا » [2] .

فالتفرّغ ، والتخصّص ، والاستعانة بأصحاب الخبرات من غير القياديين .. هو من أهمّ ما تحرص عليه الجماعات الإسلاميّة في هذا العصر ، ومن أفضل ما يحقّق لهم التقدّم والازدهار ، ومن أعظم الوسائل التي توصلها إلى النّصر ..

ألا فلينتبه القياديّون إلى ذلك إن أرادوا أن يستكملوا بنية جماعاتهم ، وأن يسيروا في الدعوة على أسس سليمة ، وأهداف نبيلة ، ونصر مؤزّر مبين ؟!!

فوجه الحلّ والصّواب في تكوين القيادات إذن :

● السّعي الدّائب إلى أن يصل إلى موقع القيادة من يتّصفون بالعلم ، والورع ، والأمانة ، والحزم ، والدهاء ، والقدرة على تدبير الأمور ..

● لا يجوز شرعًا أن يتولّى زمام القيادة من يستشرفها ، وكان غير كفء لها .. لعظم المسؤوليّة ..

---

(1) سورة المائدة الآية : 2 . (2) صحيح البخاري (1/ 29) ، وصحيح مسلم كتاب البر والصلة (65)

● على القاعدة الإسلاميّة التي تتولّى بيعة القائد أن تختار للقيادة من هو الأصلح لها في دينها ودنياها دون محاباة أو عصبيّة .. وإن لا ، فإنها تكون خائنة للأمانة .

● على الذين يُرشّحون القيادات أن يعلموا أنّ مَنْ يُرشّحونهم هم وَرَثَةُ النبوّة فيجب أن يكون الاختيار ممّن كانوا على شاكلة الأنبياء صدقًا ، وأمانة ، وتبليغًا ، وعزمًا ، ومصابرة ..

● على كلّ حركة إسلاميّة أن تُفرّغ للقيادة رجالاً من ذوي الخبرة والاختصاص والكفاءات ، ليقوم كلّ واحد منهم في أداء مهمّته في مجال خبرته وكفاءته .. لدفع الدعوة الإسلاميّة إلى الأمام . هل أدركت الحركات الإسلامية أن البدء في إصلاح الحركة هو إصلاح الرأس ، ثم يأتي إصلاح سائر الجسد ؟

إذا أدركوا ذلك فلتسع جهدها إلى تكوين القيادة الصالحة الرشيدة .. واللّه المستعان .

* * *

2 - أخطاء في التّكوين التّربوي :

ومن ظواهر الخَلَل والاضطراب في بنية الجماعات الإسلاميّة أن يكون التّكوين للأفراد غير متوازن ولا متكامل ، بل أحيانًا يكون التّكوين في مجالات التّربية غير متوافق مع الأسس السّليمة ، والمبادئ المتكاملة الرّشيدة التي جاءت بها الشريعة الإسلامية الغرّاء .. فلا عجب أن نرى أبناء الجماعات الإسلاميّة قد فسد تصوّرهم عن الإسلام ، وانحرفت شخصيتهم عن السلوك الإسلامي المتوازن الأصيل ، وتضاربت مفاهيمهم الدعويّة عن الهدف الأكبر [1] الذي يجب أن يسعى إليه الجميع .. وهكذا يضرب الخلل أطنابه ، ويبلغ الاضطراب مداه .. فلا توازن للشخصيّة يُؤمّل ، ولا اكتمال للبناء يُرَجّى ، ولا تصوّر صحيح للإسلام يُتوقّع ، ولا عزة للإسلام يُسعى إليها ..

واليكم بعض الصّور والنماذج :

جماعة تركّز في تربية أبنائها على التّربية الرّوحية ، والأمور التعبّدية ، والعزلة الاجتماعية .. دون أن تهتم من قريب أو بعيد بالجوانب الأخرى في بناء الشخصية الإسلامية كالإعداد السّياسي ، والتّكوين الجهادي ، والاهتمام بشؤون العالم الإسلامي ، وإقامة دولة الإسلام .

(1) الهدف الأكبر هو إقامة الدولة الإسلامية الراشدة التي تجمع المسلمين تحت لواء واحد .

أليس في ذلك خطأً في التّربية ، وقصور في التّكوين ، وفساد في التّصورات والموازين ؟!!

وجماعة تُركّز في تربية أفرادها على التربية السياسيّة ، والقضايا الحركيّة ، ومجابهة اللادينيّة .. دون أن تهتم بالتربية الروحيّة ، والتّزكية النفسيّة ، وإصلاح آفات القلوب ، والتزام آداب السّلوك ، والاستكثار من نوافل العبادات ..

أليس في ذلك إخلال في جوانب السّلوك الإسلامي ، وانحراف عن بناء الشخصية المتكاملة ؟!!

وجماعة تُركّز في تربية أعضائها على الخروج للدعوة إلى اللّه في آفاق الأرض .. دون أن تلهب فيهم مشاعر الجرأة في الحقّ ، وتثير في أعماقهم أحاسيس الاهتمام بقضايا المسلمين وتُهيب بهم إلى التطلّع في بناء عزّة الإسلام ، والجهاد من أجل إعلاء كلمة اللّه ..

أليس في ذلك نقصٌ في بناء شخصيّة الرّجال ، وقصورٌ في تأهيلهم ليوم الكريهة والنّزال ؟!!.

وجماعة تُركّز في تربية من ينتمي إليها على تلقين عقيدة السّلف ، والاجتهاد من الكتاب والسنّة ، والإعراض عن فقه الأئمة ، والنّقد الذاتي للجماعات الإسلامية ، والتّجهيل والتضليل لكافة المسلمين .. دون أن يخطر ببالهم أيّ مسعى يجمع كلمة المسلمين على الخير ، ليقفوا معهم صفًّا واحدًا ، وجبهةً متراصّة .. أمام تحدّيات الإلحاد ، ومؤامرات أعداء الإسلام .. أليس في ذلك خَلَل في التوجيه والتّربية ، وتغافل عن قضايا المسلمين المصيريّة ، وتمزيق لوحدة المسلمين ؟!!

وجماعة يوجد لديها المنهج النظري الشامل في تربية الأشبال ، والشّباب ، والأخوات ، والأسر .. ولكن ليس عندها التطبيق العملي النّافذ لإبراز المنهج في عالم الواقع !! .

وهذا يعود : إما لندرة المرشدين التّربويّين في بنية الجماعة ، وإما لمواجهة الأحداث السيّاسيّة ، والمؤامرات العدوانيّة التي تهبّ ريحها على قيادة الحركة ورجالها ، وإما لإهمال الجانب التّربوي ، والانشغال في جوانب أخرى تراها هامّة ..

أليس يُؤْذِنُ ذلك بشر كبير ، وانهيار خطير في بُنْيَةِ الجماعة العضويّة ، وهيكلها المترابط الرّتيب ؟!

وجماعة لا يوجد لديها مناهج تربويّة تأخذ بها وإنما تعتمد في تربية الأشبال والشّباب ، وتوجيه الأخوات والأسر على العفويّة والارتجال ، وما تيسّر في الجلسة

من كلمات الوعظ والإرشاد .. تفعل ذلك بلا مرحليّة ، ولا تركيز ، ولا هدف .. دون أن ترعى في تعّهدها بذرة ، وتقطف بعد النضج ثمرة ، وتصل في نهاية المطاف إلى بناء مجد ورفعة ..

أليس في هذا العمل العفوي اللاتخطيطي كمن يرقم على ماء ، ويصرخ في واد .. بلا فائدة ولا جدوى ؟!!

تلكم أهمّ الأخطاء التربويّة التي تُمنى بها الجماعات الإسلاميّة في العصر الحاضر ؛ وهي – كما مثّلنا – أخطاء فادحة جسيمة ، وثغرات مفتوحة خطيرة .. إن لم يتداركها عقلاء كلّ جماعة فسيُكتب لهم الفشل والزوال لا محالة ، لأنّ اللّه سبحانه لا ينصر قومًا إلا بصدق نيّاتهم ، والتزامهم منهج ربّهم ، والأخذ بجوانب التّربية الّتي أمرهم بها دينهم ..

قال سبحانه : ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [1] .

وقال جلّ جلاله : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [2] .

ولكن ما هو وجه الحلّ والصّواب لتفادي هذه الأخطاء ؟

الحلّ في نظري هو اتّباع الإرشادات التّالية :

أولاً : على قيادات الحركات الإسلاميّة أن تبذل قصارى جهدها في إيجاد المناهج التربويّة لأعضائها ، ولكلّ شابّ ناشئ ينتمي إليها ، هذه المناهج ينبغي أن تكون متوازنة متكاملة حتى تحقّق غرضها في بناء الشّخصيّة الإسلاميّة التي يُعتمد عليها في مسيرة الدعوة والإصلاح والتّغيير .. وفي سائر إيجابيّات العمل الإسلامي المثمر الهادف البنّاء ..

فلا يجوز أبدًا أن تكون المناهج التربويّة مقتصرة على الإيمانيّات والرّوحانيّات والأخلاقيات .. دون أن يُركّز على الأمور الدعويّة ، والقضايا السياسيّة ، والمسائل الجهاديّة .. ولا يصحّ أبدًا أن تُبَرْمَج البرامج التكوينيّة لغرض الانطلاقة في الميادين الدعوية والسياسيّة والجهاديّة ، والاهتمام بشؤون المسلمين المصيريّة .. ويُهْمَل جانب البناء الرّوحي والنّفسي والسّلوكي !!..

وهكذا يجب أن تسير المناهج التربويّة بشمولها وأهدافها مع بعضها جنبًا إلى

(1) سورة محمد الآية : 7 .
(2) سورة الروم الآية : 47 .

جنب ، حتى إذا تلقّنها الشاب الناشئ ، وتربّى على أصولها وقواعدها ، وتأصّلت في شعوره وسلوكه معالمها .. نشأ الشّابّ على أحسن ما ينشأ عليه من التّكامل في التّربية والتوازن في الشخصيّة ، والإيجابيّة في التّعامل ، والاندفاع الصّادق إلى تحقيق الآمال والأهداف .. **ونشأ أيضًا على أداء الحقوق جميعًا** : حقّ اللّه ، وحقّ النّفس ، وحقّ الأسرة ، وحقّ القرابة ، وحقّ المجتمع ، وحقّ الدعوة ، وحقّ الجهاد .. يؤدّي كلّ هذا دون أن يضيّع حقًّا على حساب حقّ آخر ، ودون أن يُصيبه رهق ، أو فتور ، أو تسيّب ..

هذه الخطوة هي من الحلول الإيجابيّة القويمة في تدارك الأخطاء التربويّة التي تُمنى بها الجماعات الإسلاميّة ، والحركات الدعويّة في العصر الحديث .

ثانيًا : على مَنْ يُكَلَّف في وضع البرامج التّربويّة من الدّعاة ورجال الإصلاح للحركات الإسلاميّة أن يلحظوا في وضع البرامج فوارق السنّ ، والثقافة ، والجنسين من الذكور والإناث ..

فالبرامج التي توضع للأشبال تفترق كلّ الافتراق عن البرامج التي توضع للشباب .

والبرامج التي توضع للأخوات تختلف كل الاختلاف عن البرامج التي توضع للإخوان .

والبرامج التي توضع للعزّاب تتباين كل التباين عن البرامج التي توضع للأسر .

والبرامج التي توضع للعمّال تتفاوت كلّ التفاوت عن البرامج التي توضع للمثقّفين .

وهكذا ينبغي أن يُرَاعَى في البرامج مرحلة العُمر ، وفارق الثقافة ، وطبيعة الجنسين .. لتأتي البرامج بعد مرحلة التّنفيذ .. مُوفية بالغرض ، مُحقّقةً للهدف ، مؤدّية دورها في تكوين جيل ربّاني ، وإعداد أمّة قرآنيّة .. تستطيع أن تثبت وجودها ، وتقوم في أداء رسالتها في تأسيس دولة إسلاميّة راشدة ، وفي بناء صرحٍ للمسلمين شامخ .

ولا بأس أن **نذكر أمثلة** عن البرامج لكلّ فئة من هذه الفئات المذكورة :

ففي برامج الأشبال يُراعى فيها : التّعريف بالدعوة – عوامل النهوض بها – كيف نربّي الأشبال إيمانيًا ، وخلقيًا ، واجتماعيًا ، ونفسيًا ، وعقليًا [1] ؟ ... التّركيز على العبوديّة للّه مواقف من التاريخ من سِير الأشبال والشباب ..

---

(1) ارجع إلى كتاب « تربية الأولاد في الإسلام » للمؤلف تجد هذه الجوانب التربوية مفصّلة بما يشفي الغليل .

وفي برامج الإخوان يُراعى فيها : النّقاط التي تتّصل بأصول الدّعوة والبيعة : الفهم – الإخلاص – العلم – الجهاد – التّضحية – الطاعة – الثّبات – التجرّد – الأخوّة – الثّقة ..

وفي برامج الأخوات يُراعى فيها : – طبيعة عمل المرأة – مسؤوليّتها في الدّعوة – دورها في تربية الأجيال – حقوقها في الإسلام – تهيئتها لتكون زوجة وأمًّا – نماذج من سير نسائنا في التاريخ ..

وفي برامج العمّال يُراعى فيها : – فضل الكسب من عمل اليد – دور العمّال في بناء الحضارة – مسؤوليّتهم في نشر الدّعوة – حقوقهم في الإسلام – نماذج من التاريخ من مواقف الشباب الجهادية ..

وفي برامج المثقفين يُراعى فيها : فضل العلم التخصّصي في الإسلام – النّبوغ وأثره في نهضة الأمم – دور المثقّف في تعليم العلم وتبليغ الدعوة – عوامل الحصانة العقيدية والفكريّة لتحصينهم من الغزو الفكري – مسؤوليّتهم في نشر البحوث التخصّصية التي تبرز جوانب الفكر الإسلامي ..

وفي برامج الأُسَر يُراعي فيها : حقوق أفراد الأسرة في الإسلام – عوامل ترابطها عضويًّا – الوسائل في تكافل أفرادها – تعميق أواصرها مع ذوي الأرحام والقرابات – قدوتها في إعطاء النّموذج الصّالح لأُسَر المجتمع – دورها في الإصلاح والتغيير .

وقد تتداخل هذه البرامج ببعضها ولا سيّما المسائل التي تتّصل بالعقيدة والعبادة ، وترتبط بالسّلوك ، وحقوق العباد .. ولكن ينبغي على واضع البرامج أن يراعي الأسلوب الذي تفهمه كلّ فئة ، ويُراعي الاختصار أو التفصيل على حسب ما تقتضيه مرحليّة فارق السنّ والثّقافة ، ومتطلّبات العلوم والتخصّص .. حتى تفهم الفئات جميعًا ماذا يُراد من هذه البرامج في التّقويم والإصلاح والتربية ؟ وماذا يستتبعها من توضيحات وشروح وشواهد ؟ حتى إذا رجعت إليها بنفسها ، ومرّت في كلّ فترة على قراءتها واستذكارها .. لم تجد في ذلك صعوبة ولا تعقيدًا .. بل تستمر في التنفيذ والتطبيق إلى أن تصبح النظريّات التي جاءت في البرامج والمناهج عملاً وسلوكًا ..

فهذه الخطوة هي من أهمّ الخطوات الإيجابيّة في تصحيح الأخطاء ، وتوضيح الحلول ، فلتحرص القيادات الإسلاميّة على الأخذ بها ، والعمل على مقتضاها .. والله لا يُضيع أجر العاملين المخلصين .

ثالثًا : على القيادات أن توضّح للقاعدة **أصول الفكر الموحّد** الذي يجب أن

تنتهجه الجماعة الإسلاميّة بقيادتها وقاعدتها حتى لا تذهب الجماعة طرائق قِدَدًا في تصوّراتها العقيديّة ، ومناهجها الفكريّة والفقهيّة .. بل تتّفق - كما ألمحنا - على فكر موحّد ، ومبادئ محلّ وفاق لدى رجالات العلم ، وأهل الشّرع والاختصاص .. لأنّ التناقض في الفكر ، والفتاوى ، والتصوّرات الشرعيّة .. لا يأتي بخير ، بل ينعكس آثاره السّيئة على أفراد الجماعة ، فتنشأ فيها البلبلة الفكريّة ، والصّراعات الجدليّة ، والتعصّبات المذهبية .. التي تؤول في النهاية إلى الانقسام ، أو الانشقاق ، أو التشاجر أحيانًا !!..

وخير ما كتب في الفكر الموحّد في مسائل العقيدة ، وفي قضايا الفقه والاجتهاد هو ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيميّة - رحمه اللّه - في « **فتاويه** » ، و « **اقتضاء الصّراط المستقيم** » ، و « **رفع الملام عن الأئمّة الأعلام** » وبالنّسبة للغة العصر نذكّر ما كتبه الإمام الشّهيد حسن البنا - رحمه اللّه - في « **رسالة العقائد** » ، و « **رسالة التعاليم** » .

ونجتزئ بعض الفقرات ممّا جاء في هاتين الرّسالتين المذكورتين للتبصرة وتوضيح الفكرة :

يقول في رسالة « العقائد » بعد أن استعرض رأي السّلف ، ورأي الخلف في الأسماء والصّفات وأدلّة كلٍّ منهما :

(ونحن نعتقد أن رأي السّلف من السكوت وتفويض علم هذه المعاني إلى اللّه تبارك وتعالى أسْلَم وأولى بالاتّباع ، حسمًا لمادة التأويل والتعطيل ، فإن كنت ممن أسعده اللّه بطمأنينة الإيمان ، وأثلج صدره ببرد اليقين فلا تعدل به بديلا . ونعتقد إلى جانب هذا أنّ تأويلات الخلف لا توجب الحكم عليهم بكفر ولا فسوق ، ولا تستدعي هذا النّزاع الطويل بينهم وبين غيرهم قديمًا وحديثًا ، وقد لجأ أشدّ الناس تمسكًا برأي السّلف - رضوان اللّه عليهم - إلى التأويل في عدّة مواطن ، وهو الإمام « **أحمد بن حنبل** » رضي اللّه عنه ، **من ذلك** : - تأويله لحديث : « الحجر الأسود يمين اللّه في أرضه » [1] ، وحديث : « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » [2] ، وحديث : « إني لأجد نَفَس الرحمن من جانب اليمن » [3] .) ا هـ .

ولاشك أن ما رجّحه الإمام البنا في قضيّة الأسماء والصّفات هو الصحيح ،

---

(1) قال العراقي : رواه الحاكم وصححه من حديث عبد اللّه بن عمر .

(2) رواه مسلم من حديث عبد اللّه بن عمرو .

(3) قال العراقي : رواه أحمد من حديث أبي هريرة قال فيه : « وأجد نَفَس ربّكم من قبل اليمن » ، ورجاله ثقات .

فالأوجب أن نتبنّى طريقة السلف فيما وصف اللّه به نفسه من غير تكييف ولا تمثيل ، ولا تأويل ولا تعطيل ، وهي الطريقة التي انتهى إليها أساطين علم الكلام من الأشاعرة وغيرهم .. فما وجدوا بدًّا سوى أن يقرّوا بطريقة القرآن الكريم فيما وصف اللّه به نفسه ، وفيما يليق بجلاله إثباتًا ونفيًا .

يقول الإمام فخر الدين الرّازي في كتابه « أقسام الذات » : (لقد تأمّلتُ المناهج الفلسفيّة ، والطّرق الكلاميّة .. فلم أرها تشفي عليلاً .. أو تروي غليلاً ، ورأيت **خير الطرق طريقة القرآن** ، أقرأ في الإثبات : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [1] وأقرأ في النّفي : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌ ﴾ [2] ، ومن جرّب مثل تجربتي ، عرف مثل معرفتي) . ا هـ .

ويقول الإمام البنا في « رسالة التعاليم » :

● « والتّمائم والرّقى والوَدَع والرَّمْل والمعرفة والكهانة وادّعاء معرفة الغيب ، وكلّ ما كان من هذا الباب منكر تجب محاربته ، إلا ما كان آية من قرآن ، أو رُقْيَة مأثورة » .

● « وكلّ أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم ﷺ ، وكلّ ما جاء عن السّلف رضوان اللّه عليهم موافقًا للكتاب والسنّة قبلناه ، وإن لا فكتاب اللّه وسنّة رسوله أولى بالاتّباع ؛ ولكن لا نعرض للأشخاص – فيما اختُلف فيه – بطعن أو تجريح ، ونكلهم إلى نيّاتهم ، وقد أفضوا إلى ما قدّموا » .

● « ولكلّ مسلم لم يبلغ درجة النّظر في أدلّة الأحكام الفرعيّة أن يتّبع إمامًا من أئمة الدين ، ويحسن به مع هذا الاتّباع أن يجتهد ما استطاع في تعرّف أدلّته ، وأن يتقبل كلّ إرشاد مصحوب بالدليل متى صحّ عنده صلاح من أرشده وكفايته ، وأن يستكمل نقصه العلمي إن كان من أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر » .

● والخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سببًا للتفرّق في الدّين ، ولا يؤدّي إلى خصومة ولا بغضاء ، ولكلّ مجتهد أجره ، ولا مانع من التّحقيق العلمي النّزيه في مسائل الخلاف في ظلّ الحبّ في اللّه ، والتعاون على الوصول إلى الحقيقة من غير أن يجرّ ذلك إلى المراء المذموم والتعصّب » .

● « وكل بدعة في دين اللّه لا أصل لها استحسنها الناس بأهوائهم بالزّيادة فيه ،

(4) سورة طه الآية : 5 .
(5) سورة الشورى الآية : 11 .

أو النقص منه ضلالة تجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي إلى ما هو شرّ منها » .

● « وزيارة القبور أيًّا كانت سنّة مشروعة بالكيفيّة المأثورة ، ولكن الاستعانة بالمقبورين أيًّا كانُوا ، ونداءهم لذلك ، وطلب قضاء الحاجات منهم عن قربٍ أو بعدٍ ، والنّذر له ، وتشييد القبور وسترها وإضاءتها والتمسّح بها ، والحلف بغير اللّه ، وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها ، ولا نتأوّل لهذه الأعمال سدًّا للذريعة » .

● لا نكفّر مسلمًا أقرّ بالشّهادتين ، وعمل بمقتضاهما ، وأدّى الفرائض – برأي أو معصية – إلّا إن أقرّ بكلمة الكفر ، أو أنكر معلومًا من الدّين بالضرورة ، أو كذّب صريح القرآن ، أو فسّره على وجه لا تحتمله أساليب اللّغة العربية بحال ، أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر » .

هذه بعض مقتطفات مما جاء في « رسالة التّعاليم » للإمام البنا ، وأنصح الجماعات الإسلاميّة تعميم ما جاء في الرّسالة كلّها من مفاهيم وتوجيهات على الأعضاء جميعًا ، ليحفظوها ويأخذوا بها ويعملوا على مقتضاها ..

وفي ذلك توحيد لفكرهم وتصوّرهم في مسائل العقيدة ، وأمور الفقه والاجتهاد .. فلا يذهب كل فرد بما اعتقده ولو كان اعتقاده خطأً ، ولا تتناقض الجماعات مع بعضها وتتصارع في المراء والجَدل ، والتعصّب المذهبي ، والانتصار للرأي !!.

هذا هو – واللّه – طريق الحبّ والتفاهم ، والوئام والتّماسك .. في ظلّ الشريعة الإسلاميّة التي يؤمن الجميع بها ، ويعملون لها ، ويدعون إليها ، ويجاهدون في سبيلها .. واللّه في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه .

فهذه الخطوة هي من الخطوات الإيجابيّة المهمّة في تركيز الجماعة على فكر موحّد ، وتربية عقليّة واعية .. ، وفي التقائها على منهج ثابت في الأفكار والتصوّرات .. وفي ذلك قوّتها ووحدتها واندفاعها على درب الدّعوة نحو النّصر والعِزة للإسلام .

رابعًا وأخيرًا : على القيادات الإسلاميّة للحركات الدعويّة في بلاد الإسلام ، **أن تُلزم نفسها وقواعدها على التزام الوصايا العشر** التي وضع أسُسها الإمام البنا رحمه اللّه ، هذه الوصايا هي اللّب للأخلاق الفاضلة ، وهي الأصول للسلوك الإسلامي في تعامل المسلم مع

ربّه ، مع نفسه ، ومع مجتمعه .. فإن قام على تطبيقها وتنفيذها كلّ من ينتمي إلى الدّعوة إلى اللّه من قياديّين وجنودٍ .. كانت التربية محكمة ، والتعامل طيبًا ، والقدوة صالحة ..

وإليكم بنودها كاملة :

1 - قم إلى الصّلاة متى سمعت النّداء مهما تكن الظروف .

2 - اتلُ القرآن ، أو طالع ، أو استمع ، ولا تصرف جزءًا من وقتك في غير فائدة .

3 - اجتهد أن تتكلّم العربية الفصحى ، فإنّ ذلك من شعائر الإسلام .

4 - لا تكثر الجدَل في أيّ شأنٍ من الشؤون فإن المِرَاء لا يأتي بخير .

5 - لا تكثر الضَّحِك فإن القلب الموصول باللّه ساكنٌ وقور .

6 - لا تمزح فإن الأمّة المجاهدة لا تعرف إلا الجدّ .

7 - لا ترفع صوتك أكثر مما يحتاج إليه السّامع فإنه رعونة وإيذاء .

8 - تجنّب غيبة الأشخاص ، وتجريح الهيئات ، ولا تتكلّم إلا بخير .

9 - تعرّف إلى من تلقاه من إخوانك ، وإن لم يطلب إليك ذلك ، فإنّ أساس دعوتنا الحبّ والتعارف .

10 - الواجبات أكثر من الأوقات ، فعاون غيرك على الانتفاع بوقته ، وإن كان لك مهمّة فأوجز في قضائها .

هذه الخطوة التربويّة من الوصايا هي من أهمّ ما يجب أن يعتادها الشّاب ، ويقوم على تنفيذها ، بل هي المنارة المتلألئة لكلّ من أراد السير على طريق الإيمان والإسلام والدّعوة إلى اللّه .

فالحلّ الإيجابي في تفادي الأخطاء التربويّة إذن هي :

● إيجاد المناهج التربويّة المتوازنة الشّاملة في كلّ جانب تربويّ ودعويّ دون تضييع حقّ على حساب حقّ آخر .

● على من يضع المناهج التربويّة من الدّعاة ورجال الإصلاح في الجماعة أن يُراعوا فارق السنّ ، وتفاوت الثّقافة ، وطبيعة الجنسين بين الذّكور والإناث ..

● على القيادات أن تحرص عند وضع برامجها التربويّة أن تكون البرامج موحّدة من حيث الفكر والعقيدة والفتاوى والتصوّرات عن الإسلام ..

● على القيادات كذلك أن تُلزم نفسها وكلّ من ينتمي إليها بالتّطبيق العملي لمبادئ الوصايا العشر التي وضع أصولها الإمام البنّا رحمه اللّه .

● هل أدركت الحركات الإسلاميّة الخطوات التربويّة التي يجب أن تنتهجها في تفادي الأخطاء ، وإصلاح الأوضاع ، وتقويم اعوجاج السلوك والأخلاق ؟

● إذا أدركت ذلك فلتسع جهدها أن تربّي شبابها على هذه الأصول الأخلاقيّة الثّابتة ، والمبادئ السّلوكيّة الفاضلة .. واللّه سبحانه لا يضيع أجر العاملين المحسنين .

* * *

3 - **أخطاء في الإعداد الدعوي :**

ومن ظواهر الخلل والاضطراب في بنية الجماعات الدعويّة التي تدعو إلى اللّه وتجاهد في سبيل الإسلام .. عدم الأخذ بالمبادئ التبليغيّة ، والقواعد التي ينبغي أن يتربّى عليها شباب الدعوة ، وأن يأخذ بأسبابها جنود الإسلام .

ذلك ، لأنّ تبليغ الدعوة له أصول ومبادئ ، فالداعية لا يكون ناجحًا وموّفقًا ومؤثّرًا إلا أن يأخذ بها ، ويسير على مقتضاها ، وكذلك الداعية لا يستطيع أن يعطي وأن يؤثّر إلا أن يكون قد مرّ على التربية الروحيّة ، والتربية النفسيّة ، والتربية الخلقيّة ، والتربية الثقافيّة ، والتربية التعبيريّة .. فهذه الشموليّات لجوانب التّربية في إعداد الدّعاة ، وتكوينهم الأمثل .. هي من أهم ما ينبغي أن تحرص على تنفيذها قيادات الحركات الإسلاميّة في كلّ مكان .. **وأيّ نقص أو تقصير** في أيّ جانب من جوانب التّربية في تكوين الدّعاة وإعدادهم .. ينعكس آثاره على الدعوة ، وعلى الحركة ، وعلى قطف الثمرة في هداية الناس وإصلاحهم ؟!!

وإذا سمعنا عن شباب حركة أخفقوا وفشلوا في تبليغ الدعوة ، وهداية النّاس .. فالسبب يعود أنهم لم يدخلوا مدرسة الدّعوة ، ولم يمرّوا على مراحل التّربية والإعداد ، ولم تتكوّن شخصيّتهم الدعوية التكوين الشّامل .. فلا عجب أن يحدث بعد ذلك الخلل ، ويقع الفشل والإخفاق !!.

وإليكم بعض الصّور والنّماذج في إخفاق الدعاة :

شباب نزلوا ميدان الدّعوة قبل أن يتكوّنوا روحيًّا وتربويًّا وأخلاقيًّا .. فالنّاس نفروا منهم ، وابتعدوا عنهم .. لأنّهم لم يجدوا منهم إشراقة الرّوحانية ، والفضائل التربويّة ،

والمواصفات السّلوكيّة والأخلاقية ..

فمن الطبيعي أن يخفقوا ويفشلوا في تبليغ الدّعوة ، ومن الطبيعي أن تتزعزع الثّقة بهم ، وأن ينأى المدعوون عنهم ، وأن لا يستجيبوا لدعوتهم !!..

وشباب نزلوا ميدان الدعوة قبل أن يتكوّنوا نفسيًا .. وذلك قبل تلقيهم دروس الإيمان والإخلاص ، وأصول الجرأة والمصابرة ، ومعاني الثّبات والتفاؤل ..

فمن الطّبيعي أن تُداخلهم المراءاة ، أو ينهزموا أمام الأحداث ، أو يجبنوا عند اللقاء ، أو يتملّكهم اليأس والقنوط .. وفي ذلك تساقط لهم مريع ، وانهزاميّة لنفوسهم قاتلة !!.

وشباب نزلوا ميدان الدّعوة قبل أن يتدرّبوا على الأصول والمراحل في كيفيّة تبليغ الدعوة ، وقبل أن يتلقّنوا الطرق الصحيحة في الهيمنة على المدعوّين ، وكيف يتمّ التشويق لهم ، والتأثير عليهم ؟

فمن الطّبيعي أن يُخفِقُوا ويفشلوا .. لأنّهم لا يعرفون كيف يبلّغون ويدعون ؟ ولا يدرون كيف يبدأون ، وكيف ينتهون ؟ ولا يعلمون كيف يشوّقون ، وكيف يؤثّرون ؟!!.

وشباب نزلوا ميدان الدّعوة قبل أن يتدرّبوا على أصول المواقف التعبيريّة التي تكشف عن وجه لغتهم وتعبيرهم حين يدعون ويبلّغون ، وحين يتحدّثون ويخطبون ..

فمن الطبيعي أن يخفقوا ويفشلوا ، لكونهم لم يتدرّبوا على أصول التحدّث والخطابة ولم يُمارسوا مواقف المحاضرة والحوار ، ولم يمرّوا على أسس التّعبير بالكتابة ، وفنّ المقالة وربما أصابهم مركّب النقص ، والعُقَد النفسيّة .. من جرّاء فشلهم في مواقفهم التبليغيّة ، وتعبيراتهم الكلاميّة والكتابيّة .. فتساقطوا على درب الدعوة مع المتساقطين !!..

وشباب نزلوا ميدان الدعوة قبل أن يتكوّنوا بالثقافة الشاملة التي تؤهّلهم ليكونوا دعاة يواجهون خصومهم بالقناعات الكافية ، والحجج الدامغة ، والمنطق الموضوعي الرّصين ..

فمن الطبيعي أن يخفقوا ويفشلوا .. لكونهم لم يتأهّلوا بعد بالثّقافات الإسلاميّة ، والتاريخيّة ، والأدبيّة ، والإنسانيّة ، والعلميّة ، والواقعيّة ..

ومن الطبيعي أن تتزعزع ثقة النّاس بهم ، ولاسيما المثقّفين منهم حين يسمعون ضحالة ثقافتهم ، وضعف منطقهم ، وقلّة بضاعتهم في الثّقافات المختلفة !!..

وأحيانًا يكون قصور التّكوين الدّعوي للدّعاة في أكثر من جانب ، كأن يكون قصور

في التكوين الرّوحي مع التّكوين الثّقافي ؛ أو أن يكون قصور في التّكوين النّفسي مع التّكوين السّلوكي ؛ أو أن يكون قصور في التّكوين الدّعوي مع التّكوين التعبيري ..

وأحيانًا قد يكون القصور في الجوانب التكوينيّة كلّها ، وكم سمعنا عن شباب تصدّوا للعمل الإسلامي وقد تعرّوا نهائيًا من جوانب التّكوين الشامل ، سواء كان التكوين روحيًا ، أو نفسيًا ، أو سلوكيًا ، أو ثقافيًا ، أو دعويًا ، أو تعبيريًا ..

وهيهات هيهات أن ينجح الدّعاة ، وأن يكون لهم أثرهم في مجال التّوعية والإصلاح والتغيير ، وقد فقدوا جوانب تكوينهم كلّها أو بعضها في إعدادهم كدعاة ، وتأهيلهم كمبلّغين لدعوة الإسلام ؟!!.

فلا عجب – كما ألمحنا – أن يُمنوا بفشل ذريع ، وإخفاق مروّع ، وهزيمة دعوية قاتلة !!

ولكن ما هي الحلول الإيجابيّة لتفادي هذا القصور ؟

الحلول لهذا القصور في التكوين الدعوي أن تعلم القيادات الدعويّة في بلاد الإسلام مواطن الضعف في الدعاة ، وأسباب فشلهم في تبليغ الدعوة ، ومراحل الحلول في تكوينهم وإعدادهم .. ليكونوا دعاة بصدق ، ورجالاً للدعوة بكفء ، وهداة للبشر بجدارة ..

بعد أن تكلمنا عن مواطن الضعف ، وأسباب الفشل .. في الصّور والنماذج التي جسّدت أحوال النّقص في الدعاة ، وأسباب إخفاقهم في تبليغ الدعوة .. نعرج – بتوفيق اللّه – على ذكر الحلول الإيجابيّة في إعدادهم وتكوينهم على الوجه الأمثل المطلوب ..

أرى أنّ شباب الإسلام قبل أن ينزلوا ميدان الدّعوة والتّبليغ عليهم أن يدخلوا المدرسة الدعويّة ليتّم التّكوين فيها على أنبل معنى ، وأحسن وجه .. ولا سيّما في الجوانب التي تؤهّلهم أن يكونوا دعاة ناجحين ، وهداة للبشر موفّقين ..

وإليكم أهمّ هذه الجوانب من الإعداد والتكوين التي ينبغي أن تكتمل شخصيّتهم الدعويّة على أساسها :

أ – **جانب التّكوين النفسي** : الدعاة مهما كان شأنهم لا يمكنهم أن يعطوا ، وأن يثبتوا ، وأن يستمروا في الدعوة حتى النّهاية .. حتى يتحلّوا بصفاتٍ نفسيّة نبيلة تكون لهم الدّرع الواقي ، والحصن المنيع من أن يتأثّروا بمؤثّرات الخوف واليأس ، أو يخضعوا لعوامل الضّعف والانهزاميّة .

هذه الصّفات تتجلّى **بالإيمان الذي يردع ، وبالإخلاص الذي يرفع ، وبالجراءة التي تدفع ، وبالصبر الذي يُبقي ، وبالتفاؤل الذي يُرضي** .. حتى يصل الدّعاة إلى النّصر ، أو يقتلوا أو يموتوا وقد بذلوا جهودهم ، وقدّموا كلّ ما عندهم ..

وسبق أن تكلّمنا عن هذه المواصفات الخمس في **الفصل الخامس** من هذه السّلسلة تحت عنوان : « **صفات الداعية النفسيّة** » ، فارجعوا إليها - إخوتي الدعاة - تجدوا فيها ما يشفي الغليل إن شاء اللّه .

ب - **جانب التّكوين الروحي** : الدعاة مهما كان سنّهم لا يمكنهم بحال أن يؤثّروا في غيرهم ، ويتفاعل النّاس مع دعوتهم .. حتى يتكوّنوا روحيًا ، ويتزوّدوا من زاد التّقوى ، ويعبّوا من معين العبادة والعمل الصالح .. فلا يجد المدعوّون بدًّا سوى أن يثقوا بهم ويستجيبوا لهم ، ويتلقّوا عنهم ، وينتفعوا منهم ، ويُقبلوا مختارين طائعين على دعوتهم ..

وسبق أن تكلّمنا عن السّبيل إلى الروحانيّة ، والرّوافد التي تغذّيها وتنمّيها .. وعن أثرها الطّيب في البناء ، والإصلاح والتّغيير .. **في الفصل السادس** من هذه السلسلة تحت عنوان : « **روحانيّة الداعية** » ، فارجعوا - إخوتي الدعاة - إلى الفصل المذكور تجدوا فيه ما يروي الصّدى إن شاء اللّه .

ج - **جانب التكوين السّلوكي** : الدعاة مهما كان تعاملهم لا يمكنهم أبدًا أن يعمّقوا روح المحبّة والثّقة والتّفاعل بينهم وبين من يدعونهم .. حتى يتطبّعوا بأصول الأخلاق الفاضلة التي تتمثّل **بخلُق الصّدق ، والأمانة ، والحلم ، والتّواضع ، والكرم ، والرّفق ، واللّين** .. هذه الأصول إن تحلّى بها الدّعاة ، وتطبّعت أخلاقهم عليها .. استطاعوا أن يملكوا القلوب ، ويستأسروا النّفوس ، وأن يقبل النّاس على دعوتهم بشغف ، ويستجيبوا لأقوالهم بلهفة ، ويعطوا في سلوكهم لغيرهم قدوة .

وسبق أن تكلمنا عن هذه المواصفات السّلوكية الأخلاقيّة في **الفصل السابع** من هذه السلسلة تحت عنوان : « **أخلاقيّة الداعية** » ، فارجعوا - إخوتي الدعاة - إلى الفصل المذكور تجدوا ما فيه الكفاية إن شاء اللّه .

د - **جانب التّكوين الثّقافي** : الدّعاة مهما كان نضجهم لا يمكنهم أن ينهضوا بدعوتهم ، ويثق الناس بهم ، ويقتنعوا بأفكارهم وإرشاداتهم .. حتى يتكوّنوا فكريًا ، وينضجوا ثقافيًا .. ليستطيعوا أن يواجهوا بقوّة تحدّيات المبادئ ، وصراعات الأفكار ، وشبهات الأعداء ..

ويتمثّل هذا التّكوين الثّقافي : **في الثقافة الشرعية ، والثقافة التاريخيّة ، والثقافة الأدبيّة ، والثقافة الإنسانية ، والثقافة العلميّة ، والثقافة الواقعية ..**

وسبق أن تكلّمنا بشيء من التّفصيل عن هذه الثقافات المتنوّعة المذكورة في الفصل الثامن من سلسلة مدرسة الدعاة تحت عنوان : « **ثقافة الدّاعية** » ، فارجعوا إليه - إخوتي الدعاة - تجدوا فيه ما يفي بالمقصود إن شاء اللّه .

هـ - **جانب التّكوين الدعوي** : الدعاة مهما كان أسلوبهم لا يمكنهم أن يتوفّقوا بتبليغهم ، وأن يصلوا في ثمرة الدّعوة إلى مرادهم ، وأن ينجذب النّاس إليهم .. حتى يعلموا المراحل الإيجابيّة التي يجب أن ينتهجوها في تبليغ دعوتهم ، والخطوات التبليغيّة التي يجب أن يتّبعوها أثناء إرشادهم وتوعيتهم .. ليصلوا إلى الغاية ، ويقطفوا الثّمرة ، ويحقّقوا عزّة الإسلام .. وتتحقّق خطوات هذا التكوين : **في دراسة البيئة ، وفي اتّباع أصول التحدّث والحوار ، وفي البدء بالأهمّ فالمهمّ ، وفي تجنّب الخلافات الفقهيّة ، وفي الترفّق والملاطفة ، وفي الهيمنة والتّأثير ، وفي الاستعانة بوسائل التّبليغ ، وفي إنزال الناس منازلهم ..**

وسبق أن فصّلنا في هذه المراحل التّكوينية للدعاة في **الفصل التاسع** من سلسلة مدرسة الدّعاة تحت عنوان : « **كيف يدعو الدّاعية ؟** » فارجعوا إليه - إخوتي الدعاة - تجدوا فيه ما يحقق الغرض إن شاء اللّه .

و - **جانب التكوين التّعبيري** : الدعاة مهما كانوا فصحاء ، لا يمكنهم أن يوضّحوا فكرتهم إلى من يدعونهم ، وأن يفهم النّاس عنهم ، وأن يعوا ويستوعبوا كلامهم ومواعظهم .. حتى يكون عندهم الأسلوب الأحسن في مواقفهم الكلاميّة ، والتعبير الأفصح في لقاءاتهم التبليغية .. ليقتنع النّاس ويفهموا ، ويأخذوا ويعوا ..

ويتجلّى التّكوين التعبيري للدّاعية : **في صفات الداعية الكلاميّة ، وممارسة الداعية للتّخصيص والتّعبير ، والارتجال .. وفي مواقف الدّاعية محدّثًا ، ومدرّسًا ، وخطيبًا ، ومحاضرًا ، ومحاورًا ، وكاتبًا ، وأديبًا ..**

وسبق أن فصّلنا في هذه الإعدادات التعبيريّة للدعاة في **الفصل العاشر** من سلسلة مدرسة الدعاة تحت عنوان : « **مواقف الداعية التعبيريّة** » فارجعوا إليه - إخوتي الدعاة - تجدوا ما يثلج الصدر إن شاء اللّه .

فالحلّ الإيجابي في تفادي الأخطاء الدعويّة إذن هي :

أن يتصف الدعاة بالصفات النفسيّة التي تتجسّد بالإيمان ، والإخلاص ، والجرأة ، والصبر ، والتفاؤل ..

وأن يتكوّنوا روحيًا ، وذلك بالتزود بالتقوى ، والاستزادة من العبادة ، والإكثار من العمل الصالح .

وأن يتحلّوا بالأصول الأخلاقية التي تتمثّل بالصّدق ، والأمانة ، والحلم ، والتواضع ، والكرم ، والرّفق ..

وأن يأخذوا بالأصول الثقافيّة التي تقوم على الثّقافة الشّرعيّة ، والتاريخية ، والأدبيّة ، والإنسانيّة ، والعلميّة ، والواقعيّة ..

وأن يُعِدّوا أنفسهم دعويًا وذلك في الخطوات الإيجابية التي تؤهّلهم أن يكونوا دعاة موفقين ، وهداةً ناجحين مؤثّرين ..

وأن يتعلّموا أصول التعبير في مواقفهم التدريسيّة ، والخطابيّة ، وفي مهمّاتهم التحدّثية والكتابيّة ، وفي كلّ ما يتعلّق بتبليغ الدعوة ، والتّعريف بها ...

هل أدركت الحركات الإسلاميّة الحلول العمليّة في تفادي الأخطاء الدعويّة التي يقع في حبائلها الدّعاة ؟

إذا أدركت ذلك فلتسع جهدها ، وتبذل كلّ ما في وسعها .. لتجعل ذلك مُنَفَّذًا ومطبّقًا في عالم الواقع ، وفي إعداد الشباب .. واللّه سبحانه يتولاهم ولن يترهم أعمالهم .

* * *

4 - الأخطاء في العمل الإداري :

ومن ظواهر الخطأ والخلل في بنية الجماعات الإسلاميّة ، ومن عوامل زعزعة الثّقة بين القيادات والقواعد .. هو أن يتولّى شؤون الجماعات إدارات لم تكن على المستوى القيادي المطلوب من الحكمة وقوة الملاحظة .. التي تضع كل واحد في موضعه المناسب ، وتوظف كافّة الأفراد في العمل الإسلامي ، وتتابع اللّجان في مسؤوليّتها الدعويّة ، وتحلّ المشكلات وتحسمها بسرعة ، وتقف من المشوّشين ومثيري الإشاعات والفتن موقف الحزم ، وتحرص على تطبيق ما جاء في قرارات

الأنظمة بدقّة وإحكام .. إلى غير ذلك من ضروب الإهمال والتّساهل وعدم الاكتراث الذي يطعن العمل الإسلامي في الصميم ، ويحدث الخلل والاضطراب ، في بنية الجماعات والحركات التي تدعو إلى الإسلام !!.

وهذه الظواهر من الزلات والأخطاء تتحمّل وزرها ومسؤوليّتها القيادات للحركات في الدرجة الأولى ، ثم من تعيّنهم القيادات من الإداريّين ومسؤولي اللّجان والأسر ..

ومن المؤسف حقًّا أن يصل ناس إلى مراكز الإدارات والقيادات ومجالس الشورى .. عن طريق انتخاب القواعد .. ومن هنا نقطة الخلل والاضطراب ، ولاسيما إذا كانت هذه القواعد مضطربة في فكرها ، متخلخلة في تربيتها ، ومشوّشة فيما يصيبها .. فإنّها وهي على هذه الحال لا تستطيع أن تُوصل إلى المجالس القياديّة للحركة من هو الأكفأ ، والأفضل ، والأنضج .. ومن هو المؤّهل ليتسلّم قيادة ، أو يقوم بأداء مسؤوليّة !!.

والحقيقة أنّ القيادات الإسلامية لا تلجأ إلى الانتخابات في قواعدها إلا حين تكون الجماعة مضطربة مشوّشة متصارعة .. تلجأ إلى ذلك حسمًا للنّزاع ، وتهدئة للصراع ودرءًا للاضطراب ..

فلا عجب بعد هذا أن يصل إلى القيادات والإدارات غير الأكفاء ، وغير النّاضجين .. فتصاب الجماعة بقيادتها وقاعدتها بالخلل التنظيمي ، والصّراعات الداخليّة ، وأحيانًا الانشقاقات الجانبيّة في بنية الجماعة ووحدتها !!

وفي تقديري أنّ الجماعة الإسلامية حين تكون مكتملة في تربيتها ، مترابطة في وحدتها ، وقويّة في تكوين أفرادها ، ومتفاهمة فيما بينها ، ومطيعة لقيادتها ، ومنضبطة في سائر تصرّفاتها ، وتنفيذ مسؤوليّاتها .. الجماعة حين تكون في هذه المواصفات والخصائص ، فلا حرج أبدًا حين تعقد البيعة لأميرها ، وتعطيه أثناء البيعة سمعها وطاعتها وولاءها ..

فلا حرج أن ترضى طائعة مختارة بكلّ من يختاره الأمير القائد من مسؤولين في القيادة ، والإدارة ، ومجالس الشورى .. على شرط أن يكونوا أصحاب كفاءات ، وأهل اختصاص وخبرة وسابقة .. أو يكونوا على الأقلّ أفضل الموجودين كفاءة ونضجًا وأهليّة ..

فبهذا تنحسم الأمور ، وتستقرّ الجماعة ، وتسير إلى غايتها بلا تعثّرات ولا عقبات ولا مشاكل ..

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الجماعة بقيادتها وقاعدتها إذا رأت في صفّها من يشوّش ، ويبثّ الإشاعات ، ويؤلّب الفئات على بعضها ، ويريد أن يشقّ عصا تآلفها

ووحدتها .. على الجماعة إذا رأت ذلك أن تقف من هؤلاء .. موقف الحزم والشدّة ، دون أن يأخذها بهم شفقة ولا رحمة .. درءًا للمفسدة ، وقتلاً للفتنة ، وحفاظًا على وحدة الجماعة .. ذلك لأنّ أيّ تساهل أو تراخٍ في حق هؤلاء المشوّشين المثيرين ، أو التغاضي عنهم ، أو اتّخاذ المبررات لأعمالهم ، أو السّكوت عنهم لوزنهم ، والخوف منهم . فإن الجماعة سوف تتعرّض لفتن ومشكلات وانشقاقات لا يعلم مداها إلا اللّه ، والذين عندهم علم فيما يقع في بعض الجماعات الإسلاميّة في العالم الإسلامي من اضطرابات وفتن .. يُدركون جيدًا أن الأسباب تعود إلى تساهل القيادات في حق المشوّشين ، وذوي الأغراض ، وأصحاب المطامع والأهواء ، وتُرِكَ المجال لهم في أن يأخذوا حريّتهم في تعكير الأجواء ، وزرع الخصومات ، وتأليب القواعد على القيادات !!..

وهذه – واللّه – هي الحالقة التي تحلق العمل الإسلامي ، وتوقف عجلة المسيرة الدعويّة في أن تصل إلى غايتها نحو العزّة والنّصر .. واللّه سبحانه لا ينصر أقوامًا إلا بصدق نياتهم والتزامهم مبادئ دينهم ، واجتماع كلمتهم على الحقّ والهدى ..

وفي حال أنّ الجماعة عاجزة بقيادتها وقاعدتها عن أن تصل إلى تعيين قائد كفء ، أو قيادة ذات خبرة وأهليّة ، **وعاجزة أيضًا** أن تضع لنفسها أنظمة إداريّة تقود الجماعة إلى شاطئ السلامة والاستقرار .. وعاجزة كذلك عن أن تأخذ على يد المشوّشين ، أصحاب الأغراض والمصالح بالحزم ، وتتّخذ منهم موقفًا تحفظ للجماعة أصالتها ، وتردّ إليها اعتبارها وتماسكها ..

في حال أن الجماعة عاجزة عن هذا كلّه .. فالخير لها ولسمعتها أن تحلّ نفسها نهائيًا ، وتُعيد تكوينها من جديد على المواصفات التي ذكرناها آنفًا ، ولابد أن يوجد في الجماعة عناصر صالحة قياديّة ذات كفاءة ، تتولّى أمر التّكوين والتشكيل ، كما حصل **لجماعة عباد الرحمن** في لبنان تمامًا ، فبعد أن فشلت في بناء نفسها بناءً قويًّا متماسكًا .. تلاشت شيئًا فشيئًا .. إلى أن انتهتْ نهائيًا ، ثم تنادي أهل الغيرة والإيمان والقدرة على البناء من أعضائها ، وشكّلوا فيما بينهم الجماعة الصالحة الراشدة المعروفة اليوم **بالجماعة الإسلاميّة** هناك ، وهكذا ينبغي أن تكون عمليّات الإنقاذ لجماعة هرمت وشاخت وتسيّبتْ .. لتعود من جديد على أصالة من التكوين والبناء ، وعلى قدوة في التربية والإعداد ، وعلى قدرة تامة في السّير المطّرد الجادّ على طريق النصر والعزّة للإسلام ..

وأريد بعد الذي ذكرتُه أن أسلّط الأضواء على الحلّ الأمثل في تفادي الأخطاء الإداريّة لتكون للجماعات الإسلاميّة التي يهمّها أمر البناء والإصلاح منارًا ونبراسًا .

وأرى أنّ الحلّ يرتكز على النّقاط التالية [1] :

1 - **وضع الفرد في المكان المناسب** : الحركة الإسلاميّة الواعية النّاضجة هي الحركة التي تعرف قُدُرات أفرادها وميولهم ومواهبهم .. وتعرف نقاط الخبرة والاختصاص عندهم .. ومن خلال ذلك تختار لكل فرد ما يتناسب مع قُدُراته وميوله وحركته وطبيعة مزاجه ..

فإذا كانت الحركة على غير معرفة دقيقة بمعطيات أفرادها فلن تنجح أبدًا في اختيار المواقع المناسبة لهم ..

وإذا كانت الحركة لا تعرف ما يحتاجه كلّ موقع من اختصاص العمل وجدارته فإنها لن تتمكّن بحال من ملئه بشكلٍ سليم يحقّق المصلحة .

وإن تحكّمت في عمليّة الاختيار هذه غير الاعتبارات الموضوعيّة ، وغير المصلحة الدعوّية .. اختلّ التوازن في بنية الجماعة ..

إنّ على الحركة أن تصنّف طاقات عناصرها بحسب اختصاصاتهم وكفاءاتهم :

ففريق يفرز للشّؤون التربويّة .

وفريق يفرز للشّؤون السياسيّة .

وفريق يفرز للشّؤون الماليّة والاقتصادية ..

وفريق يفرز للشّؤون الرياضيّة ..

وفريق يفرز للطلاب .. وفريق يفرز للعمّال .. وفريق يفرز للأخوات ..

وهكذا في كافّة الشؤون الأخرى ، والقطاعات التي تستتبع الحركة ..

فإن لم يكن تصنيف العناصر على حسب الاختصاصات والطّاقات والمواهب .. فمعنى ذلك أن الأمر وُسِّدَ لغير أهلِه ، وإذا وُسِّدَ الأمر لغير أهله فارتقب للجماعة ساعة خرابها وزوالها !!.

---

(1) هذه النّقاط مأخوذة من كتاب « المتساقطون على طريق الدعوة » للداعية الكبير الأستاذ فتحي يكن مع الاختصار والتصرّف .

2- **توظيف كافّة الأفراد في العمل الدّعوي** : إن نجاح الحركة في مسيرتها الدعوية يتوقّف على توظيف طاقات أعضائها ، ووضع كلّ فرد في موقعه المناسب ، وهذا التّوظيف للطّاقات هو بداية العمل الإيجابي لأيّة جماعة تستهدف النّجاح والتّوفيق في انتشار الدّعوة الإسلاميّة ، ونموّها وتقدّمها على مرّ الزمان والأيّام ..

وكم تكون الحركة جامدة تُراوح في مكانها من غير نمو ولا تقدّم حين تتراكم مسؤوليّات الدعوة بيد فردٍ أو أفراد .. في حين تبقى الغالبيّة العظمى من شباب الدعوة من غير عمل ولا توظيف ؟!!.

وكم يشعر أخو الدّعوة بوجوده ، ويحسّ بشخصيته .. حين ينتبه إليه مسؤولوه ، فيُعطونه من العمل ما يتناسب مع ميوله وخبرته ، وما يتوافق مع طاقته واستعداده ؟!!.

وكم يترك شباب الدعوة العمل الإسلامي حين لا يجدون من قيادتهم الاهتمام بأمرهم ، أو حين يستشعرون أنّهم هَمَل من سقط المتاع ، أو حين يُحسّون أنّهم ليسوا أهلًا لكي تسند إليهم أعمال يحسنونها ويقدمون على تنفيذها ؟!!

وفي كثير من الأحيان نجد الحركة ذات ثروة وغنى بما تمتلك من طاقات وكفاءات وخبرات .. ولكنها في الحقيقة غير موظّفة كلّها ، وغير مسندة إلى من يقوم على الاستفادة منها وتنفيذها !!.. وهكذا على كلّ فرد في الحركة يجب أن يشعر أنه علىثغرة من ثغرات الإسلام ، وأنه في موقعه عضو منتج ومتفاعل .. كائنًا من كانت مهنته أو مستواه ..

والتّوظيف الصّحيح للطّاقات هو التّوظيف الذي لا يفرّط بأية طاقة صغيرة كانت أم كبيرة ، كاللّبنات أو الحجارة يضعها البنّاء الماهر في مواقعها المناسبة لها حجمًا وشكلاً .. فإذا بالبناء قد اكتمل من لبنات متفاوتة الأشكال والأحجام ، ولكنها متراصة منسجمة متناسقة ، فتشكل بتراصّها وتماسكها قوة وكيانًا وإثبات وجود ..

3 - **محاسبة الأفراد في أداء مسؤوليّتهم** : سبق أن تكلّمنا قبل قليل أنّ على القيادات الإسلامية أن تضع كلّ فرد في موقعه المناسب ، وأن توظّف كافّة الأفراد في العمل الدّعوي ..

وهذا لا يتأتّى إلا أن توزّع العمل - كما بيّنا - على لجان دعويّة متخصّصة ، تُكَلَّفَ كلّ لجنة بأداء مهمّتها على حسب طاقتها وخبرتها واستعدادها ..

(فهذه لجنة تعمل في محيط الطلاب ، وأخرى تعمل في قطاع العمّال ، وثالثة متفرّغة لأرباب الحِرَف والنّقابات ، ورابعة مسؤولة عن قطاع النّساء والطّالبات ، وخامسة مهمتها في القرى والأرياف ، وسادسة مفرزة لطبقة التجّار والأغنياء ، وسابعة تعمل في حقل المهندسين والمحامين والأطبّاء ، وثامنة تمارس نشاطها في ميدان العوائل الكبيرة والأحياء ، وتاسعة تقوم بأداء رسالتها في فئات الموظّفين والقضاة والحكّام .. وهكذا إلى أن تُغطّي اللّجان الدعويّة قطاعات الشّعب جميعًا ، وعلى كلّ المستويات ..

ولكن هل يكفي أن تشكّل اللّجان ، ويفرز الأفراد ، ويستمر العمل .. دون نظر في النتائج ، وتشاور في الوسائل ، وبحث للمشكلات ؟!!.

الحقيقة لا يكفي ذلك ، بل ينبغي أن تُتابَع اللّجان في مسؤوليتها ، وأن تُحاسب على تقصيرها ، وأن تذلّل لها العقبات التي تعترض طريقها . وذلك أن يلتقي مسؤول الجماعة أو مسؤول المنطقة في كلّ بلد بمسؤولي اللّجان في كلّ شهر على الأقلّ ، ويبحث معهم فيما وصلوا إليه من نتائج ، وما اعترضهم من مشكلات ، وما وقف في طريقهم من عقبات ، وما يحتاجونه من وسائل ، وما يدور في تصوّرهم من اقتراحات .. ولابدّ أن يصلوا بعد هذا التحاور واللّقاء إلى أنضج الآراء ، وأفضل الحلول .. فيتعاهدون على تنفيذها ، والعمل بها .. ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ..) [1] .

فمن المؤكّد يقينًا أن الحركة الإسلامية إذا سارت على هذا المنوال ، وصلت إلى أفضل النتائج ، وقطفت أينع الثمرات ..

4 - **حلّ مشكلات الأفراد باهتمام** : أفراد الحركة كسائر النّاس تمرّ بهم ظروف صعبة ، ويتعرّضون لأزمات ومشكلات مختلفة ، منها العاطفي والنّفسي ، ومنها العائلي والمالي ، ومنها .. ومنها .. فإن وجد في الجماعة من يُعينهم على مواجهتها ، ويساعدهم على معالجتها وحلّها .. تجاوزوها بسلام ، وامتلأت نفوسهم ثقة وطمأنينة ، وتابعوا المسيرة الدعويّة بمزيد من الحماس والعطاء ..

وإن حصل عكس ذلك .. فإنهم سيُصابون حتمًا بخيبة أمل ، وصدمة نفسيّة .. ربما تقذفهم خارج إطار الحركة ، وأحيانًا ترمي بهم خارج إطار الإسلام !!.

---

(1) من كتاب « الشباب المسلم في مواجهة التحدّيات » للمؤلف ص : 261 ، 262 .

إنّ العلاقة الّتي يفرضها الإسلام على الجسم الإسلامي ، والأمّة الإسلاميّة .. تصنع من انصهارها الفكري والروحي ، وتفاعلها الاجتماعي والحسّي .. أشبه بالجسد الواحد الذي يصفه رسول اللّه ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم : « **مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمّى** » (1) .

وعضو الحركة يجب أن يشعر بهذا الانصهار ، وهذا التّفاعل مع حركته وإخوانه من باب أولى .. هذا الشّعور لا ينشأ من فراغ ، وإنما ينشأ من خلال التربية التي يُنشّأ عليها الأفراد ، ومن خلال الممارسة العمليّة التي تطبّعهم على التّلاحم والتّضامن والتّكافل في كلّ الأحوال .. وحلّ مشكلات أفراد الحركة وحسمها يمكن أن يتحقّق من جانبين اثنين :

- جانب التّنظيم للحركة من خلال الأجهزة والإدارات ..
- وجانب الأخوّة الإسلاميّة من خلال الأفراد ..

وتعاون الجانبين معًا وتآزرهما من شأنه أن يرأب الصّدع ، ويسدّ الثّغرة ، ويُكمّل العجز ، ويحلّ المشكلة ، ويُفرّج الأزمة ..

وهذا في الحقيقة سِمَةُ المجتمع الإسلامي الذي يقوم على تعاون الدّوَلة والأفراد ، وتآزر القيادات والقواعد .. في كلّ المجالات الرعائيّة والتّكافليّة .. إن تحقّق ذلك على صعيد الأمّة الإسلامية بشكل عام ، والجماعات الدعويّة بشكل خاص .. لن تبقى مشكلة في المجتمع الإسلامي إلا حُلّتْ ، ولن تقع أزمة في العمل الحركي إلّا فُرِجَتْ .. وعاش المسلمون فيما بينهم متكافلين متضامنين متعاطفين .. يسعى بذمّتهم أدناهم ، ويكونوا يدًا على مَنْ سواهم ..

5 - **حسم مشكلات الحركة بسرعة** : إن من الطّبيعي أنّ كلّ حركة دعويّة تعترضها قضايا عاديّة تحتاج إلى حلّ ، كما تعترضها مشكلات تحتاج إلى حسم .. ومن الطبيعي كذلك أنّ كلّ حركة تعتمد صيغًا معينة ، وأساليب محدّدة لمعالجة قضاياها ومشكلاتها تلك .

وبقدر ما تكون صِيَغ المعالجة وأساليبها سهلة وواضحة وحكيمة وسريعة .. بقدر

(1) صحيح مسلم كتاب البر ب (17) برقم (2585 ، 2586) .

ما يكون سير الحركة منتظمًا ، وأجواؤها صافية ، وبقدر تباطؤ الحركة عن متابعة قضاياها ، وحسم مشكلاتها بقدر ما يسبّب ذلك تراكم القضايا ، وتعطيل الأعمال ، ومضاعفة المشكلات .. فالمشكلة قد تبدأ صغيرة محدودة ، وتركها من شأنه أن يضخّمها من جانب ، ويسبب توالد مشكلات أخرى من جانب آخر ..

أحيانًا ، قد لا يحتاج لحلّ المشكلة لأكثر من كلمة ، أو قرار ، أو زيارة ، أو لقاء ، أو اعتذار ، أو معاتبة ، أو نصيحة ، أو مواساة ، أو توضيح ، أو مصارحة ، أو غير ذلك من التكاليف السّهلة اليسيرة ؛ أما حين تترك وتؤجل فتتفاقم وتتعقّد ، وقد تأخذ من الحركة كثيرًا من الجهود والطاقات والأوقات ، وقد تنجح المساعي بعد ذلك وقد لا تنجح !!

ولدى البحث عن أسباب عدم الحسم في الحركات **وجدناها تعود إلى النّقاط التالية** :

* قد يكون ذلك عائدًا إلى طبيعة العناصر القياديّة التي لا تملك عادة القدرة على الحسم .

* وقد يكون ذلك عائدًا إلى عدم إعطاء المسؤولين الإداريّين في المناطق صلاحيّات الحسم .

* وقد يكون ذلك عائدًا إلى عدم وجود محاكم محلّية تنظر بسرعة إلى القضايا ، وتحسم الأمور .

* وقد يكون ذلك عائدًا إلى سكوت صاحب القضيّة ، وعدم تنبيه المسؤولين فيما يجري وما يقع إلى غير ذلك من هذه الأسباب والموجبات والنّقاط ..

والحقيقة أنّ السّرعة في حسم الأمور ، ومعالجة المشكلات .. من شأنه أن يجنّب الحركات الإسلاميّة كثيرًا من المتاعب والمشاحنات والمنازعات .. ويوفّر عليها أيضًا كثيرًا من الجهود والأعباء والأوقات .. بل تسير الحركات في مسيرتها الدعويّة في طريق سالك آمن دون تعثّرات أو مشاكل أو عقبات ..

6 - **الوقوف من مثيري الفتن في الحركة موقف الحزم** : سبق أن تكلمنا في مطلع البحث أنّ على الحركة بقيادتها وقاعدتها إذا رأت في صفّها من يشقّ الصفّ ، ويبثّ الإشاعات ، ويكيل التّهم ، ويثير الفتن ، ويؤلّب أعضاء الحركة على بعضها .. أن تقف من هؤلاء موقف الحزم والشدّة ، دون أن تأخذها بهم شفقة ولا رحمة .. درءًا للمفسدة ، وقتْلاً للفتنة ، وحفاظًا على وحدة الجماعة ..

نعم ، قد يكون لتشويشاتهم وإثاراتهم بواعث بريئة ذات غيرة ، فعلى قيادة

الحركة أن تنظر في هذا الباعث ، وأن تحقّق فيه بأمانة ونزاهة ، وإنصاف ؛ فإن رأت أن **الدافع هو الغَيْرة على مصلحة الدّعوة** وسير الحركة ، بدعوى أنّ المسؤولين في الجماعة تساهلوا وقصّروا في النهوض بها ، ودفع عجلتها إلى الأمام .. فيُبيّن لهم أنّ هذا ليس هو الطريق للإصلاح وترميم البناء .. وإنّما الطّريق هو كتابة المذكّرات النقديّة ، والاقتراحات الإصلاحيّة .. ثم تقديمها إلى قيادة الحركة للدّراسة والنظر .. أو مقابلة القياديّين شخصيًّا للبحث معهم في كلّ نقدٍ يُوجّهونه ، أو فكرةٍ يقترحونها .. وقد يكون في ذلك خير كثير لمصلحة الدعوة ، وإصلاح الأوضاع ، وتلافي التّقصير .

فإن قبلوا ذلك ، وامتثلوا النّصح ، واسترشدوا وأصلحوا .. سارت سفينة الجماعة على أحسن ما يرام من التّفاهم والانسجام ، والوحدة والتماسك ، والعمل الدّائب الصبور ..

وإن بقوا سادرين في تشويشهم ، وبثّ نقدهم ، وتجريحهم بالأشخاص .. **فيحالون إلى محكمة الجماعة** لتّتخذ منهم موقفًا حازمًا ، وقد يكون الموقف بدءًا بالفصل المؤقت .. فإن تمادوا فيكون **انتهاء** بالفصل الدائم .. وبهذا ترتاح الحركة من مشاكلهم وتشويشاتهم التي تؤول في الغالب إلى البلبلة والاضطراب !!..

وإن رأت القيادة بعد التحقّق والتبينّ **أن الدافع هو بثّ الفتنة ، وشقّ عصا الجماعة ، وتأليب الأعضاء على بعضهم** .. فهذا يدلّ على أن الغرض دنيء ، والباعث ذميم .. قد يكون لهم ارتباط بجهة خارجيّة تُلقّنهم وتدفعهم وتوحي إليهم بثّ الفوضى والفتن على الحركة وتلاشيها !!.

فهؤلاء ينبغي أن يُتّخذ في حقّهم موقف حازم حاسم ، وذلك بفصلهم نهائيًّا من الجماعة ، وتحذير أعضائها من شرورهم وآثامهم .. وتوعيتهم أن لا يسمعوا منهم ولا يجتمعوا معهم حفاظًا .. على سلامة الجماعة ، ووحدتها وقوّة تماسكها ..

فعلى قيادات الجماعات الإسلاميّة أن ينتبهوا إلى ذلك جيّدًا حتى يُجنّبوا جماعاتهم هزّة عنيفة ، أو فتنة مدمّرة ، أو انشقاق ذميم !!..

فالحلول الإيجابيّة في تلافي الأخطاء الإداريّة للجماعة إذن هي :

* وضع كلّ عضو في الجماعة في المكان المناسب ..

* توظيف كافّة الأفراد في العمل الدعوي ..

* محاسبة الأعضاء فيما يتسلّمون من أعمال ومسؤوليّات ..

* حلّ مشكلات أيّ فرد تَعْرِضُ له بعناية واهتمام ..

* حسم مشكلات الحركة بسرعة ودقّة وإحكام ..

* الوقوف من مثيري الدّسائس والفتن بحزم وحسم وقوّة ..

هل أدركت الحركات الإسلامية الحلول العمليّة في تفادي الأخطاء الإداريّة التي تقع في أتونها القيادات والجماعات ؟

إذا أدركت ذلك فلتسع جهدها ، وتبذل كلّ ما في وسعها ، لتُنقذ الجماعة من فتنة مزلزلة ، أو انشقاق مدمّر ، أو نهاية أسيفة .. واللّه سبحانه لن يخيّب مسعاهم .

* * *

5 - **أخطاء في التّخطيط المرحلي :**

التّخطيط للعمل الإسلامي هو عمدة التّنظيم ، بل هو المنهج الذي يجب أن يسير التّنظيم على أساسه وغراره ..

فإن كان التّخطيط محكمًا ، والمراحل الدعويّة حكيمة ، والمنهج الذي يسير عليه الدعاة سليمًا تقدّمت الدّعوة الإسلاميّة خطوات وخطوات في مسيرتها ، ووصلت في تعقّل وإيجابيّة إلى غايتها ، وحقّقت لأمّة الإسلام أسمى آيات العزّ والمجد والعطاء ..

والعكس بالعكس تمامًا ، فإن كان التّخطيط عفويًا ، والمراحل الدعويّة اعتباطيّة ، والمنهج الذي يسير عليه الدّعاة ارتجاليًا .. انتكست الدّعوة في مسيرتها ، وأخفقت في الوصول إلى غايتها ، وسبّبت لأمّة الإسلام خيبة أمل ، وارتكاسة رجاء !!..

ولا يكفي أن يكون عند الجماعة التي تعمل للإسلام مخطّط للحركة تعتمده ، أو منهج للتّنظيم تنتهجه ، **وإنّما المهمّ** أن يكون هذا المنهج التّنظيمي ، أو المخطّط الحركي متلائمًا مع الظّروف التي تمرّ عليها الجماعة ، ومتكيّفًا مع الواقع الذي تواجهه وتتعامل معه ، ومنسجمًا أيضًا مع البيئة التي تُبلّغ فيها الدعوة ، وينطلق الدّعاة في رحابها .

فالتّخطيط الدعوي في بلد إسلاميّ تحكمه الحكومات اللادينية التي تقف من الحركات الإسلاميّة موقف الملاحقة والتّنكيل .. **يختلف كلّ الاختلاف** عن بلد

إسلاميّ آخر تحكمه الحكومات الدّيمقراطية التي تُعطي لشعبها حرّية الرأي ، وحرّية الكلمة .. وتعطي بالتالي للحركات الإسلاميّة حرّية الدعوة دون أن تقف من رجالها موقف المعاداة أو المجافاة ..

نعم ، تختلف كلّ الاختلاف منهجًا وتخطيطًا ، وتختلف كلّ الاختلاف تنظيمًا وتبليغًا ، وتختلف كلّ الاختلاف مرحلة ووسيلة ..

على ضوء ما ذكرناه : يمكن للحركات الإسلاميّة التي تظهر في ظلّ حكومات ديمقراطية : تعطي لشعبها حرّية الرّأي ، وحريّة الكلمة .. أن تضع للتحرّك الدعوي **خطّة عمل** تنسجم كلّ الانسجام مع الظّروف الاجتماعية التي تواجهها ، وتتكيّف كلّ التكيّف مع الأوضاع السياسيّة التي تعيش تحت مظلّتها ، وتتلاءم كل التلاؤم مع حرّية الدعوة التي تسير تحت لوائها ..

وفي تقديري أنّ الدّعوة الإسلاميّة حين تتاح لها هذه الظروف والأوضاع والحرّية .. تستطيع أن تقف على رجليها ، وتستطيع أن تشقّ في المجتمعات طريقها ، وتستطيع أن تحقّق – بجهد شبابها ورجالها – العزّة السّامقة ، والكيان العظيم .. لأمّة الإسلام ..

ولكن على مَنْ يتولّى أمر الدّعوة من القياديّين ، والشّباب العاملين .. أن يحذروا العفويّة والارتجال ، وأن يتجنّبوا الانفعال والطّفرة ، وأن يحجموا عن استعجال النّصر قبل الأوان .. **وهذا لا يتّم إلا أن توضع ورقة عمل مرحليّة منتظمة متتابعة .. يسير العاملون للإسلام على أساسها ..**

وطريقة التّنفيذ :

● أن يبدأ الدّعاة عملهم بالتّكوين التّربوي ، والإعداد الروحي .. وأن يكون التّركيز في هذا التّكوين والإعداد في الدّرجة الأولى على المستجدّين ممّن دخلوا في الدعوة حديثًا من المراهقين والشّباب ..

● في خلال هذه المرحلة ينتقى من فوج المستجدين من هو أطلقهم لسانًا ، وأظهرهم نباهة ولباقة ، وأقواهم اندفاعًا وحماسًا ..

● بعد هذا الانتقاء تنسبهم الجماعة إلى **المدرسة الدعويّة** التي أعدّتها القيادة

لهؤلاء المستجدّين المؤهّلين ، يتعلّمون فيها أصول الدعوة ، وكيفية التّبليغ .. ويُمارسون أثناء تدريباتهم زلاقة التعبير ، ومواقف الارتجال ، ومبادئ المحاضرة والخطابة والكتابة ..

● بعد التّأهيل والتّخرج يُفْرَزُ هؤلاء الشباب على حسب نضجهم وثقافتهم ومواهبهم .. ليأخذوا مواقعهم في اللّجان الدعويّة المتخصّصة .. عسى أن يحقّق الله على أيديهم عزّة الإسلام ، ودولة المسلمين ..

● وينبغي على الجماعات الدعويّة أن لا تُغْفِلَ أبدًا دور النساء في تبليغ الدّعوة ، باعتبار أنهنّ نصف المجتمع ، فعلى القائمين على أمرهن أن يضعُوا من الخطّة الدعويّة ما يتناسب مع طبيعتهنّ وخصائصهنّ وتأهيلهنّ داعيات مرشدات عاملات للإسلام ..

● وهكذا حين تتكرّر عملية التكوين التربوي ، والتّأهيل الدّعوي .. في الأفواج التي تدخل في الدّعوة حديثًا من الشّباب والشابّات .. فإن الجماعات الإسلاميّة تُخْرِجُ إلى الدّنيا في كل عام مئات ومئات من الدّعاة والدّاعيات .. يستطيعون أن يقوموا بدورهم الأكبر في الإصلاح والبناء والتّغيير ، والتّوعية الإسلاميّة التي تشمل جميع فئات الشّعب وقطاعاته !!..

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ على الحركة الإسلاميّة التي تتمتّع بحرّية الدّعوة في ظلّ حكومات ديمقراطيّة أن لا تطمئنّ أبدًا لهذه الحكومات ما دامت أنّها لا تحكم بشريعة اللّه ، وما دامت أنّها لا تقتنع بالإسلام على أنه نظام حكم ، ومنهج حياة ..

أجل ، ينبغي أن لا تطمئنّ لهذه الحكومات لكونها تجد من مصلحتها محاربة الدّعوة والدّعاة : إمّا لأنّها تخاف على نفسها من الحركة الإسلاميّة في حال امتدادها وانتشارها ، وظهور قوّتها النّافذة الشاملة .. وإمّا أن تلقّى في بعض الأحيان الأوامر من جهات أجنبيّة لضرب الحركات الإسلاميّة وسحقها ..

ولذا وجب على كلّ حركة إسلاميّة أن تأخذ احتياطها وأهبتها من هول المفاجآت ، وكيد التآمر .. كما عليها أن تعمل بهدوء وحكمة وحذر ووعي .. دون أن تحدث ضجّة ، أو يأخذها استفزاز ، أو تغرّها قوّة، أو يدفعها عجب ، أو يفتنها عدد ، أو يحرّكها تبجّح !!

فإذا فعلت ذلك أمنت من النوائب ، وسلمت من العواقب ، ووصلت في مسيرتها إلى أفضل النتائج ..

أما التخطيط لبلد تحكمه الحكومات اللادينيّة : فينبغي أن يكون أكثر حذرًا ودقّة ، وأعظم موضوعيّة وحكمة ، وأقوى إحكامًا ووعيًا ، وأفضل هدوءًا وتعقلاً .. ذلك لأنّ هذه الحكومات في كيدها ولؤمها لا ترعى في مؤمنٍ إلًّا ولا ذمّة ، ولا تحفظ لمسلم كرامة ولا حرمة .. بل تتّخذ من الذّرائع والمبررات ما تحتجّ به لسحق الحركات الإسلامية وتصفيتها ، وملاحقة الدّعاة ، والتّنكيل بهم ، واستئصال شأفتهم !!..

فإن لم يكن العاملون للإسلام عقلاء وحكماء في مسيرتهم الدعويّة ، ومواقفهم الحركيّة .. وإن لم يضعوا من الخطط والوسائل ما يتناسب مع طبيعة الظّروف ، ومنطقيّة المرحلة .. فإنّ حركتهم ستُمنى حتمًا بفشلٍ ذريع ، وضربة قاصمة ، وإبادة مدمّرة !!..

وحين تكلّمنا عن **المعوّقات السياسيّة** في العمل الإسلامي .. ذكرنا أنّ الخطّة الدعويّة التي سلكها النبي ﷺ في مكّة تختلف كلّ الاختلاف عن الخطّة التي سلكها في المدينة ..

فالخطّة الدعويّة التي سلكها صلوات اللّه وسلامه عليه في مكّة كانت تتركّز على التعريف بالإسلام ، ونقض المعتقدات الجاهليّة السّائدة .. دون التعرّض للمشركين بسلاح أو قتال .. بل كان ﷺ يُلزم نفسه ، ويأمر أصحابه بالصّبر والمصابرة ، وتحمّل الأذى في سبيل اللّه ، والكفّ عن القتال علمًا أنه عليه الصلاة والسلام وَمَنْ آمن معه فرّوا بتحدّيات عدوانيّة ، واضطهادات تنكيليّة وضغوط عائلية واقتصاديّة ، ومساومات مادّية ودنيويّة .. ومع كلّ هذا كانوا يصبرون ويتحمّلون ويحتسبون الأجر من اللّه .. دون أن يكون بينهم وبين المشركين مواجهة مسلّحة ، أو أيّ تناوش من قتال ؟!!.

ذلك لأنّ النبيّ ﷺ ومن آمن معه في الفترة المكّية – كما ألمحنا – كانوا مأمورين بالتذرّع بالصبر ، وضبط الأعصاب ، والثبات على المبدأ ، والكفّ عن القتال .. إلى أن يجعل اللّه لهم مخرجًا ، ويأذن لهم بفرج قريب .

ومما يؤكد **مبدأ الصبر والكفّ عن المواجهة والقتال** في المرحلة المكيّة أن الرسول ﷺ لم يُوافق بعض الأنصار في بيعة العقبة الثانية عندما استأذنوه في أن يميلوا على أهل منى بأسيافهم، وذلك بعد أن فهموا أنّ البيعة على حرب الأحمر والأسود .. وقد امتثلوا حين

قال لهم : « **لم نؤمر بذلك** » ، وعادوا إلى المدينة دون أن يفعلوا شيئًا .

ومع كلّ ما كان يصيب النّبي ﷺ وهو في مكّة من أذى المشركين واضطهادهم وضغوطهم .. **لم يمنعه أبدًا أن يُخطّط على المدى البعيد لإقامة دولة إسلامية** في بلد يتفاعل مع دعوته ويستجيب لدينه **وفعلاً بدأ بتخطيط إقامة الدولة في المدينة** وهو في مكّة تحت وطأة الظّروف القاسية ، والمؤامرات الخطيرة المحيطة به وبأصحابه من كلّ جانب .

وقد خطّط النبي ﷺ لإقامة الدولة **بالخطوات الإيجابيّة التالية** :

1 - **الاتصال بالوفود في موسم الحج** : كان النبي ﷺ يعرض نفسه في موسم الحجّ من كل سنة على القبائل التي تتوافد إلى البيت الحرام يدعوهم إلى الإسلام ، وكان من جملة الذين اجتمع معهم **رهط من الخزرج** ، وكانوا ستّة ، فأسلموا جميعًا ، ثم قالوا : « إنا قد تركنا قومنا ، وبينهم من العداوة والشرّ ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم اللّه بك ؛ فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدّين ، فإن يجمعهم اللّه عليك فلا رجلٌ أعزّ منك » ، ثم انصرفوا ووعدوه بالمقابلة في الموسم المقبل .. فكانوا النواة الأولى في نشر الإسلام في المدينة .

ولما كان العام الذي يليه ، وَافَى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً ، فلقوه بالعقبة **وهي العقبة الأولى** ، فبايعوا النّبي ﷺ على الإسلام ، فلما أرادوا الانصراف بعث معهم « **مصعب بن عمير** » للتّعليم والدّعوة والتعريف بالإسلام ..

وفي موسم العام التالي كانت بيعة العقبة الثّانية ، وكان عدد الأنصار ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين ، فبايعوا النّبي ﷺ على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم .. ثم قال لهم : أخرجوا إليّ اثني عشر نقيبًا ، فأخرجوا منهم تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس ، فلما تخيّروهم قال عليه الصلاة والسّلام للنقباء : « أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريّين لعيسى ابن مريم ، وأنا كفيل على قومي » [1] .

2 - **تكليف الدّعاة في الدعوة إلى اللّه** : سبق أن ذكرنا أنّ الرّسول ﷺ قبل بيعة العقبة الأولى بعام اجتمع بستّة من الخزرج دعاهم إلى اللّه ، وعرض عليهم الإسلام ، فأجابوه إلى ما دعاه إليه .

---

(1) انظر السيرة النبوية لابن كثير (2 / 178 ، 192 .

وكان من جملة هؤلاء الستّة : **أسعد بن زرارة ، وعوف بن مالك ، ورافع بن مالك ، وعقبة بن عامر ..**

وذكرنا أيضًا أن المبايعين لما أرادوا الانصراف بعث معهم « **مصعب بن عمير** » من أجل أن يقوموا جميعًا بدورهم في التّعليم ، والدّعوة ، والتّعريف بالدّين الجديد ، والتمهيد لإقامة الدولة ..

ففي هذه المرحلة بالذّات نشط هؤلاء الدّعاة بالدّعوة إلى الله ، وأصبح للإسلام شأن كبير ، بل الذين مهّدوا أن يدخل الإسلام كلّ بيت من بيوت المدينة ، وأن يعطوا البيعة للنبيّ ﷺ ..

3- **هجرة من أسلم في مكة إلى المدينة** : ولما اشتدّ البلاء والاضطهاد على من أسلم في مكة جاءت المرحلة الثّالثة ، ففي هذه المرحلة أذن لهم رسول اللّه ﷺ بالهجرة إلى المدينة ، فخرجوا فرادى سرًّا . فآواهم الأنصار وواسوهم وآثروهم ، ولم يبق في مكّة من المسلمين بعد هجرة النّبي ﷺ وصاحبه أبي بكر – رضي اللّه عنه – إلا معذّب محبوس ، أو مريض مقعد ، أو عاجز ضعيف ..

ولا يغيب عن البال ما أعطى هذا التجمّع الكبير من المسلمين في مجتمع المدينة من نتائج عظيمة في تكوين القاعدة الصّلبة ، وولادة دولة الإسلام ..

مما ذكرناه يتبيّن أنّ مراحل الخطّة ثلاثة :

– الاتّصال بالوفود في موسم الحج سرًّا .

– تحرّك الدّعاة في الدّعوة إلى الإسلام جهرًا .

– الإذن بالهجرة لمن أسلم خفية .

بعد هذا كلّه جاءت هجرة النبي ﷺ مُتَوِّجةً التجمّع الإسلامي ، ومكمّلة بناء الدولة ..

وكأنّ المدينة بمن فيها من شيب وشباب ، ورجالٍ ونساءٍ ، وكبارٍ وصغار .. كانت على موعد لاستقبال الرّسول ﷺ في مهجره الحافل وسط الجموع المحتشدة ، والعواطف الإسلاميّة الجيّاشة ، والأهازيج الشعريّة المدوّية ..

وهكذا استطاع النّبي ﷺ بحنكته وحصافته ، وتخطيطه الموفّق الرائع أن يتّخذ له ولمن آمن معه أرضًا إسلاميّة يأوي إليها ، وينطلق منها ، ويسيّر من مسجدها الشريف البعوث الإسلامية تحمل بأيديها مشاعل النّور ، لتضيء للدّنيا طريق الحقّ والهدى والإسلام ..

ومن هنا يتّضح : أن النبي ﷺ لم يأذن لأصحابه – وهم في مكة – بمقاومة أو **جهاد للظروف الصّعبة التي تحيط بهم ، لضعفهم في العدّة .. لقلّتهم في العدد .. لتعرّضهم للسّحق والاستئصال إذا هم قاوموا .. للقضاء على دعوتهم إذا هم جاهدوا وجابهوا ..**

فلا يعقل أبدًا – وهم على هذه الحال – أن يأذن لهم النبيّ صلوات اللّه وسلامه عليه بقتال ، أو يسمح لهم بمجابهة ، بل كان يأمرهم أن يوطّنوا النّفس على الصبر والمصابرة ، والتجلّد أمام المكاره والأهوال .. إلى أن يجعل اللّه لهم المخرج ، والفرج القريب .

وكما بيّنا أنّ النّبي ﷺ حين تيقن أنّ مكة لم تعد تصلح أن تكون مهدًا للدعوة ، ومعقلاً لها .. للموقف العنيد الذي وقفتْه مكّة من الدّعوة الإسلامية زهاء اثني عشر عامًا .. خطّط عليه الصلاة والسلام لمهجر آمن يأوي إليه ، ويعمل فيه ، ويتّخذه منطلقًا للجهاد ، والدّعوة إلى اللّه ..

وهذا ما خطّط له ، وسعى إليه أثناء وجوده في مكّة ، فتحقّق له ما أراد .

أما الخطّة التي سلكها النبي ﷺ وهو في المدينة : فهي خطّة بناء الدولة ، واكتمال التشريع ، وإعلان الجهاد ، ونشر الإسلام في العالمين ، ودعوة ملوك الأرض إلى الإسلام ..

فمن الطبيعي بعد أن وصل إلى هدفه في ولادة الدّولة الإسلاميّة ، وتكوين القاعدة الإيمانيّة الصّلبة في مهجره الجديد .. وبعد أن أذن اللّه له بالجهاد في سبيل اللّه ..

فمن الطبيعي بعد هذا أن يحمل لواء الدّعوة الإسلامية إلى الدنيا ، ويزيل العقبات التي تعترض طريقها ، ويُظهر دينه على الدّين كلّه .. فهو عليه الصلاة والسلام الذي فتح مكّة ، وتمّ له النّصر المؤزّر المبين ؛ وهو الذي سيّر جيشًا من المؤمنين لقتال الرّوم في مؤته ، وهو الذي قاد بنفسه حملة كبيرة من المجاهدين لغزو الرّوم أيضًا في تبوك ، وهو الذي أرسل الرّسائل إلى ملوك الأرض يدعوهم بدعاية الإسلام ..

الرّسول ﷺ فعل كلّ هذا ، لأن طبيعة المرحلة في المدينة تقتضي ذلك ، وتمكّنه من أن يتابع مسيرة الدّعوة والجهاد إلى أن يتمّ له التّمكين في الأرض ، والعزّة الرائدة للإسلام .

ولم ينتقل عليه الصلاة والسّلام إلى دار الآخرة حتى كان الإسلام قد عمّ الجزيرة العربيّة ، ووصل إلى تهامة ونجد ، ودخل اليمن والبحرين ، وانتهى إلى مشارف الشام ..

ثم تابع أصحابه وخلفاؤه من بعده مسيرة الدّعوة والجهاد حتى استبحر الإسلام ، وامتدّ سلطانه إلى أن دخلت في عدله : بلاد الشام ومصر وبرقة وطرابلس وبقيّة إفريقيّة ، ودخلت فيه أيضًا بلاد السند ، ومعظم بلاد الهند ، ووصل الإسلام إلى حدود الصّين شرقًا ، وامتدّ غربًا إلى أن دخلت فيه بلاد الأندلس بأوربّة ..

وقد استطاع الخليفة العباسي هارون الرشيد أن يصوّر للعالم بسطة السّيادة الإسلامية ، وامتداد سلطانها في الأرض فلم يجد بدًّا سوى أن يخاطب السّحابة التي تمرّ به ولا تمطره : « **أمطري حيث شئت فإن خراجك سيُحمل إلينا** » .

وهكذا كان الإسلام بعد ولادة الدّولة الإسلاميّة في المدينة يغمر الكون قوّة وحيويّة كالشمس ، ويقطع الأرض بسرعة فائقة كأنّه اللّيل والنهار !!.

فعلى العاملين : الذين يعملون لعزّة الإسلام في ظلّ حكومات لا دينيّة تحارب الدّعوة ، وتُطارد الدّعاة .. أن يتّخذوا من الخطّة التي رسمها النّبي ﷺ لأمّته قدوة وعبرة ..

فلا يجوز لهم شرعًا أن يناوشوا الحكم بمجابهة أو قتال وهم قلّة قليلة في العدد والعدّة ، وهم مطاردون بالملاحقة والتنكيل في كلّ لحظة وآونة ، وهم مرصودون سِلْمًا وحربًا وتحرّكًا .. من قبل أعدائهم !!..

كيف يواجهون بعنف حكمًا طاغوتيًا بقوّته وجيشه ، وعدّته وأعداده ؟

كيف يجابهون سلطة باغية تكيد للإسلام ، وتحارب رجاله ودعاته ؟

كيف يقفون وجهًا لوجه أمام دولة مستبدة ظالمة لا ترعى لمؤمن إلا ولا ذمّة ؟

كيف يقاتلون قوة تملك أعظم الوسائل الحربيّة وهم عشرات .. وليس عندهم من السلاح سوى الشيء القليل ؟

وإذا فعل شباب الدعوة المتحمّس المندفع .. شيئًا من هذا فيكونون قد ألقوا بأعضاء الحركة في التّهلكة ، ويكونون في الوقت نفسه قد عرّضوا الدّعوة الإسلاميّة للاستئصال !!..

فطبيعة الظّروف ، ومنطقيّة العمل ، وحتميّة المرحلة ، تفرض على رجال الدعوة – وهم في ظلّ حكومة لا دينيّة طاغية – أن يضعوا من **الخطّة الدعويّة** ما يتناسب مع الظّروف العصيبية الحرجة ، وما يتكيّف مع الأوضاع الأليمة القاسية .. إن أرادوا لحركتهم السلامة ولدعوتهم البقاء ..

وبهذا يكونون قد تأسّوا بالنّبي ﷺ في الخطّة التي انتهجها وهو في المرحلة المكّية ، ولاسيما إذا كانت ظروف الدّعاة اليوم تُشابه ظرف رسول اللّه ﷺ وأصحابه بالأمس ، وأحيانًا قد تكون الظروف القاسية التي تحيط بالدعاة في هذا العصر أشدّ وطأة ، وأعظم بطشًا ، وأحكم تآمرا وكيدًا مما كان عليه المسلمون وهم في مكة قلة قليلة ؛ لذا الأمر يتطلّب من الدعاة أن يكونوا أكثر وعيًا ، وأشدّ حذرًا ، وأعمق تخطيطًا .. **ولا يدور بذهن أحد** أنّ الدّعاة ينبغي أن يستسلموا للطّاغوت في ظلّ حكم إرهابي تسلّطي لا ديني ، وأن يعتزلوا العمل الإسلامي ، ويقعدوا في عزلتهم مع القاعدين .. لا .. لا .. ما قصدتُ هذا ، ولا يجوز لأحد من الدّعاة أن يقول به ، أو يفعله .. وإنما الّذي قصدتُه أن يتجنب شباب الدّعوة – وهم في مرحلة الضّعف والملاحقة – المجابهة المسلّحة ، ومناوشة الطواغيت بحرب العصابات ، أو ملاحقة الشخصيّات اللادينيّة بالاغتيال !!.

أما ما عدا ذلك من الاتّصال الفردي ، ونقض الجاهليّة بمبادئها وتصوّراتها ، ومتابعة مسيرة الدعوة ضمن خطّة محكمة .. فهذا من أوجب الواجبات ، وأقدس الغايات .. ولو لاقوا في سبيل ذلك ، الأذى والتّنكيل والاضطهاد .. **وحسبُهم أسوة وقدوة النّبي** ﷺ وأصحابه الكرام .. فإنهم لاقوا في مكّة كلّ منكر من القول وزور ، وكلّ اعتداء من الفعل وظلم !!..

من أجل هذا كان النّبي ﷺ يحضّهم في أن يوطّنوا نفوسهم على الصبر والمصابرة ، وأن يتحمّلوا الأذى في سبيل اللّه ، وكان في الوقت نفسه ينهاهم عن المجابهة والقتال ، ومحاددة الأعداء بالعنف والقوّة والمنابذة ..

ولكن ما التّخطيط المرحلي الذي ينتهجونه ؟

لاشكّ أنّ الحكومات اللّادينيّة في المجتمعات الإسلاميّة تتفاوت فيما بينها بطشًا وتنكيلاً في نظرتها إلى الدّعاة ، ومعاملتها لهم ، وموقفها منهم ..

فمن هذه الحكومات مَنْ هي موسومة بالبطش الشّديد ، ومنها مَنْ هي معروفة باعتدالها المعقول ، ومنها مَنْ هي موصوفة بالتغاضي المحمود ..

فالذين يُشرفون على وضع الخطط للحركات الإسلاميّة ينبغي أن يُراعوا عند وضع الخطّة الظّروف الّتي تمرّ بها الحركة ، والأجواء السياسيّة التي تكتنفها ، والأوضاع السّائدة التي يُواجهونها .. حتى يتمّ وضع الخطّة على أسس من الفهم والواقعيّة ، وعلى مبادئ من التدرّج والموضوعيّة ، وعلى تصوّرات من المنطقيّة والعقلانيّة ..

ولاشكّ أنّ القائد إذا كان حصيفًا ، والمخَطِّط إذا كان نبيهًا ، والدّاعية إذا كان حكيمًا ..

فإنّ الدّعوة الإسلاميّة يُكْتَب لها الاستمراريّة والبقاء ، وتسير في مدارج النموّ والامتداد ..

وأريد في هذا المقام أن أسرد بعض الصّور والنماذج في التّخطيط الواقعي الموضوعي :

● حين تُبتلى الحركة الإسلاميّة **بحاكم إرهابيّ لا دينيّ متسلّط** يعتقل الدّعاة ، ويُنكّل بهم ، ويُلاحقهم أينما وُجِدوا .. فمن المنطق والتعقّل والحكمة أن تكون الخطّة الدعوية على الشكل التالي :

* الاقتصار في تبليغ الدّعوة على السرّ ، وذلك بالدّعوة الشخصيّة ، والاتّصال الفردي ..

* الامتناع عن كلّ ما يستفزّ السّلطة من كتابة ، أو قول ، أو فعل ، أو تعريض ..

* الانتماء الظّاهري إلى الجماعات التي تُعْنَى بالتّربية الرّوحيّة ، وتقصر دعوتها على تزكية النّفس ، وإصلاح آفات القلوب .

* الارتباط بجمعيّات تعليم القرآن ، ومؤسّسات البرّ والخير والتّعليم .. للعمل للإسلام وللدّعوة .. تحت مظلّتها ..

* العمل الدّائب ، والسعي الحثيث ، ليصل الدّاعية إلى استلام درس في مسجد ، أو خطبة على منبر ، أو تعليم في مدرسة ..

* الابتعاد والتجنّب والحذَر .. عن كلّ تجمّع دعوي يثير الانتباه ، ويلفت النظر .. في إتلاف كلّ وثيقة أو نشرة .. تُسلّط الأضواء على رجل الدعوة بأنّه مرتبط بالدعوة ..

وهكذا لا تعدم الجماعاتُ الإسلامية المبادئُ التخطيطيّة الواعية التي تضمن لها أمنها واستقرارها ، ومسيرتها وبقاءها ..

نعم ، قد ينقدح في ذهن الدّاعية الحصيف والقائد الحكيم خطّة ، أو ورقة عمل غير الذي ذكرناه .. فلا يألوا جهدًا في أن يعمل على تطبيقها في عالم الواقع ..

المهمّ أن يلتقي الدعاة ، وأن يفكّروا في الأسلوب الأقوم ، والمنهج الأجدى .. الذي يضمن لهم سلامة الدّعوة ، واستمرار مسيرتها في ظلّ حكومة طاغوتيّة لا دينيّة لا ترعى في مؤمن إلًّا ولا ذمّة !!..

ولاشك أن الدّعاة حين يكونون صادقين مع اللّه ، وصادقين مع دعوتهم .. فاللّه سبحانه يفتح لهم من الحلول ، ويلهمهم من الأساليب ما لا يخطر على بال بشر ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ (1) ، ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾ (2) ، واللّه دائمًا مع الصّادقين العاملين .

● والحركة الإسلامية حين يقدّر لها أن تعمل في ظلّ **حكومة لا دينيّة** تقف من الدعوة والدعاة موقف **الاعتدال أو موقفَ التغاضي في التعامل وحسن التياسر** .. فتخطيط العمل للدعوة يختلف كلّ الاختلاف عن التّخطيط للحركة في ظلّ حكم طاغوتي إرهابي ..

فتستطيع الحركة التي تعيش في ظلّ حكم لا ديني معتدل في موقفه ، ومتياسر في تعامله أن تضع من الخطط الدعويّة ما يتناسب مع الظروف ، ويتلاءم مع الواقع ..

فلا بأس أن يكون من وسائل الخطّة : فتح مدارس خاصة ، الإقبال على التّدريس في المعاهد والمساجد ، إقامة حفلات في مناسبات إسلاميّة ، إقامة سهرات مفتوحة مع طبقة الشّباب ، عقد ندوات فقهيّة وتربويّة ، غزو النّقابات العمّاليّة والتّعليميّة والتخصّصيّة ، العمل على إقامة رحلات ترفيهيّة هادفة ، مطالبة المسؤولين بوضع حدّ للفساد والميوعة ، تعريف الأمّة على اختلاف مستوياتها بعظمة التّشريع وخصائص

---

(1) سورة البقرة الآية : 282 . (2) سورة الطلاق الآية : 2 .

الدعوة بالمشافهة أو إهداء الكتاب الإسلامي أو إعادة الشّريط الدعوي .. أو .. أو ..

إلى غير ذلك من هذه الوسائل الإيجابيّة ، والتخطيطات الدعويّة .. التي ترفع من شأن الدعوة ، وتعرّف برسالة الإسلام ، وتزيد من انتشار الوعي ، وتكثّر من القاعدة الشعبيّة ..

هذا كلّه على مستوى التحرّك لتبليغ الدّعوة في الأوساط الشعبيّة والعماليّة والطلابيّة ، والنّقابات التخصّصية .. كمرحلة لنشر التوعية الإسلاميّة .

أما التّخطيط على المدى الأبعد لإقامة حكم إسلامي فقد سبق أن ذكرنا في بحث المعوّقات السياسيّة في طريق العمل الإسلامي أنّ المراحل الدعويّة في إقامة عزّة الإسلام تقوم على الأسس التالية :

* إيجاد الجبهة الإسلامية الواحدة .
* التّركيز على التربية والإعداد .
* الانطلاق في مضمار التّوعية ..
* العمل على تكثير القاعدة ..
* التّدبير المحكم للوصول إلى النّصر ..

فارجع – أخي الداعية – إلى بحث « **المعوّقات السياسيّة** » في طريق العمل الإسلامي تجد البحث كافيًا شافيًا شاملاً إن شاء الله .

وصفوة القول :

إن على العاملين في الحقل الإسلامي حين يضعون للحركة الإسلامية خطّتها ومنهجها في مسيرة العمل الدعوي أن ينظروا طبيعة الظّروف التي هم فيها ، ووضع الحكومات التي يعيشون تحت حكمها ، والصراعات السياسية التي يواجهونها ..

فإن كانت الظّروف قاسية ، والحكومات طاغية ، والصّراعات قائمة .. فالأمر يتطلّب أن تكون الخطّة على المنهج الذي سار عليه النبي ﷺ وأصحابه وهم في المرحلة المكّية .. فلا منابذة ، ولا قتال ، ولا إشهار سلاح .. وإنما صبر ومصابرة ، وتحمّل وثبات ، وتعريف بالدّعوة ، ونقض التصوّرات الجاهليّة ، إلى أن تأتي مرحلة

التّمكين والقوّة ، وأن يأذن اللّه لدعوته بالعزة والنصر .

وإن كانت الأحوال والظروف قائمة على التغاضي والتياسر من قبل حكومات معتدلة في تعاملها ، ومتساهلة مع رعاياها .. ولا سيما مع الحركات التي تعمل للإسلام : « فإنّ الخطّة تكون أظهر انفتاحًا ، وأعظم انطلاقًا ، وأكثر مراحل ووسائل .. سواء كانت الخطة تعمل على المدى القريب المقتصر على التّوعية وتبليغ الدعوة .. أو كانت تعمل على المدى البعيد ألا وهو إقامة السيادة لأمّة الإسلام .

وعلى كلّ الأحوال ينبغي على العاملين في حقل الدعوة الإسلامية أن يأخذوا حذرهم من كلّ حكومة لا تحكم بشريعة اللّه ، ولا تقرّ على أنّ الإسلام نظام حكم ، ومنهج حياة .. فربما تقلب لهم ظهر المجنّ بين عشيّة وضحاها خوفًا على حكمها ، أو تنفيذًا لأوامر الدّول الكبرى التي يرتبطون بها ، ويأتمرون بأمرها ..

فهل أدرك الدّعاة الأخطاء التخطيطية في مسيرة الدّعوة التي يجب عليهم أن يتحاشوها ؟

وهل عرفوا الحلول الإيجابيّة في التخطيط المرحلي التي يجب عليهم أن ينتهجوها ..

فإذا أدركوا ذلك وعرفوه فعليهم أن يسيروا في الدّعوة ضمن خطّة محكمة ، وورقة عمل إيجابيّة ، ومراحل من التعقّل والموضوعيّة والواقعيّة .. واللّه سبحانه لا يضيع أجر العاملين الصّادقين المخلصين ..

* * *

فالأخطاء التنظيميّة إذن تتمثّل في خمس نقاط :

* أخطاء في الاختيار القيادي .
* أخطاء في التّكوين التّربوي .
* أخطاء في الإعداد الدّعوي .
* أخطاء في العمل الإداري .
* أخطاء في التخطيط المرحلي .

ولقد رأيتم – إخوتي الدعاة – أن لكلّ خطأ من هذه الأخطاء التي سبق ذكرها حلولاً إيجابية .. قد استوحيناها من تعاليم الشريعة ، وهدي السّيرة النبوّية ، وروح

الواقع الذي تتعامل الحركات الإسلاميّة معه ، وأوضاع الجماعات الدعويّة التي تعمل للإسلام ..

وقد جاءت هذه الحلول - والفضل للّه - مفصّلة ، واضحة ، مرتّبة منسّقة .. سوف تبقى لكل من يريد أن يسترشد بها ، ويسير على هديها منارًا ونبراسًا يُحكم الخطى ، ويرتقب الأمل .. على درب العاملين المخلصين ..

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الجماعات الإسلامية في كل مكان حين تنظّم نفسها قياديًّا وإداريًّا .. وحين تُعدّ شبابها تربويًّا ودعويًّا .. وحين تحكم مسيرتها تخطيطيًّا ومستقبليًّا .. فإنّ الدّعوة الإسلاميّة تنمو وتمتدّ وتزدهر .. إلى أن تصل إلى غايتها في تحقيق مجدٍ عريض ، وإقامة كيان عظيم ، وإشادة عزّة للإسلام سامقة .. وما ذلك على اللّه بعزيز .

* * *

الخاتمة

وبعد .. فيا إخوتي الدعاة :

إن أيّة جماعة في الوجود لا يمكنها بحال أن تصل في حياتها إلى غاية مثلى ، وهدف سامٍ منشود .. حتى تراجع تمامًا سير حركتها ، وتنظر من جديد في أنظمتها ومناهجها ، وتعلم العقبات التي تعترضها ، وتأخذ بالحلول الإيجابيّة التي ترفع من شأنها ومستواها .. فإذا فعلت ذلك أمنت من الغوائل ، وسلمت من سوء العواقب ، وارتقت إلى أعلى المراتب والمنازل ..

فالحركات الإسلامية في العصر الحديث هي أحقّ من غيرها في أن تنظر في واقعها ، وأن تتدارك الأخطاء التي تكتنفها ، وتُزيل أيّة عقبة تعترض سبيلها ، وأن تأخذ بأفضل الحلول التي تدفع بها نحو حياة إسلامية فاضلة ، وحكم ربّاني كريم ..

ونحن في هذه البحوث التي تطرّقنا لها ، والعقبات التي فصّلنا فيها .. والأخطاء التي جسّدنا للدعاة أهمّها .. استوحينا كلّ ما يتعلّق بالحلول وأوجه الصّواب .. من تعاليم الإسلام ، وواقع الحركات الإسلاميّة المعاصرة ، والتحدّيات السياسيّة التي يواجهها الدعاة والعلماء ورجال الإصلاح ..

فجاءت الحلول – بفضل الله – متلائمة مع العصر ، ومتكيّفة مع الواقع ، ومنسجمة مع مسيرة الدعوة ، وملتقية مع الطّاقة البشريّة التي فطر اللّه عليها الإنسان ..

وأريد في هذه الخاتمة أن **أخّص الحلول** لكل عقبة من العقبات .. عسى أن يستذكرها العاملون للإسلام ، وأن تنطبع في أذهانهم .. ثم تتحوّل إلى سلوك وعمل في واقع حياتهم .. إلى أن يصلوا في مسيرتهم إلى عزّة الإسلام

* * *

1 - فالحلول الإيجابيّة **لعقبة الأمراض الباطنيّة** التي تُصيب الدعاة تتجسّد بمعالجة كلّ مرض من الأمراض التالية :

● فمعالجة مرض الرياء تكون باتّباع الخطوات التالية :

– تعميق مراقبة اللّه في نفسيّة الدعاة .

- التصوّر الدائم لمآل المرائين ومصيرهم .

- تطبيع النفس على إخفاء الأعمال .

● ومعالجة مرض **النفاق العملي** المبتلى فيه بعض من يتصدّون للإسلام هي : تعميق حقيقة التقوى وترسيخها في نفوس الدعاة **والسبيل إلى ذلك** :

- **المعاهدة** التي تهيب بالداعية أن يستقيم على شرع اللّه .

- **والمراقبة** التي تجعل منه إنسانًا يخشى اللّه بالسرّ والعلن .

- **والمحاسبة** التي تدفع به إلى أن يحاسب نفسه على الصغيرة والكبيرة ..

- **والمعاقبة** التي تلزمه بأن يعاقب نفسه إذا قصّر بعقوبة ترتضيها شريعة اللّه ..

- **والمجاهدة** التي تقوّي فيه العزم نحو الطاعة والاستزادة من الخير إذا حدثته نفسه بالتثاقل والخمول ..

هذا عدا عن تنفيذ **روافد أخرى** تعمّق التّقوى ، وتغذّي الروحانيّة كنّا فصّلنا عنها في فصل « روحانيّة الداعية » في موضع آخر من هذا الكتاب .

● ومعالجة **مرض العُجب** تكون باتّباع النقاط التالية :

- باستشعار الداعية أن اللّه سبحانه وحده هو المنعِم والمتفضّل في كلّ ما وهبه من نِعَم ، وما أعطاه من قوة وعلم وذكاء .

- بتوجّسه في التدرّج في مزالق الكبر والخيلاء إذا هو تَمادى في العجب ، وتوغل فيه ..

- بمحاسبة نفسه دائمًا بعد مضيّ العمل هل وقع في آفة العجب ؟ وهل داخله الغرور ؟

● ومعالجة مرض **الغرور** تتركّز في الأمور التالية :

- أن يعرف الداعية حقيقة أمره ، وقدر نفسه ، وحجم علمه ومنزلته .. مهما كان كبيرًا .

- أن يسأل أهل الذكر في الوسائل التي تحرّره من آفات القلوب ، وأمراض النّفوس ..

- أن يخلو بينه وبين ربّه يُسائل نفسه هل داخله الغرور في قولٍ أو عمل .. ؟

● ومعالجة مرض **الكِبر** تكون في اتّباع الوسائل التالية :

– أن يقطع الداعية عن نفسه مزالق الكبر التي تُفضي إليه كقطع الاغترار بالعلم والفصاحة واللّقب العلمي .

– أن يُمعن في الآيات والأحاديث التي قبّحت عُوّارَ الكبر ، وفضحت أحوال المتكبّرين ..

– أن يُدرك جيدًا حقيقة نفسه من بدء حياته إلى يوم موته ، ليعلم مَنْ هو ؟ ومن يكون ؟ وهل يستأهل أن يسير في طريق المتكبّرين المتجبّرين ؟..

● ومعالجة مرضى **الحقد والحسد** تكون في اتّباع الوسائل التالية :

– أن يتذكّر الداعية أن أمراض القلوب ، والتي منها : مرض الحقد والحَسد تتنافى مع حقيقة الإيمان ، ومقتضيات الإسلام ..

– أن يعقل أنّه أمام العامّة والخاصّة صاحب قدوة ، وصاحب القدوة لا يتّصف بخلق ذميم ، وآفة بغيضة ..

– أن يعمّق في نفسه عقيدة القضاء والقدر .. حتى لا يحسد إنسانًا على نعمة ، أو يحقد عليه على خصومة ..

● ومعالجة مرضى **البذخ والبخل** تكون في اتّباع المراحل التّالية :

– أن يعلم الداعية أن المبدأ الذي أعلنه الإسلام في الإنفاق هو مبدأ الوسطيّة والاعتدال ..

– أن يُمعن في الآيات والأحاديث التي حذّرت من البذخ والبخل ، وفضحت أحوال البخلاء والمترفين ..

– أن يتأسّى بالنبي ﷺ في زهده وتقشّفه ، وفي كرمه وسخائه .. لكونه وارثًا محمّديًّا في الدعوة الإسلامية ، والأخلاق النّبوية ..

● ومعالجة **حبّ المال والجاه** تكون في اتّباع الخطوات التالية :

– أن يمعن الداعية في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي جاء فيها ذمّ الدنيا ، والاغترار بها ، والإقبال عليها .. وما أكثرها في كتاب اللّه .. وسنّة رسول اللّه ﷺ !!..

– أن يُدرك أنّه إذا ابتُلي بجمع المال ، واستشراف الجاه .. فإنّه سوف ينزلق في مزالق الكِبر والمراءاة ..

– أن يتعرّف على ما أكرم اللّه به الأتقياء الضّعفاء الأصفياء الأخفياء .. في مقعد صدق عند مليك مقتدر ..

2 - والحلول الإيجابية **لعقبة المؤثّرات النفسيّة** التي تسقط الدعاة تتشخّص بمعالجة كلّ مؤثّر من المؤثرات التّالية :

● **فمعالجة المؤثّرات المَرَضِيّة والصحيّة** تتركزّ في الأمور التالية :

– تعميق التحسس بالحالة التي وصلت إليها المجتمعات الإسلاميّة من بعدٍ عن منهج اللّه ، لينطلق الداعية إلى ميدان العمل الإسلامي من وحي ذاته ، وبؤرة شعوره ..

– تعلّل الداعية بالمرض وهو غير مريض ، واعتذاره بالضعف وهو قادر على العمل .. يعدّ في نظر الشّرع كاذبًا ، والمؤمن لا يكون كذّابًا ..

– أن يقطع من نفسه وسوسة الشّيطان التي تزيّن له التخلّي عن المسؤوليّة ، والقعود عن العمل الإسلامي ..

● **ومعالجة المؤثّرات الانفعاليّة** تتركّز في النّقاط التالية :

– أن يتّبع الدّاعية منهج الإسلام في السيطرة على النفس ، وتسكين الغضب ..

– أن يُعالج في نفسه ثورة العاطفة في استعجال النصر ، وذلك بالأخذ بأسباب النّصر ووسائله ..

– أن يتابع مسيرة العمل الدعوي مهما تأثر بأوضاع الجماعات الإسلامية ، ومهما تراءت أخطاؤها .. لأنّ الدعوة الإسلامية دعوة اللّه .. فالأوضاع مهما ساءت ، والأخطاء مهما تراكمت .. فإنّها تذلّل وتُصَحّح ..

● **ومعالجة المؤثّرات الابتلائيّة** تتبلور في الوسائل التالية :

– أن يعلم الداعية أن الابتلاء على درب الدعوة هو من سُنن الأنبياء والعلماء والمصلحين والدعاة ..

– أن يدرك أنه إذا صبر على المصيبة والبلاء ، وتحمل الأذى في سبيل اللّه ... فإن

له من الأجر والثواب ما لا يعلم مداه إلا اللّه .

– أن يعمّق في نفسيّته عقيدة القضاء والقدر ، ليُوقن أنّ كلّ ما يصيبه هو من اللّه ..

● ومعالجة **المؤثّرات الإغرائيّة** تكون في المراحل التالية :

– أن يتحرّر الداعية من وسوسة الشّيطان ، وإيحاءات الهوى ، ونزعات النّفس الأمّارة ..

– أن يتأمّل أنّ زينة الحياة الدنيا وزهرتها فتنة وابتلاء .. وقلّما من ينجو ويسلم من غوائلها ..

– أن يضع نصب عينيه حقيقة الدنيا وزوالها ، وحقيقة المنيّة وسكراتها ، وحقيقة الآخرة وأهوالها ، وحقيقة الأسوة وفضائلها ..

● ومعالجة **المؤثّرات التيئيسية** تتركّز في المراحل التالية :

– أن يعلم الداعية أنّ اللّه حرّم اليأس ، وندّد باليائسين ..

– أن يدرك أن التّاريخ برهن على انتصار أمّة الإسلام على أعدائها .. مهما أصابها من محن ونكبات ..

– أن يعرف أنّ الرسول ﷺ بشّر أمّته بالعزّة والسّيادة مهما أصابها من وكسات ونكبات في مستقبل الأيام ..

* * *

3 - والحلول الإيجابية **لعقبة العوامل الاجتماعيّة** التي تأخذ بخناق الدعاة تتبلور بمعالجة كلّ عامل من العوامل التالية :

● فمعالجة **عامل القرابة** تتركّز في هذه النقاط :

– أن يعتقد الداعية أن الإذعان لضغوط القرابات هو من البلاء الذي يوقعه في سخط اللّه ، ويصدّه عن الدعوة في سبيل اللّه .

– أن يتأسّى بأصحاب القدوة .. في ثباتهم وصمودهم على متابعة مسيرتهم الدعويّة أمام الضّغوط العائليّة .

– أن يقوم بدوره في إقناع ذوي قرابته أنّ من أركان الإيمان .. الإيمان بالقضاء خيره وشرّه من اللّه تعالى ، والاستسلام لكلّ ما يصيب المسلم من أذى في سبيل اللّه .

● ومعالجة **عامل البيئة** تسير على هذه المراحل :

– أن يعلم الداعية أنّه ليس أشرف من رسول اللّه ﷺ ، وليس أفضل من السلف الذين تحمّلوا في مواجهة أبناء بيئتهم بالدعوة .. كلّ إرهاق واضطهاد ومحنة ..

– أن يبحث عن الرفقة الصالحة في البيئة التي يدعو إلى اللّه فيها ، وليتشبّث بها ، ويتعاون معها ..

– أن يدرك الأسباب التي تؤدّي إلى السقوط أمام ضغط البيئة ، ليعرف كيف يواجهها ، ويتخلّص منها ..

● ومعالجة **عامل الوجاهة** تتأكّد باتّباع هذه الخطوات :

– أن يعتقد الداعيّة أنّ هذه الزّمرة المتسلّطة من الوجهاء في صدّها الدعاة عن سبيل اللّه هو من سُنن الأنبياء والدّعاة في صراعهم مع الباطل .

– أن ينهج مع هؤلاء الوجهاء المتنفّذين سبيل الحكمة أو الإقناع أو المداراة .. لمتابعة المسيرة الدعويّة إن أمكن ذلك .

– أن يستشعر شخصيّته الإسلامية وذلك بإعطاء الولاء للّه ، وأنه ما خُلق في الحياة عبثًا ، وأنه وُجِدَ ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة اللّه ..

● ومعالجة **عامل التمزّق في الجماعات الإسلامية** تتبلور في هذه الأمور :

– السّعي الحثيث إلى رأب الصّدع ، وجمع الشّمل ما استطاع الداعية إلى ذلك سبيلا .

– المجاهدة الدائبة في نزع أسباب الفرقة ، واقتلاع جذور الخلاف .. للحفاظ على وحدة المسلمين المتراصّة .

– التزام الجماعة التي لها في العالم الإسلامي امتداد ، وفي كل قطر فروع .. إن لم يمكن جمع كلمة المسلمين .

● ومعالجة **عامل الطابور الخامس** تسير على هذه المراحل :

– أن يعلم الداعية من هي هذه الفئات التي تُروّج الإشاعات الحاقدة في الّذين آمنوا ؟ .. فإن علم أنها عدوّة للّه ولرسوله وللمؤمنين ، فإنّه لا يكترث أبدًا بدعاويهم الكاذبة ، ومفترياتهم الآثمة ..

– أن يوقن أنه ليس وحده فيما يصوّب إليه من أقاويل واتّهامات .. وإنما سبق إليها الأنبياء والمصلحون من قبل .

– أن يعتقد أن الطريق إلى العزّة والنّصر مفروش بالعقبات والأشواك ، ومحاط بالمصائب والابتلاءات وهذه سنّة اللّه في الذين يبلغون رسالات اللّه ، ويخشونه ، ولا يخشون أحدًا إلا اللّه .

* * *

4 - والحلول الإيجابيّة **لعقبة المعوّقات السياسيّة** التي تنكّل بالدعاة تتركّز في النقطتين التّاليتين :

أ – أن يعالج في نفسه الاستخذاء والاستسلام أمام الحكومات اللادينيّة الطاغية وذلك :

- بتعميق حقيقة الإيمان باللّه ، وعقيدة القضاء والقدر ، ليقابل الاستخذاء والاستسلام بالعزيمة والعمل .
- بالإيقان أن اللّه يؤجره بالصبر على ما أصابه في سبيل اللّه ..
- بالابتسام أمام المصائب ، والتجلّد أمام الأحداث .. ليكون متّصفًا بخصائص الرجولة والبطولة .

ب – أن يعالج في نفسه التهوّر إذا كان في طبيعته متهوّرًا ، وذلك بالمراحل التالية :

- إيجاد الجبهة الإسلامية الواحدة .
- التّركيز على التربية والإعداد .
- الانطلاق في مضمار التوعية .
- العمل على تكثير القاعدة .
- التدبير المحكم في الوصول إلى النّصر .

5 - والحلول الإيجابيّة **لعقبة الظّروف الاقتصاديّة** التي تتحكّم في الدعاة ، فإنها تتجسّد بحلّ كلّ مشكلة من المشكلات الأربع : الفقر ، الغنى ، الخوف على الأموال ، الانحراف بسبب الغنى .

- **فحلّ مشكلة الفقر** فإنها تقوم على مسؤوليّة المجتمع ، ومسؤوليّة الدولة في القضاء على الفقر ، وتحقيق التّكافل الاجتماعي ، وتأمين موارد الدعاة ..

● **وحلّ مشكلة الغنى** يتركّز في هذه النّقاط :

– أن يعتقد الداعية أن المال الذي في يده هو مال اللّه ، وأن اللّه مستخلفه فيه .

– أن يوقن أن الدنيا وما فيها من قناطير مقنطرة .. لا تزن عند اللّه جناح بعوضة .

– أن يدور في حسبانه أنّ الغنى لا ينفع ، وأن القوة لا تدفع .. إذا أتى ربّه وقد أطغاه المال ، وفتنه الغنى ..

– أن يضع في خلده أنّه في هذه الدنيا غريب ، أو عابر سبيل ، وأن الموت سوف يذوقه لا محالة ، وأنّه لا ينفعه غدًا إلا عمله الصالح ..

● **وحلّ مشكلة الخوف على الأموال** يتجلّى في المراحل التّالية :

– بالأخذ بالأسباب الوقائية في المحاذرة من العدوّ ، واتّقاء شرور تسلّطه ..

– في الرضى بكلّ ما أصابه بعد الأخذ بأسباب الاتّقاء والمحاذرة ، لكون ما أصابه وقع بقضاء اللّه وقدره .

– في صبره على المصيبة ، ورضاه بالقضاء والقدر يدّخر له يوم يلقاه ما لا عين رأت ، ولا أُذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ..

● **وحلّ مشكلة الانحراف بسبب طغيان الغنى يتحقّق في الوسائل التالية :**

– التّركيز على التربية الإسلاميّة الشّاملة .

– تعميق العقيدة الإيمانية الرّادعة .

– التقيّد بقواعد الكسب والإنفاق حلالاً وحرامًا ..

– التثقّف الواعي عن كلّ ما كشفه الطبّ من أمراض جنسيّة نتيجة الميوعة والانحلال .

– الموازنة بين مصير الطائعين ، ومصير الفاسقين يوم العرض على اللّه للتبصرة والاعتبار .

* * *

6 - والحلول الإيجابيّة **لعقبة الأسباب التربويّة** التي تنعطف بالدّعاة تتشخّص في الوسائل التالية :

* **بالتربية الروحيّة** التي خصّصنا لها فصلاً كاملاً [1] في موضع آخر من هذا الكتاب .

---

(1) هو الفصل السادس ، وهو بعنوان : « روحانيّة الداعية » .

* **وبالتربية النفسيّة** التي تكلمنا عنها في الفصل الخامس من هذا الكتاب .

* **وبالتربية الخلقيّة** التي تحدّثنا عنها في الفصل السابع من هذا الكتاب .

* **وبالتربية على الجنديّة** التي تقوم على الأسس التّالية :

- التّربية على الانضباط والطاعة .
- التّربية على الأدب والاحترام .
- التربية على المناصرة والتأييد .
- التربية على النّقد الذّاتي البنّاء .
- التربية على بناء الشخصية الإسلاميّة المتكاملة .

* * *

7- والحلول الإيجابيّة **لعقبة الأخطاء التنظيمية** التي تؤدي إلى تساقط شباب الدعوة تتجسّد في حلّ كل من الأخطاء التالية :

● **فحلّ مشكلة الخطأ في الاختيار القيادي** يتجلّى في النقاط التالية :

- أن يتّصف القائد قبل اختياره بمواصفات تربويّة وعلمية ونفسيّة وخلقيّة عالية .

- لا يجوز للداعية شرعًا أن يرشح نفسه للقيادة إذا كان ممّن يستشرفها ، أو كان غير كفء لها .

- على القاعدة التي تتولّى بيعة القائد أن تختار للقيادة الرجل الكفء ، والمسلم الناضج .

- أن يعتقد القائد ، ومن يختارهم للقيادة أنهم ورّاث النبوّة ، فإنهم ورثوا العلم ، وورثوا الدعوة ..

- على كلّ من يكون في صفّ القيادة أن يكون متفرّغًا لأعباء القيادة ومسيرتها المطّردة ..

● **وحلّ مشكلة الخطأ في التّكوين التربوي** تتبلور في المراحل التالية .

- إيجاد المناهج التّربوية المتوازنة الشّاملة .

- مراعاة فارق السنّ ، وتفاوت الثّقافة ، وطبيعة الجنسين .. عند وضع البرامج ..

- الحرص على أن يكون الفكر موحّدًا من حيث العقيدة ، والفتاوى ،

والتصوّرات عن الإسلام ..

- التزام مبادئ الوصايا العشر التي وضعها الإمام البنّا رحمه اللّه .

● **وحلّ مشكلة الإعداد الدّعوي** تقوم على المراحل التالية :

- الإعداد التربوي الشامل روحيًا ونفسيًا وخلقيًا ..

- الأخذ بأصول الدّعوة ومراحلها وكيفيّتها .. وتأهيل الدعاة على أساسها ..

- الإحاطة بالثقافة الشاملة التي تقوم على الشرع ، والتاريخ ، والأدب ، والعلوم الإنسانية ، والحقائق العلميّة ، والتصوّرات الواقعيّة ..

- تكوين الدّاعية على أصول التعبير في مواقفه التدريسيّة ، والخطابيّة ، والكتابيّة ، والتّدريب على الإلقاء ، والارتجال ، والمحاضرة ، وأصول الجدل والحوار ..

●**وحلّ مشكلة الأخطاء في العمل الإداري** تتجسّد في الاقتراحات التّالية :

- وضع الفرد في المكان المناسب .

- توظيف كافّة الأفراد في العمل الدّعوي .

- محاسبة الأفراد في كلّ ما يستلمون من مهام .

- حلّ مشكلة الأفراد باهتمام ..

- حسم مشكلات الحركة بسرعة ..

- الوقوف من مثيري الفتن من أعضاء الحركة بحزم ..

● **وحلّ مشكلة الأخطاء في التخطيط المرحلي** ترتبط بالأحوال التّالية :

- إذا كانت ظروف الدعاة قاسية كوجودهم في ظلّ حكم طاغوتي فالخطّة الدعويّة تسير على المنهج الذي سار عليه النّبي ﷺ وأصحابه في الفترة المكية حيث لا قتال ولا مجابهة .

- وإذا كانت الظروف قائمة على التّغاضي والتّياسر من قبل حكومات معتدلة متساهلة ..

فالخطّة الدعويّة تكون أكثر انفتاحًا ، وأعظم انطلاقًا ، وأسرع مراحل ، وأتمّ وسائل .. على أن يأخذ الدّعاة حذرهم وأهبتهم مخافة أن يُفاجأوا بضربة قاضية

تُطيح بهم وبدعوتهم !!..

وفي الوقت نفسه عليهم أن يحذروا التعجّل بالنصر قبل الأخذ بمقوّماته ، والتّعاطي بأسبابه .. ليأمنوا النّوائب ، ويسلموا من العواقب ، ويصلوا إلى أفضل النّتائج ..

* * *

ومما ينبغي أن يعلمه الدّعاة يقينًا أنّ كثرة الحلول لا تكفي ، وأنّ ازدحام الاقتراحات لا تنفع .. حتى تتحوّل هذه الحلول ، وهذه الاقتراحات إلى واقع عملي يراه النّاس مجسّدًا في مجال العمل الدّعوي ، والسير الحركي ، ومواقف الدعاة !!..

وكم سمعنا عن دراسات طيّبة في العمل الإسلامي ، واقتراحات مثاليّة في المسيرة الدعويّة .. كتبها كبار الدّعاة في العالم الإسلامي ، فبقيت حبرًا على ورق ، وحُفظت في سجلّ النّسيان ، لكونها لم تحوّل إلى واقع ، ولم تترجم إلى عمل ، ولم تأخذ موقعها في مجال التّطبيق والتّنفيذ ؟!!..

وسيّد الدّعاة صلوات اللّه وسلامه عليه لم يربِّ أصحابه رضي اللّه عنهم بأفكار مجرّدة في الأذهان ، ونظريّات مقرّرة في العقول ، وإنّما صاغهم على أساس القرآن ، وكوّنهم على المبادئ التي أوحى بها الرحمن .. حين يراهم النّاس يرون الإسلام مجسّدًا في سلوكهم ، ومترجمًا في أعمالهم وتعاملهم ..

ولتستمع إلى ما يقوله الشهيد سيّد قطب - رحمه اللّه - في توضيح هذه الحقيقة : (وانتصر محمد بن عبد اللّه ﷺ يوم صنع أصحابه عليهم رضوان اللّه صورًا حيّة من إيمانه ، تأكل الطّعام ، وتمشي في الأسواق ، يوم صاغ من كلٍّ منهم قرآنًا حيًّا يدبّ على الأرض ، يوم جعل من كلّ فرد نموذجًا مجسمًا للإسلام ، يراه الناس فيرون الإسلام .

إنّ النّصوص وحدها لا تصنع شيئًا ، وإن المصحف وحده لا يعمل حتى يكون رجلاً ، وإن المبادئ وحدها لا تعيش إلا أن تكون سلوكًا ..

ومن ثَمّ جعل محمد ﷺ هدفه الأول أن يصنع رجالاً لا أن يُلقي مواعظ ، وأن يصوغ ضمائر لا أن يُدبّج خطبًا ، وأن يبني أمّة لا أن يُقيم فلسفة ، أمّا الفكرة ذاتها فقد تكفّل بها القرآن الكريم ، وكان عمل محمد ﷺ أن يحوّل الفكرة المجرّدة إلى رجال تلمسهم الأيدي ، وتراهم العيون .

ولقد انتصر محمد بن عبد اللّه ﷺ يوم صاغ من فكرة الإسلام شخوصًا ، وحوّل إيمانهم بالإسلام عملاً ، وطبع من المصحف عشرات من النّسخ ، ثمّ مئات وألوفًا .. ولكنّه لم يطبعها بالمداد على صحائف من الورق ، وإنما طبعها بالنّور على صحائف من القلوب ، وأطلقها تُعامل النّاس ، وتأخذ منهم وتُعطي ، وتقول بالفعل والعمل ما هو الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ من عند اللّه ؟) [1] .

والذي أريده من الحركات الإسلاميّة المعاصرة في **مسك الختام** أن تنظر بعين الواقع والبصيرة إلى سير حركتها . وتراجع بصدق وعزيمة سائر خططها ومناهجها ، وتعي جيّدًا الظروف التي تحيط بها وتكتنفها ..

فإن وجدت سير الحركة صحيحًا ، والظرف ملائمًا ، والخطّة واقعيّة ، ومرحلة العمل موضوعيّة .. فلتسر على بركة اللّه ، وتنشد دائمًا التدرّج في مدارج الكمال .. وإن وجدت غير ذلك .. فما عليك إلا أن تعقد النّية ، وتشحذ العزيمة ، لتأخذ بأفضل الحلول ، وأحسن الخطط ، وأنضج البرامج .. لإقامة حياة إسلاميّة فاضلة ، وبناء دولة للمسلمين قويّة ، وإشادة صرح في بلاد الإسلام شامخ ..

فإذا فعلت ذلك فإنّهم – بإذن اللّه – المنصورون ، وإن جند اللّه لهم الغالبون ..

﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾ [2] ، ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [3] .

﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [4] .

وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين .

د . عبد اللّه ناصح علوان

(1) من كتاب « دراسات إسلامية » للشهيد « سيد قطب » فصل : « انتصار محمد بن عبد اللّه ﷺ » .
(2) سورة التوبة الآية : 105 . (3) سورة يوسف الآية : 21 . (4) سورة يوسف الآية : 108 .

فهرس الجزء الثاني

الموضوع الصفحة

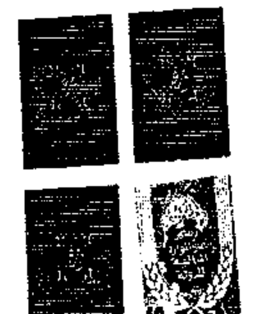
نموذج رقم « ١٧ »

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهـــر الشريف
مجمـع البحـوث الإسـلامية
الادارة العـــامة
للبحـــوث والتأليف والترجمـــة

AL - AZHAR AL - SHARIF
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation

٥١ / ٨٢
٥١ / ٨٣



السـيد / دار السلام .

السـلام عليكم ورحمة اللـه وبركاته ـ وبعـد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : عقبات في طريق الدعاة الجزء الاول والثانى تأليف : عبد اللـه ناصح علـوان

نفيد بأن الـكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مانع من طبعـه ونشره على نفقتـكم الخـاصة .

مع التـأكيد على ضرورة العنـاية التامة بكتـابة الآيات القـرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والالتزام بتسليم ٥ خمس نسخ لمكتبة الأزهر الشريف بعد الطبـع .

واللـه المـوفق ،،،

والسـلام عليكم ورحمة اللـه وبركاته ،،،

ممدوح ماهر

مـدير عـام
ادارة البحوث والتـأليف والترجمـة

تحريرا فى ٢٥ / ١١ / ١٤١٨ هـ
الموافق ٢٤ / ٣ / ١٩٩٨ م

٩٨/٣/٢٤